اسرار حريق القاهرة

فى الوثائق السرية البريطانية

جمال الشرقاوى

حريق القاهرة

في الوثائق السرية البريطانية

الاخــــراج الفنى : نمـــــــر اديب

تصميم الغـــلاف : عبد العزيز جمال الدين

جمال الشرقاوى

أســــرار

حريق القاهرة

فى الوثائق السرية البريطانية

دار شهدي للنشر

حكاية هــذه الدراســــة ...

فى سبتمبر ١٩٧٥ انتهيت من اعداد دراستى الاولى عن حــــريق القاهــرة ، التى ظهرت بعد ذلك عن « دار الثقافة الجــديدة » تحت عنوان « حريق القاهرة ــ قرار اتهام جديد » ..

فى هذه الدراسة كان على أن أحقق هذا الحدث الخطير فى تاريخ مصر المعاصر ، الذى وقع يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .. وظل بلا تحقيق متــكامل حتى ذلك الحين . وهكذا ، كان على أن أعيــد وصــف الحــدث ... وأن أحلله الى عناصره المختلفة المتكاملة .. وأن أعيد تركيبــه ، وفق الخط العام الذى استخلصته من خلال الفرض الذى انطلقت منه والحقائق والمعلومات التى حصلت عليها خلال البحث ..

وقد اعتمدت فى هــذه الدراســـة ، على المــادة المتاحة حتى ذلك الحين .. وهى مادة مصرية فى مجموعها : فدرست القضية الرئيســـية التى ارتبطت بذلك الحدث ، وهى القضية السياسية الكبرى التى عرفت بقضية التحريض على حريق القاهرة ــ أو القضية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا ، التى اتهم فيها أحمد حســين وخمسة آخرون . وكذلك جميع القضايا .. وتحقيقات النيــابة التى حفظت ولم تقــدم للقضاء .. والتى ارتبطت بحوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

ثم راجعت ما كتب عن الحادث ، فى الصحف ، والكتب ، والمذكرات الســياسية ، وكذلك ما صــدر عن الاحزاب والهيئات المختلفة من بيانات أو تحليلات أو تقــارير قبل وبعد ٢٦ يناير . وطبعا الاحكام القضــائية المرتبطة بالاحداث .. وأيضا ، الاعمال الادبية التى صورتها ...

ولم أكتف بما هو مكتوب عن حريق القاهرة . وانما حملت جهــاز

التسجيل ، ورحت أبحث عن كل انسان يمكن أن تكون له صلة بالحوادث.. لأحصل على شهادته المباشرة ، وأستمع الى ملاحظاته ، وأناقش معه ما جمعت من معلومات ، وادقق بعض ما غمض من أحداث ووقائع ..

وهكذا استمعت الى شهادات فؤاد سراج الدين (باشا) وزير الداخلية يوم الحوادث ، وعبد الفتاح حسن (باشا) وزير الشئون الاجتماعية والحربية بالنيابة فى نفس اليوم ، وابراهيم فرج (باشا) وزير البلديات والخارجية بالنيابة حينئذ .. وهم من قادة حزب الوفد .. والى حسن يوسف (باشا) وكيل الديوان الملكى عندئذ ..

والى أحمد حسين ، الذى اتهمته النيابة بالتحريض على الحريق ، وطالبت برقبته ، والى رفعت الشهاوى ، وابراهيم يونس .. من الحزب الاشتراكى ..

والى المسئولين الرئيسيين عن الامن والادارة فى العاصمة يومها : محمود البدينى ، محافظ القاهرة بالنيابة .. واللواء مراد الخولى ، حكمدار البوليس .. واللواء محمد ابراهيم امام وكيل الحكمدار رئيس البوليس السياسى .. وصلاح مرتجى مدير الامن العام بعد الحوادث مباشرة .. وحسين صبحى مدير الامن العام يوم ٢٦ يناير .. ومحمد حلمى صديق ، الضابط الذى بذل جهدا خاصا اثناء الحوادث ..

والى ضابط الجيش الوحيد الذى اشترك فى مظاهرات يوم ٢٦ يناير .. والذى سجن بسبب الحوادث .. ووجهت له تهمة احراق كازينو بديعة ، أول حرائق ذلك اليوم .. محمد حلمى عبد الخالق ..

والى الضابطين اللذين ارتبط اسماهما بمعركة يوم ٢٥ يناير فى الاسماعيلية ، بين البوليس المصرى والقوات البريطانية .. وهى العملية التى هيأت المسرح فى القاهرة لأحداث اليوم التالى ، مصطفى رفعت بطل المعركة .. وشريف العبد ضابط الاتصال المصرى بقيادة القوات البريطانية ..

والى رجال النيابة والقانون الذين كان لهم دور فى قضايا ٢٦ يناير : عبد الرحيم غنيم ، النائب العام الذى أشرف على مجمل التحقيقات .. وتولى بنفسه التحقيق مع كبار رجال الادارة (وزير الداخلية ، وضباط البوليس) ، وكبار قادة الجيش ، وكبار رجال القصر . وأحمد فتحى مرسى وكيل النيابة الذى حقق الجوانب الفنية للحوادث ، ومع رجال المطافىء . والدكتور جمال العطيفى وكيل نيابة الصحافة حينئذ ، والذى حقق جانب التحريض فى صحافة الحزب الاشتراكى . ومحمد صدقى البشبيشى ، الذى تولى العديد من التحقيقات فى حوادث ذلك اليوم ..

والى اثنين من الذين تولوا الدفاع عن أحمد حسين : الدكتور محمد حلمى مراد والدكتور محمد عصفور ..

وكذلك الى عبده مراد نائب الاحكام العسكرية فى ذلك الوقت ، والذى حقق مع الضابط محمد حلمى عبد الخالق .. والذى كان مسئولا عن جميع التحقيقات وأعمال الضبط بالنسبة لضباط الجيش ..

وحرصت الى جانب الاستماع لشهادات الاطراف المباشرة فى الحدث ، على الاستماع الى شهادات الشخصيات العامة ، ذات الاتصال المباشر بالاحداث ، وبنبض الرأى العام ..

فاستمعت الى جميع رؤساء تحرير الصحف الرئيسية : فكرى أباظة (المصور) ، وأحمد أبو الفتح (المصرى) ، واحسان عبد القدوس (روز اليوسف) ، وأبو الخير نجيب (الجمهور المصرى) .. فضلا عن عدد آخر من رؤساء التحرير والصحفيين .. باعتبارهم مراكز تجميع معلومات ، وذوى اتصالات عالية ، وشهود عيان فى بعض الحالات ...

والى ممثلين للتيارات السياسية السائدة : فالى جانب الوزراء الثلاثة

الوفدين ، وأحمد حسين وزميله من الحزب الاشتراكى . فريد عبد الخالق ، وصالح عشماوى ، وحسن دوح عن الاخوان المسلمين ، والاثنان الأولان من أعضاء مكتب الارشاد ، والثالث كان من زعماء شباب وطلبة الاخوان . والدكتور فؤاد مرسى ، وفتحى خليل ، ومحمد صدقى عن الشيوعيين . وفتحى رضوان الذى كان رئيسا للجنة التنفيذية العليا للحزب الوطنى الجديد . وأحمد طه من قادة الحركة النقابية ..

ولأننى تصديت لتحقيق الاتهام الذى وجهه البعض الى جمال عبد الناصر وتنظيم الضباط الأحرار ، بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة ، حتى يهيئوا الجو للاستيلاء على الحكم .. فقد استمعت الى عدد من أعضاء تنظيم الضباط الاحرار من مختلف الرتب والاتجاهات .. من الذين ظلوا فى معسكر عبد الناصر ، والذين اختلفوا معه : خالد محيى الدين .. وكمال رفعت .. وأبو الفضل الجيزاوى .. وعبد الفتاح على أحمد .. وأحمد حمروش .. وتوفيق عبده اسماعيل .. ومجدى حسنين .. وصبرى القاضى ..

❋ ❋ ❋

على أننى ، برغم كل هذا البحث والاستقصاء .. ومراجعة كافة المواد والمصادر المتاحة .. ظللت متفهما لحقيقة أساسية ترتبط بهده الدراسة ..

ذلك أن الانجليز كانوا طرفا أصليا فى هذا الحدث الخطير ..

فعملية الاسماعيلية ضد البوليس المصرى التى قامت بها قواتهم ، كانت المفجر المباشر للغضب الوطنى الذى اجتاح مصر كلها يوم ٢٦ يناير .. والذى فى أجوائه تم الحريق ..

والانجليز ، بوصفهم أكثر الاطراف التى كانت تعانى أزمة فى مصر عندئذ .. ومن ثم ، أكثر الاطراف مصلحة فى احداث تغيير فى الوضع السياسى .. والذين استفادوا فعليا أكثر من أى طرف آخر من حريق القاهرة ..

والانجليز هم الذين كانوا وراء الاتهامات التى وجهت من قبل سلطات الملك وصحافته ، ضد جميع فصائل الحركة الوطنية المصرية ..

والانجليز هم أيضا الذين وجهت لهم الحركة الوطنية المصرية وصحافتها الاتهام ، بأنهم المدبرون والمنفذون لهذا الحريق الضخم ..

لكل ذلك ، فقد كان الاستماع الى وجهة النظر البريطانية مسألة ضرورية ، بل لا غنى عنها ، لاكتمال البحث ..

ومن هنا ، فبمجرد السماح بالاطلاع على الوثائق السرية البريطانية ، توجهت الى لندن باحثا عما فى هذه الوثائق من معلومات وأسرار ، ووجهة نظر ..

* * *

وعندما توجهت الى لندن كان لدى طموح أن أقوم بعمل أوسع من مجرد الاطلاع على الوثائق الرسمية . كنت آمل أن ألتقى بمن لا يزالون على قيد الحياة من الاشخاص الذين لهم صلة بأحداث تلك الفترة .. لكى أجرى معهم تحقيقا من خلال اللقاءات الحية والشهادات المباشرة . الا أننى عرفت من الخبراء بالشئون البريطانية أن ذلك ـ بالنسبة للموظفين العموميين الانجليز خصوصا ـ غير جائز . . لأن الموظف العمومى ـ السفير أو المستشار أو القائد العسكرى .. مثلا ـ الذى تواجد فى مصر حينئذ ، أو الذى كانت له صلة بالسياسة الحكومية البريطانية

فى مصر .. يفترض أنه قال رأيه ، أو اتخذ موقفه فى اطار هذه السياسة . وهو ، اذا فرض أن كان له رأى ، أو لديه معلومات ، فانه يكون قد أبدى رأيه أو قدم معلوماته بطريقة ما . فاذا ما طلب اليه اليوم أن يتكلم ، فانه سيرفض ، ويحيل من يطلب اليه ذلك على الوثائق الحكومية الرسمية ..

وقد حاولت أن أخرج عن دائرة الموظفين الحكوميين ، وأبحث عن الشخصيات العامة .. أو أعضاء مجلس العموم من حزب العمال ، المعارض حينئذ ، وخاصة الذين كانت لهم مواقف أثناء الاحداث ... الا أن سعيى هذا لم يصل الى نتيجة لان الزمن تأخر .. فمات معظم هؤلاء .. ومن بقى منهم فهو فى شيخوخة لا تسمح بأى جهد ..

ولأن بالم دات القائد النظرى للحزب الشيوعى البريطانى عندئذ كان الشخصية البريطانية العامة التى قالت رأيا متميزا فى الاحداث ، ووجه الاتهام للمخابرات البريطانية بتدبير وتنفيذ حريق القاهرة ، فلقد زرت مقر الحزب . وبحثت عن رفاق بالم دات بن شيوخ الحزب ، لعلنى أجد أى معلومات اضافية .. الا أن الزمن كان قد ترك بصماته على الجميع .. فلم تعد ذاكرتهم تختزن أكثر من عناوين الاحداث ..

وهكذا ، لم يبق أمامى الا الوثائق المكتوبة ..

راجعت الصحف البريطانية التى عاصرت الاحداث .. وكانت كلها — باستثناء صحيفة الديلى وركر — مؤيدة للامبريالية البريطانية ، ولكل اجراءات الاحتلال البريطانى فى مصر . وتتبنى ، وتبرز موقف حكومة المحافظين ..

وحاولت أن أجد ، فى أى جهة ، أى وثائق للمخابرات البريطانية ، فلم أعثر لهذه الوثائق على أثر .. ونصحنى أستاذ انجليزى فى جامعة اكسفورد ، مشغول بالقضايا العامة ، ومتعاطف مع حركات التحرر ، بألا أضيع وقتى وجهدى .. فمثل هذه الوثائق لا يعثر عليها .

وكنت أبحث فى مسألة تهمنى فى دراستى ، وهى : كيف تعمل المخابرات البريطانية . فقد كنت أرى أن هذه مسألة منهجية دقيقة ، لاننا نتهم المخابرات البريطانية بتدبير وتنفيذ حريق القاهرة . فكان من المفيد أن نفهم كيف يعمل هذا الجهاز . والى أى حد يتطابق ، أو يتفاوت ، أو يتباين ، عمله مع عمل الجهاز الدبلوماسى لوزارة الخارجية البريطانية .. أو بشكل عام ميكانيزم الادارة البريطانية ..

فمثلا ، من المعروف أن الادارة الامريكية تعمل بنظام مراكز القوى المتعددة .. المتباينة .. التى يصل التباين بينها الى حد التناحر والتصادم . فهناك البيت الابيض حيث الرئيس ومستشاروه .. وهناك البنتاجون (وزارة الدفاع والجيش) .. وهناك وكالة المخابرات المركزية .. ثم اخيرا هناك الكونجرس ولجانه المختلفة . طبعا هناك قدر من التناسق فى هذه الاجهزة للادارة الامريكية . لكن أيضا هناك هامش من التفاوت ، والاستقلالية النسبية ، يسمح باختلافات ، أحيانا تكون خطيرة . وكثيرا ما سمعنا عن ضربات توجه من الكونجرس (لجنة الشئون الخارجية الشهيرة) الى الرئيس . وأحيانا تسرب وكالة المخابرات المركزية تقريرا يهز النظام كله ..

أما الادارة البريطانية ، فقد فهمت أنها ادارة مركزية تماما ، ولا مجال فيها لمثل تلك التباينات . والاطلاع على الوثائق البريطانية يؤيد ذلك . فالعمل منسق تماما بين السفارة فى القاهرة ، وقيادة القوات فى القنال ، ووزارات الخارجية والحرب والمستعمرات فى لندن .. وأى جهة فى العالم يجب أن تحاط علما من واشنطن الى باريس الى ليبيا والسودان وقبرص ..

ومن هنا ، فقد كان على أن أسلم فى نهاية المطاف بأن الوثائق الرسمية .. التى تعرضها الحكومة البريطانية للاطلاع ، هى المادة المتاحة الوحيدة لمعرفة وجهة النظر البريطانية ..

شيء واحد سعيت اليه وتمنيت أن أجده ، هو أى مذكرات للسير رالف ستيفنسون سفير بريطانيا فى مصر حينئذ ، أو الجنرال جورج أرسكين قائد قواتهـا فى منطقة القنال . وقد بحثت عنهـا فى مخطوطات دار الوثائق البريطانية ، فلم أجد شيئا .. وحاولت فى قوائم أهم مكان تتجمع فيه مثل هذه الكتابات وهو مركزالدراسات الأفريقية فى جامعة لندن ، فلم أجد شيئا أيضا ..

* * *

فى دار الوثائق البريطانية راجعت محاضر اجتماعات مجلس الوزراء البريطانى لمـدة سنة قبل وبعد حوادث ٢٦ يناير .. فلم أجد الا محضرين يحتويان على معلومات تهم البحث ..

وراجعت مضابط مجلس العمـوم البريطـانى .. وقد انحصرت مناقشاته للوضـع فى مصر أيضا فى جلستين .. ثم سارت الأمور سيرا عـاديا ..

أما وثائق وزارة الدفاع البريطانية ، حيث كنت أطمع فى الحصول على معلومات من القيادة العسكرية فى القنال اكثر تحديدا .. أو أن تتضمن هذه الوثائق تقارير مخابرات ، أو اشارات الى مثل تلك التقارير .. فقد وجدتهـا خالية من أى شيء ذى قيمة . اذ انحصرت كلها فى تقارير فنية عسكرية عن أعداد القوات وتوزيعها وتموينها .. بما لا يقدم أو يؤخر فى دراستنا ..

وهكذا انحصر مسـعاى فى التدقيق فى وثائق وزارة الخارجيـة هذه الوثائق التى يبدو أنهم يعتبرونها وجه بريطانيا أمام العالم .. والمعبر الرسمى الوحيد عن سياسات الدولة البريطانية .. بمختلف أجهزتها..

* * *

تتضمن وثائق الخارجية البريطانية المراسلات المتبادلة بين السفير البريطاني فى القاهرة ، أو مستشاره ، وبين وزارة الخارجية فى لندن ، على مستوى الوزير أحيانا ، وعلى مستوى ادارة الشئون الافريقية معظم الأحيـــان .. كما تتضمن المراسلات المتبادلة بين السفير وبين الجنرال أرسكين ، أو مكتب الشرق الاوسط فى فايد فيما يتصل بالمسائل الخاصة بالأعمال العسكرية أو الأوضاع الداخلية فى مصر المتعلقة بأمن القوات البريطانية فى القنال . وكذلك المراسلات المتبادلة بين الجنرال ارسكين وهيئة أركان الامبراطورية ووزارة الدفاع ، والتى يحاط بها السفير علما باستمرار ..

* * *

وهذه الوثائق هى ماسمحت به الخارجية البريطانية . لأن النظام البريطانى يسمح بالاطلاع على بعض الوثائق بعد مضى ثلاثين عاما .. وعلى بعضها الآخر بعد خمسين عاما .. والبعض الثالث بعـــد خمسة وسبعين عاما .. ويحتفظ ببعضها سريا الى اجل غير محدد ..

وقد حاولت بعد أن تشبعت فى الاطلاع على ماهو متاح — أن اكتشف الناقص . فقمت بطلب الوثائق متسلســـة ، لامـــلأ الارقام الناقصة فى قائمتى .. فكان يأتينى الرد أحيانا بأن هذه الوثيقة « مغلقة .. واحيانا اخرى بأنها لم يسمح بالاطلاع عليها بعــد .. وأحيانا ثالثة بأن الوثيقة سحبت بواسطة وزارة الخارجية ..

لكننى لاحظت بشكل عام .. وفى حدود مسلسل الارقام الذى بين يدى .. أن المحجوب من هذه الوثائق ليس بالـــكثير فى العدد .. أما فى القيمة وما يحتويه من معلومات ، فشىء لايمكن التكهن به ..

* * *

ما الذى تحتوى عليه الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية ؟

ان البعض ظل منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن يتحرق شوقا لمعرفة ماذا ستقول الوثائق البريطانية فى حريق القاهرة .. متصورا أن وثائق رسمية لدولة كبرى يمكن أن تشى بكل الآسرار ..

لكن النظرة الصحيحة هى تلك النظرة التى لاتنسى أن هذه الوثائق هى وثائق دولة .. ودولة استعمارية .. كانت لها مصالح وأطماع .. ولاتزال حتى اليوم لها مصالح وأطماع ..

وأيضا ، من السذاجة تصور أن تقدم لنا الدولة البريطانية وثائق تدينها .. وتفضح العمليات القذرة لجهاز مخابراتها ..

كما أنه من غير العلمى والموضـــوعى أن ننظر نظرة عبادة للوثائق . ونتصور — كما يفعل البعض عمليا — أن وثائق المحتلين هى المرجع الموثوق به لمعرفة تاريخنا .. وتقويم الأحداث التى مرت ببلادنا ..

لذلك ، فقد اطلعت على وثائق الخارجية البريطانية ، ودرستها ، على ضوء المجرى العام للأحداث .. ووضعتها فى اطارها الطبيعى من جملة شهادات ذلك الزمن .. كوجهة نظر أحد الأطراف ..

* * *

قسمت دراستى للوثائق البريطانية .. أو لحريق القاهرة فى هــذه الوثائق .. الى خمسة فصول . تناول الاول ما صورته الوثائق عن أزمة الامبراطورية فى مصر فى الفترة اللاحقة لمجىء حزب الوفد الى الحــكم عام ١٩٥٠ ، واشتداد ساعد الحركة الشعبية والمد الوطنى ، وتصاعد الكفاح المسلح على ضفاف قناة السويس ضد قوات الاحتلال البريطانية بعد الغاء معاهدة ٣٦ فى اكتوبر ١٩٥١ ..

وتناول الفصل الثانى عملية الاسماعيلية ضد البوليس المدنى المصرى يوم ٢٥ يناير . والتدبير البريطانى لها على مدى يزيد على الشهر ..مما جعل هـــذه العملية الجزء الأول من المخطط الاجرامى لحرق القـــاهرة فى اليوم التالى ..

واستعرض الفصل الثالث الوثائق التى تحدثت مباشرة عن حوادث يوم٢٦يناير .. ثم عمل لجنة التحقيق التى تشكلت فى السفارة البريطانية.. وتقرير هذه اللجنة . وناقش كافة الاتهامات التى وجهتها بريطانيا لاحمد حسين والحزب الاشتراكى .. وللشيوعيين وانصار السلام ..وللاخوان المسلمين .. وللوفد أيضا . وناقضها بمراسلات السفير البريطانى التى كشفت حقيقة هذه الاتهامات ..

وكشف الفصل الرابع من الذى استفاد من حريق القاهرة ، وكيف استثمر هذا الحادث ، لتركيع مصر سياسيا واقتصاديا..وعسكريا ايضا..

وفى الفصل الأخير قدمنا كشف حساب ختامى ، للاجابة على السؤال الكبير : من الذى دبر ونفذ حريق القاهرة ..

فأوضحنا موقف الملك فاروق من خلال ما قدمته الوثائق .. وحددنا قرائننا ضد الانجليز ..

وكشفنا بعض المسائل التى برر بهـــا البعض تبرئتهم للانجليز .. بوثائق دامغة ..

ووضعنا ما بأيدينا بكفة .. وما لديهم فى كفة اخرى .. وتركنا للرأى العام ليرى أى الكفتين أرجح ..

* * *

تبقى بعد ذلك نقطتان :

النقطة الأولى أننى لست مترجما . وبالتالى ، فأنا لم أقم بعملية نقل للوثائق الى اللغة العربية . وكذلك ، لم تكن مهمتى هى استعراض هـــذه الوثائق ..

لقد درست الوثائق البريطانية ، فيما يتعلق بحريق القاهرة ، كباحث ، درس القضية على الجانب المصرى ، واستخلص موقفا محددا من أوراقها.. ثم رحت اختبر ذلك بدراسة أوراق القضية على الجانب البريطانى ..

لكن الامانة العلمية اقتضت — لكى يطمئن قلب من يطلع على هـــذه الدراسة — أن لااكتفى بما استخلص من الوثائق البريطانية ، وانمـــا أن أقدم ، مع فهمى للوثائق ، الأصل ذاته .. ليتمكن من يريد من المراجعة عليه ..

وهكذا ضممت الى الدراسة صورة زنكوغرافية كاملة لكافة الوثائقالتى أشرت اليها فى البحث ..

أما النقطة الثانية فتتعلق بالاجيـــال الجديدة التى لم تعاصر حريق القـــاهرة . فقد لاحظ الاصـــدقاء الذين قرأت عليهم بعض فصول هذه الدراسة ، أن الأجيال الجديدة ، بحكم أنها لم تعـــاصر تلك الفترة ، ولم تحصـــل على القدر الضرورى من المعرفة التاريخية ببلادها ، ستستغرب الكثير من الاسماء والاحداث التى تمر عليها الدراسة بسرعة ، باعتبارها بديهيات ..

وقد حيرتنى هذه الملاحظة طويلا . فلقد سبق لى أن أصدرت كتابا حول حريق القاهرة يقع فى قرابة الألف صفحة . وقد أفردت فيـــه فصلا للأحداث التى أفضت الى الحريق .. ومن غير المعقـــول أن أعيـــــد كتابة ما سبق أن كتبته فى الدراسة الجديدة ..

ولم استسغ أصلا أن يتحمل كل عمل ، يعالج أى موضوع متخصص عبء شرح تاريخ مصر المعاصر للأجيال الجديدة ، فهذه مهمة المدرســـة والجامعة والصحافة وكتب التاريخ العامة ..

ثم وصلت الى حـــل وسط ، هو التوسع نسبيا فى هوامش الشرح ، التعريف بالشخصيات والأحداث . ولعل ذلك يفى بالغرض المطلوب .

* * *

ثم .. أننى لا أريد أن أصادر على الموضوع .. فالدراسة الآن بين يديك ...

جمـــال الشرقاوى

القاهرة ـــ نوفمبر ١٩٨٤

كثيرون قدموا لى العون والمساعدة لكى انجز هذا العمل .. لهم منى كل الشكر والعرفان . وأخص منهم : الأستاذة الدكتورة فوزية مخلوف التى شجعتنى على اقتحام التجربة . والزميل الصديق مجدى نصيف الذى وضع خبرته الواسعة فى التعامل مع الوثائق البريطانية تحت تصرفى . وزوجته السيدة سيسيل التى علمتنى كيف أتعامل مع الاجهزة الالكترونية لدار الوثائق البريطانية . والزميل الأستاذ بكر الشرقاوى الذى ساعدنى فى حل عقدة اللغة .. والاستاذ محمد كركوتى الذى قدم لى الكثير من الخدمات الفنية ..

(ج . ش)

الفصل الأول

أزمة بريطانيا فى مصر

يوم ٣٠ يناير ١٩٥٢ وجهت وزارة الخارجية البريطانية ، رسالة تهنئة الى السير رالف ستيفنسون سفير بريطانيا فى القاهرة ..

كان نص الرسالة يقول :

« الآن ، الازمة المباشرة التى صحبت الأيام القليلة الماضية ، قد انتهت . اود ان تعلم اننى قد تأثرت تأثرا عميقا للطريقة التى تحملت بها المسئولية الثقيلة التى القيت عليك . ان بعد نظرك بتحذيرى حول احتمال وقوع اضطرابات خطيرة فى القاهرة، كنتيجة للاجراءات العسكرية الاخيرة فى الاسماعيلية ، وتقديرك المتزن بشأن مسألة « روديو » الحيوية ، قدم مساعدة لا تقدر لى ولزملائى . وهكذا ، طالما ان هذه طريقتك فى ادارة اصعب الامور ، ارجو ان تجعلنى على علم بصورة مستمرة ، وسريعة بالتطورات .

« اننى مقدر كذلك ، العبء الثقيل الذى لابد انه فرض على اعضاء هيئتك ، وآمل ان تبلغهم شكرى على عملهم المخلص » .

وقد رد السفير على وزيره برسالة جديرة بدبلوماسى انجليزى محنك ، حيث شكر الوزير على رسالته الرقيقة ، وأثنى على معاونيه :

« اننى لا استطيع أن اصف كم هـــو عظيم ، الاخـــلاص ، والطاقة ، والتفـــانى الصادق فى اداء الواجب ، الذى عمل به كل معاونى (١) » .

وللوهلة الاولى تبـــدو الامور طبيعيـــة . وزير خارجيـــة يهنىء سفيره ، والســـفير يرد على التهنئـــة ... فماذا فى ذلك ! ؟

ورغم أننا لن نتوقف عند دلالات الكلمـــات الحقيقية التى تعبر عنها اللغـــة الدبلوماســـية فى هذه الرســـائل ، ولا عند الاشـــارات المحددة لموضـــوعات خطيرة وردت فيها ، لأن ذلك سيأتى فيما بعـــد ، الا أننا مضطرون للتوقف عند ملاحظتين ضروريتين الآن :

الملاحظة الأولى : ان وقائع « الأيام القليلة الماضية » التى تشـــير اليهـــا رســـالة المستر انتونى ايدن فى تهنئته لسفيره ، هى الحـــــدثان اللذان وقعا فى يومين متتاليين :

ـــ « عملية الاسماعيلية » كما تسميها الســـلطات البريطـــانية ، أو « مذبحـــة الاسماعيلية » كما أطلقنا عليها فى مصر ، يوم ٢٥ ينـــاير سنة ١٩٥٢ ...

ـــ وحريق القاهرة يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ...

والحدثان كانا ذوى أثر عميق على بريطـــانيا . ففيما يتعلق بعملية الاسماعيلية ، وضعت الدبلوماســـية البريطـــانية والجيش البريطـــانى فى أزمة حقيقيـــة أمام الرأى العام العالمى ، بل والبريطانى أيضـــــا ، كما سيتضح من الوثائق البريطـــانية ذاتها . أما حـــريق القـــاهرة ،

---

(١) ، (٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجيـــــة البريطانية ـــ ملف رقم ٩٦٨٧١ ـــ البرقية رقم ٢٤٧ خارجية ، والبرقية رقم ٢٧٦ القاهرة .

وأيا كانت الحقيقة بشأن تدبيره وتنفيذه – مما سنأتى اليه فيما بعد – فان السلطات البريطانية حرصت على أن تقيم الدنيا ولا تقعدها على أساس أنه موجه ضد الأرواح البريطانية والممتلكات البريطانية .

والحدثان بهذه الصورة ، وعلى فرض أن الوثائق البريطانية تعرض بأمانة الموقف البريطانى ، كان الحديث عنهما يقتضى لهجة أخرى ، تعبر عن هذا الموقف ، الذى يفترض منطقيا أن يكون قلقا وجزعا مما حدث .

فلماذا جاءت لهجة رسالة تهنئة وزير الخارجية البريطانى لسفيره خالية من القلق والجزع ، بينما ضجيج الحملة العالمية ضد الفعلة البريطانية يطن فى آذنه ، ودخان حريق القاهرة لم يتبدد بعد من سماء العلاقات المصرية البريطانية .. ؟

لماذا – على العكس – جاءت اللهجة مطمئنة ، وكأنها حديث منتصر ، حقق لامبراطوريته مكسبا هاما ؟

لن نستعجل . فهى ليست سوى ملاحظة شكلية .

الملاحظة الثانية : وزير خارجية يهنىء سفيره . حسنا ...

لكن ، لماذا ترسل برقية التهنئة مختومة بخاتم « سرى » ؟ ... لأنها تتضمن بعض الأمور السرية . معقول . و ... لماذا ترسل بالشفرة ؟ ... لنفس السبب . معقول أيضا .

ان الخارجية البريطانية لم تكتف بارسال تهنئتها لسفيرها بصفة سرية ، وبالشفرة ،وانما أضافت احتياطا أمنيا ثالثا ..

فجميع المراسلات البريطانية تندرج تحت تصنيفين أساسيين من

حيث الاشـــارة الى الأهمية والخطورة : التصنيف الأول وهو الذى يكتب عليه « سرى » أو « خاص » أو « عاجل » ، أو الكلمات الثلاثة معـــا . والثانى ، وهو محدود جدا ، ويقتصر عادة على الأسرار الدقيقـــة ، والتشـــاور الضيق بشـــأن الخطط وتنفيـــذها ، أو نقل أسرار مهمـــة عن الدولة موضع المراسلات ، وفى هذه الحالة ، يكتب على رأس البرقية عبـــارة « هـــذه البرقية ذات طبيعـــة سرية خاصـــة ، وعلى الجهات المســـئولة التى تتسلمها أن تحتفظ بهـــا ولا تمررها الى أى جهـــة أخرى » ...

الأمر الملفت أن رسالة تهنئـــة الخارجية البريطانية لســـفيرها فى القـــاهرة حملت هذه العبارة الخطيرة . فأى سبب يجعل من رســـالة تهنئـــة تحاط بكل هذا القـــدر من الخصوصية والسرية والخطورة ؟ ... هل يشير ذلك الى أن التهنئة فى الحقيقة تنسحب على أمور أخـــرى ، تستوجب كل ذلك ؟

مرة أخرى ، لن نستعجل ، فهى ليست سوى ملاحظة شكلية !

* * *

.. ونتقـــدم فى البحث ...

ماذا تقـــول الوثائق البريطانية عن « الازمة » البريطانية في مصر ..؟

هل صحيح أنها تعتبرها « أزمة الأيام القليلة السابقة » على تهنئة ايدن لستيفنسون .. بحيث بانتهاء أحـــداث هذه الأيام القليلة السابقة على ٣٠ ينـــاير ١٩٥٢ ، تكون الأزمة قد ظهرت ، واختفت .. ويجرى تبـــادل التهانى .. أم أنها — الوثائق — تكشف عن أزمة أخـــرى ، تختلف تماما عن « أزمة » الايام الاخـــيرة من ذلك الـــ « ينـــاير » الساخن .. وتمتـــد لزمن طويل قبله .. ؟

* * *

في يناير ١٩٥٠ جاءت الانتخـــابات العامة بحكومة الوفد ، بعـــد ســـنوات طويلة من حكم أحزاب الاقليـــة . وخلال الانتخابات وبعـــدها انفجـــرت الحركة الشعبية التى طالما كبتت بالاحكام العرفية والسياسات المعـــادية للجماهير . وتنامى المد الوطنى تحت شـــعار أساسى هو الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، كبداية لتحـــرير مصر من الاحتلال العسكرى البريطانى وكل أشـــكال الهيمنة الامبريالية على البـــلاد . وتزايد الضغط الشعبى على حكومة الوفد ، التى بدأت بالتفـــاوض مع البريطانيين ، فانتهت الى قطع المفاوضات ، وأخـــذت شيئا فشيئا تستجيب لمطالب الجماهير الوطنية (*) ...

(*) « حريق القاهرة — قرار اتهام جديد » ،دار الثقافة الجديدة — ١٩٧٥ ، من ص ٣١ الى ص ٦١ ومن ٣٧٧ الى ٣٩٣ .

وهكذا بدأت الأمور تتبـــدل فى مصر بالنســـبة للامبراطورية البريطانية . ولأول مرة — منذ زمن طويل — يصبح الشـــارع والحكومة فى اتجاه واحـــد ضدها ، وان اختلفت الأساليب ، وطبيعة الأهداف ..

وبعد عام واحـــد من مجيء الحكومة الوفدية الى الحكم — وبرغم أن ذلك العـــام استغرق تقريبا فى المفاوضات بين النحاس وهندرسون — ظهرت علامات التبدل ..

وقد عبرت مراسلات السفير البريطانى فى القاهرة عند ذلك :

● ففى ٣ يناير ١٩٥١ ، أرسل السير رالف ستيفنسون الى وزارة الخارجيـــة ، يطلب الاذن له بابلاغ الحكومة المصرية ، أن بريطـــانيا — فى مواجهة الاعداد لاصـــدار قانون يجرم التعاون مع القوات البريطانية — لن تعقـــد أى اتفاقية مع مصر ، ما لم تقـــدم الأخيرة حمـــاية للمقيمين الأجانب الذين يعملون مع القـــوات البريطانية . ومن باب المنـــاورة وحشد أكبر عـــدد من الدول ضـــد مصر ، طلب ستيفنسون من حكومته اشراك حكومات كل من فرنسا وايطاليا واليونان وبلدان اخرى فى الضغط على الحكومة المصرية فى ذات الاتجاه ..

وقال السفير لوزارة الخارجية أن « تحـــذيرا » من هـــذا النوع ، سيكون عملا « استهلاليا » ، لقطع الطريق على مثل تلك الاجـــراءات ، وألح فى أن يصـــــله مثل ذلك التحـــذير من لندن ، حتى يكون له الوقع المناسب . وقال أنه ســـيكون مسرورا ان أذن له « **بأن يعـــلم رئيس الديوان الملكى بأن مثل هذا العمل من المحتمـــل أن يحـــدث ، وأن الامر يكتسب أهمية لأن القانون يمكن أن يمـــر فى البرلمان بسرعة فى المستقبل القـــريب** » ، أى أنه يريد تحريض الملك على الحكومة ، وينبهه الى خطورة الأغلبية الوفدية فى البرلمان ، وأن على الملك أن يتدارك الامر ..

ثم يضيف السفير البريطانى :

«وبالنسبة لاقتراح تهـديد المصريين بحجب تعاوننا فى مجالات معينة ــ (الفقرة ٢ من البرقية المشار اليها ، الى قيـادة القوات البريطـانية فى فايد) ــ وبدون تقـديم معـلومات تفصيلية عن الاجراءات التى نعـد لاتخاذها ، فاننى لا استطيع القـول بأن مثل هذه الاجراءات ستكون مؤثرة فى جعـل الحـكومة المصرية توقف حملتها ضـد العاملين مع القوات البريطانية . انطبـاعى الأولى ، انهم لن يغيروا موقفهم بسبب اى قصور محتمل فى مجال الادارة ، اللهم الا فى مجال الصحة العامة ، وفى رأيى ، ان منـع تعاوننـا فى مجال الصـحة العـامة سيكون سلاحا ذا حدين ، لأنه :

(أ) سيؤثر جديا على أفراد قواتنا ومدنيينا ..

(ب) سيجعل المصريين يقيمـون ضـجة كبرى حـوله ، ويستخدمونه فى الدعاية لدى الهيئات الدولية ، مما يشكل صعوبة لا حد لها بالنسبة لنا ، لن نستطيع مواجهتها .. » .

واختتم السفير برقيته بأنه يحبذ أن تتخـذ قيـادة القوات البريطانية اجراءات فعالة « لحماية موظفيها » (٣) .

● ومضى عام ١٩٥١ فى شـد وجذب بين مصر وبريطانيا . لكن مع خريف ذلك العـام تبدلت الدنيا . فألغى النحـاس معـاهدة ١٩٣٦ ، وأصبح الوجود البريطانى فى البلاد عاريا من الشرعية الشكلية ، وصارت مقـاومة ذلك الوجود حقـا شرعيا للشـعب ، واستجابت الحكومة لمقتضيات ذلك ..

---

(٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم ١٩ / القاهرة .

وهكذا ، فى ١٨ ديسمبر ١٩٥١ ، أرسل السفير البريطانى برقية مطولة الى وزير خارجيته ، يحيطه فيها بالمستجدات الخطيرة . .

قال السفير فى برقيته التى خصصت لموضوع « كتائب التحرير » :

— أن رئيس الوزراء (النحاس) أعلن تأكيد قرار الحكومة بوضع « كتائب التحرير » تحت سيطرتها . وعن تعيين عبد المجيد عبد الحق (وزير الدولة) مسئولا عنها . ووصف ستيفنسون عبد المجيد عبد الحق بأنه « لا يعرف عنه أنه مؤهل لذلك ، الا أنه من رجال وزير الداخلية (فؤاد سراج الدين) الذى سيمنح اجراءاته تأييدا كاملا » . وأن لجنة عسكرية من كبار الضباط السابقين قد عينت لمساعدة عبد الحق ، وأن اختيار الضباط من الذين أحيلوا على المعاش هو للمحافظة على الطابع الشعبى وغير الرسمى لهذه الكتائب ، وأن اللجنة تتكون من اللواء صالح حرب ، ومحمد فتوح ، وحسين محمود باشا ، وعلى المواوى بك ، « وهم جميعا من المتورطين فعلا فى تنظيم — أو على الاقل الدعوة — لكتائب التحرير ، وأن تعيينهم يقلل من الاعتقاد بأن الحكومة تتجه للسيطرة على هذه الكتائب ، وانما ستستخدمها » ، وأنه قد تم فتح اعتماد بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه للأغراض المتعلقة بالكتائب .

ولفت ستيفنسون نظر ايدن الى أن « الاسم الذى لوحظ اسقاطه من قائمة الضباط السابقين الذين تم تحديدهم كمستشارين هو الفريق عزيز المصرى ، الذى ذكر أكثر من كل زملائه باعتباره قائدا لكتائب التحرير » .

وأحاط السفير وزيره بأن « السير توماس راب — مسئول كبير فى قيادة القوات البريطانية فى فايد — قابل « المصرى » ، وأبلغنى أنه — أى المصرى — أكثر حساسية مما كان يظن . وذكر المصرى أنه لا يعتزم تشكيل كتائب . وقال أن قيادتها فرضت عليه ، ونفى أنه المسئول

عن كتيب حرب العصابات الذى أشرت اليه فى الفقرة ٨ من برقيتى العاجلة المشار اليها ، وان كنت لا أزال أخشى الفجوة الواسعة بين اللغة التى تتحدث بها الشخصية المصرية فى الحديث الخاص ، ولغتها عندما تواجه الصحافة ، على أن ذلك يوضح أهمية كتائب التحرير ، والى أى درجة عالية بلغت فى تنظيمها تحت قيادتها الراهنة ... » .

وقال السير رالف ستيفنسون فى معرض تقييمه لتلك الكتائب :

« منذ اكدت الحكومة سيطرتها على الكتائب ، الا انها لم تفعل شيئا لوضعها فى شكل منظم تنظيما دقيقا ، ويحتمل أن يكون الوضع كما كان عليه منذ ثلاثة اسابيع . الفرق الوحيد هو انها اصبحت من الناحية الاسمية تحت سيطرة الحكومة ، حيث كانت تحت السيطرة الاسمية لبعض الاجهزة السياسية غير المحددة .. » .

وأنه « يصعب تحديد حجم الكتائب . الا انها فى أحسن تقدير لا تزيد عن ١٠٠٠ رجل ، بينهم ٢٠٠ من أنصار حزب أحمد حسين الاشتراكى ، و ٤٠٠ من جمعية صالح حرب (الشبان المسلمين) ، وان كنت غير مطمئن لهذه الأرقام . معظمهم من الطبقة العاملة ، ويقودهم طلاب من منظمات الشبيبة لاحزاب سياسية متعددة » .

واهتم السفير أن يسجل انه « فى نهاية نوفمبر ، ظهر البوليس ليقوم بغارة على معسكر تدريب خاص بكتائب الحزب الاشتراكى . والاقوال تختلف حول اذا ما كان المكان فى القاهرة فى أو الشرقية . وأنا أميل

الى أنه ربما يكون نوعا من الضغط لكى يقبلوا اشراف الحكومة ، وان كان الحادث قد زعزع الثقة فى موقف الحكومة . ومثل هذا التصرف هو بطبيعة الحال نوع من الغباء غير المعتاد من جانب هذه الحكومة ، اذ تحاول السيطرة على الكتائب ، فى نفس الوقت الذى أعلنت فيه السماح لكل المصريين بحمل السلاح ... » .

ولاحظ أنه « حتى اعلان الحكومة ، فان طلبة جامعة فؤاد (القاهرة) كان اهتمامهم بالكتائب محدودا ، لكنهم بعد الاعلان قرروا أن يشكلوا كتائبهم الخاصة المستقلة عن اشراف الحكومة . وهم يطالبون بالحق المطلق لجميع المصريين فى حمل السلاح .. ».

وعن القيمة العملية لهذه الكتائب — من وجهة نظره — قال : « انهم يتلقون تدريبات عسكرية أولية ، ولم يظهر لهم نشاط فى منطقة القنال » . ونبه الى خطورة دعوة ظهرت على صفحات روز اليوسف « ذات الطبيعة المتطرفة » تدعو كتائب التحرير للعمل فى القنال ..

وفى نهاية البرقية ، سجل السفير « انطباعه العام » ..

« انه بالرغم من ان تنظيما حكوميا اسميا للتدريب العسكرى للشباب قد اصبح موجودا وربما يكون له تأثير فى تهدئة مشاعر التطوع بين شباب الحزب ، ويحبط جانب الاتجار بحركة التحرير فى القاهرة ، فانه لن يكون له تأثير على النشاط الذى تقوم به تلك المجموعات الارهابية الفردية التى تعمل على ضفاف القنال ، وغير ممكن اخضاعها لأوامر وزير الدولة ، بينما كانوا فى الماضى يكبحون بواسطة البوليس المصرى (٤) .

---

(٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ — البرقية رقم ٤٣٥/القاهرة .

● وفى نهاية ديسمبر ١٩٥١ ، بعث السفير البريطانى ببرقيتـــة الموجزة العاجلة ،التى خصصها لتلخيص مواد قانون تجـريم التعـامل مع القــوات البريطانية ، كما نشرته الصحف المصرية . فقال أن مجلس الوزراء المصرى وافق فى ٣٠ ديسمبر على مشروع مرسوم من ٤ مواد . تنص الاولى على أن أى شخص يتعــاقد مباشرة أو بالواسطة مع قوات عسكرية أجنبية أو أفراد منها ، معـــرض للســجن وغرامة لا تقـل عن ١٠٠٠ جنيه (ويشمل التعــاقد : تقــديم الأغذية ــ أو الملابس ــ أو المبانى ــ أو أى امدادات ..) . وتنص المـادة الثانيـــة على أن أى شخص يعمل أو يستمر فى العمل فى خدمة هذه القوات أو أفــرادها يتعرض للسجن لمدة سنتين . وتنص المــادة الثالثة على أن أى شخص يتعاقد لامداد هذه القوات بالعمال أو أى خـدم يعاقب بالعقوبة الاولى . وتقول المادة الرابعة أن أى شخص يتهم بارتكاب أى من هذه المخالفات يكون عرضة للعقوبات المبينة أعلاه (٥) .

● وبعد ثلاثة أيام ، بعث ستيفنسون ببرقية شفرية « ذات طبيعة سرية خاصة » ، يبلغ فيها وزارة الخارجية ، أنه :

قدم « ملاحظات هامة الى القصر » حول هذا القــانون ، مؤكدا على انه ــ اى القانون ــ « سوف يثير نشاطا مضادا من قبل القوات البريطانية فى منطقة القنال ، ستكون آثاره على النظـام الاجتماعى والادارى والاقتصادى لمصر غير ممكن تقديرها » .

---

(٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم ١٣٠٤/القاهرة .

وأضـــــاف :

« أن زميلى ســفير الولايات المتحدة ، المدعو للقاء رئيس الديوان الملكى الجديد هذا الصباح ســـوف يتحدث بقوة فى نفس الاتجاه » ... « وزميلى ســفير فرنســا ينتــوى اتخاذ موقف مشابه » (٦) ...

● وبعـــد أسبوع آخر ، كان الموقف قد تأزم أكثر ، فأرســـنل ستيفنسون الى وزارة الخارجية مذكرة سرية خاصـــة ومستعجلة ، يحيطها فيها بأن :

« الجنرال ارسكين مستعد الآن لتنفيذ بعض عمليات تطهير فى التـــل الكبير وأبوصـــير ، التى نفــذت بجوارها سلسلة من الكمائن المخططة بعناية » .. « وبالرغم من رغبتنا فى أن تبقى الامور هادئة بقـــدر الامكان ، فاننى أوافق على أن هذه العمليات مبررة ،وأن الجيش أبدى تحملا عظيما خلال الشهر الاخير ، بعدم قيامه بعمل قبل ذلك » ...

و « علاوة على ما تقـــدم ، فان السلطات المحلية المصرية أعطيت فرصة كافية لترتيب أمورها ، لكنها فشلت فى الاســـتجابة للطلب الذى قدم اليها (٧) ... » .

واذا كانت البرقية الاخيرة تعكس تعقد الازمة فى مصر ، وتحـــولها

---

(٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ — البرقية رقم ١٨ /القاهرة

(٧) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٥٩ — البرقية رقم ٥٣ /القاهرة .

من أزمة سياسية الى أزمة سياسية عسكرية ، بظهور تأثير تنفيذ التوجهات السياسية السابق الاشـــارة اليها ، وظهور حركة المقاومة المسلحة المصرية فى منطقة القنـــال ، فان البرقية التالية تعكس آثار ذلك كله داخل أجهزة الدولة البريطانية ..

● البرقية بتاريخ ١٣ يناير ١٩٥٢ ، وفيها يناقش السفير المقترحات المطروحة من قبـــل قيـــــادة القـــوات البريطانية فى فايد (والمعروضة على مجلس الوزراء البريطانى) . وهى تعكس أى صعوبة حقيقية كانت تواجهها هذه الاجهزة مجتمعة ، والى أى حد تفاوتت تقديراتها للموقف فى مصر .

يقول السير رالف ستيفنسون :

« يبدو لى من المهم التمييز بين أمرين :

(أ) الاجراءات التى يمكن فرضـــــها فى المدى القصـــير بمقتضى الصلاحيات المعطاة فعــــلا فى برقية .C.O.S (الشرق الاوسط) رقم ٦٢٦ ، أو تلك الاجـــراءات الاضافية المذكورة فى برقية .C.C.L رقم ٥٨٤ ، أو تلك المذكورة فى برقيتى رقم ١٢٤٠ التى لم يوافق عليها مجلس الوزراء بعد ..

(ب) وبين فرض حكومة عسكرية كاملة (فى منطقة القنال). « وأن اوافق على ما جاء فى برقية وزارة الدفاع فيما يتصل بـــ أ . ولا أرى ضرورة للحكومة العسكرية .. » .

ثم مضى السفير يوضح مبررات موقفه :

« قد يقـــــال لتأكيد هذا الرأى (المتمسك بضرورة فرض حكومة عسكرية كاملة) ، أن الحكومة العسكرية ستكشف افلاس الحـــكومة المصرية أمام المصريين ، مما يؤدى الى سقوطها ..

(م ٣ ــ حريق القاهرة)

« وفى المقابل يمكن القول :

« ١ — ان هذه الحكومة (المصرية) تعرف انها لن تبقى فى الحكم الى الابد . وهم تقريبا أيضا لا يمانعون فى ترك السلطة فى اللحظة التى يمكن ان يصل فيها الشعور المعادى لبريطانيا الى ذروته ...

« ٢ — انها حكومة ديماجوجية غير مسئولة وعصبجية ، تحت ملك مقامر ، وهم لذلك مهيئون للذهاب الى اكثر مما هو متوقع من حكومة مسئولة تسير على نهج الغرب » .

واستخلص ستيفنسون من ذلك :

« أن الانسان يستطيع ، على هذا الاساس ، أن يعتقد انهم سوف يدفعون الازمة الى ذروتها ، حتى لو أدت الى فوضى ، والى اقالتهم من الحكم فى القاهرة » ..

ثم أخذ يناقش بعض الامور ذات الطبيعة العملية التى ستترتب على الاجراءات المقترحة :

« وفى هذه الظروف يبدو لى أن الموظفين (المصريين) المحليين فى منطقة القنال ربما يكونون اقل تعاونا بكثير عما توصى به مسودة البرقية . فهم سيدركون أن مستقبلهم الوظيفى ، وربما أرواحهم على كف عفريت . وكلما ارغمناهم على الخضوع ، وكلما كانت التعليمات القادمة من القاهرة والارهاب الذى سيمارسه عليهم مواطنوهم ، كلما كان ذلك مؤثرا فى اضعاف موقفهم . انه لمن الحكمة ، على هذا الاساس ، أن نتوقع أسوأ الظروف ، أى أنهم ان لم يكونوا تحت التهديد المادى المباشر ، فانهم ككل سيرفضون بالمرة تقديم أى معونة لنا ، وسيرفضون ممارسة أى مسئولية ادارية عند اعلان الحكومة العسكرية الكاملة. اننى استطيع أن أكون أكثر تفاؤلا فى حالة تنفيذ الفرض ٢ — أ .

وبما اننى لا أوافق على المسودة كما هى ، فاننى يمكن أن أوافق لو أن هذه الافكار وضعت فى برقيتين ، احداهما تعالج سياستنا على أساس الافتراض ٢ ــ أ ،وأخــرى ترد على التساؤلات التى أوردتها وزارة الحــرب الخاصــة بــ ٢ ــ ب ، والتى وضعت الملاحظة فى برقيتى العاجلة التالية (٨) ... » .

● فى نفس اليوم ــ ١٣ يناير ١٩٥٢ ــ كان على السفير البريطانى فى القاهرة أن يخوض جدلا آخــر مع وزارة الخارجية حول الاجــراءات التى تعــد لمواجهة تصاعد الموقف فى مصر ..

كانت المسألة المطروحة بالحاح هى مسألة فرض الحكومة العسكرية الكاملة (البريطانية) على منطقة القنــال للسيطرة على الموقف . وكانت البرقيات تروح وتجىء حول تفاصــيل الاجراءات فى حالة اللجوء الى ذلك الحل . وفى هذه البرقية ، وبعد أن يناقش الســفير بعض الاجراءات ، يحذر حكومته :

« .. وبخصوص ١١ هـ ، بالرغم من أن عملية انتقــامية حادة ضد المصالح البريطانية فى الدلتا محتملة دائمــا ، فانهــا مجازفة يجب أن تكون متوقعة . ان أخطارا مادية حقيقية على الارواح فى الدلتا سوف تتبــع اجــراء فرض الحكومة العسكرية الكاملة فى القنــال ، لكن اجراءات نوقشت ، لم تتناول ذلك ، ستجعلها بالضرورة متضمنة مخاطرة كبرى » ..

ويقول فى مقطع آخر من البرقية ذاتها :

« فقرة ٤ و ١١ (و ــ ز وو ــ ١) يبدو لى أنهــا تنطبــق فقط على وضع يكون فيه الاجــراء من جانبنــا قد أدى الى انعدام

---

(٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٥٩ ــ البرقية رقم ٦٦ / القاهرة .

أى تعـــاون من الجانب المصرى ، وعندما نكون نحن المحاكمات قد اصبحنا نمسك بسلطة السيادة • وفى ، الن تكون هناك حاجة لأعداد أكبر من قوات البوليس ؟

● وفى ١٦ يناير ، أبرق الســـــفير لوزارته ، يحيطها مجلس الوزراء المصرى اجتمع يوم ١٣ يناير واتخذ جملة من ا لتخفيف الأوضاع الصعبة فى منطقة القنال ، واستعرض السفير وفقـــا لمـــا نشر بالصحف . وكانت تتضمن : اعطاء قروض لا اعفـــاء الطلاب من الرســـوم — عمل بطاقات تموين — تحـــدي بالنسبة للمواد الغذائية الاساسية — عمل بطاقات شخصية عودة العمال الذين تركوا العمـــــل فى معسكرات القوات البر بلدانهم .. وأن مجلس الوزراء المصرى أعلن أن : « الاجراءا سوف تتخذ فورا لاجتثاث نشاطات التنظيم المعـــروف باسم (الحـــرية) من جميع الاقاليم المصرية ، وكذلك نشاطات النوادى على هذا التنظيم (١٠) » .. وعن التنظيم الاخير ، سنورد فيما ب خصصها السفير للحديث عنه ، تبين دلالة القـــرار ، وأهميـ بالنسبة لبريطانيا ..

● واذا كانت البرقية السابقة قد اكتفت باستعراض ا فقط للابلاغ السريع ، فان برقية لحقتهـــا فى اليوم نفسه تضمنـ السفير ، واقتراحاته بالاجراءات التى يجب اتخاذها لمواجهة ســ الحكومة المصرية ..

---

(٩) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقـ — البرقية رقم ٦٧ / القاهرة .

(١٠) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقـ — البرقية رقم ٨٢ / القاهرة .

قال السفير البريطانى فى برقيته الثانية ليوم ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، « ذات الطبيعة السرية الخاصة » :

« حول الاجراءات التى اتخذتها الوزارة المصرية ، الخاصة « بتخفيف الوضع فى منطقة القنال » ، فان الاجراء الاكثر اثارة للمشاكل بالنسبة لنا فى القنال هو قرار اقامة نظام بطاقات تحقيق الشـــخصية ، الذى ربما يعطى البوليس المصرى فرصا أوسع لاضطهاد غير المصريين الذى يعملون معنا ... » .

وأضاف أنه :

« أعلن أيضا أن اجتماع الهيئـة البرلمانية الوفدية ، الذى ترأسـه رئيس الوزراء ، قد خصص ٢٥ الف جنيـه لصـالح النضال المصرى ضدنا فى منطقة القنـال (وطبقا لمصادر غـير مؤكدة ، فان المـال سيأتى من مصادر حكومية) ... » .

ونبـه الى أنه :

« لا شك فى أن ضربة التل الكبير قد صدمت الرأى العـام هنا ، وجددت الشكوك حول فعالية سياسة الحكومة ، بالرغم من المظاهرة الضخمة التى قام بها الطلاب فى القاهرة أمس بمناسبة تشييع احـد الضحايا . ومن ثم فانها ربما تكون مناسبة ملائمـة لزيادة الضغط فى منطقة القنال ... » .

ولفت النظر الى أنه :

« لابد أنكم ناقشتم بلا شك ما اذا كان من الممكن اعتبـار الهجوم الذى قامت به عصابة منظمة من ١٠٠ مصرى فى التـل الكبير ، تلتها محاولة اقتحام طريقنا بواسطة ٣٠ــ٤٠ من البوليس الاحتياطى المصرى (التى كشفها التقـاط الاشـارات المصرية

رقم ١١٦ و ١٢١) ، تشكل جزءا من « الحادث الكبير » الذى ورد فى برقيـــة قيادة الشرق الاوسط ـــ ٦٢٦ ، والذى يرتب فرض رقابة مشددة على الحركة . ان ذلك الحادث الذى قام به البوليس الاحتياطى المصرى يقـــدم سببا عسكريا لفرض المراقبة (على كوبرى العباســـــة .. ؟) بغـــرض منع اى تكرار لذلك ... » .

ووصل الى اقتراح محدد :

« فاذا اتخذت هـــذه الاجراءات على الفـــور ، فان ذلك سيكون له تأثير مفيد هنا . خاصة اذا منعت الرقابة المشـــــددة الوزراء المصريين من زيارة منطقة القنال . فلقد استثمرت الحكومة المصرية الزيارات الاخـــيرة التى قام بها وزراء الصحة العـــامة والشئون الاجتماعية (وخصوصا الاخير) لصالحها الخـــاص . ان الاثر المضاد ربما يحدث بمنع الوزراء من الوصـــول الى قنال السويس ، لانه ســـوف يكون دليلا واضحا على افلاس سياسة الحكومة (١١) ... » .

وتوضح برقية جوابية بعد ذلك ، أن السفير اقترح فى برقية تاليـــة الكتابة الى الملك نفسه (فاروق) حول الوضع المتدهور ، وحول التبريرات لعملية التل الكبير ، لتنسيق الموقف بين الملك وبين بريطانيا فى مواجهـــــة حكومة الوفد والحركة الوطنية المصرية ، وهو ما كان يحـــدث باستمرار كما ستكشف الكثير من الوثائق ..

---

(١١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـــ ملف رقم ٩٦٨٥٩ ـــ البرقية رقم ٨٣ / القاهرة .

● ردت وزارة الخارجية البريطانية على برقية سفيرها بالبرقية الشفرية رقم ١٢٧ بتاريخ ١٩ ينـاير سنة ١٩٥٢ بهذه الكلمات « المغلقة » :

« اذا كنت تعتقد أنها ستكون لها تأثير مناسب على الملك ، فاننى أوافق على أساس ما كتبته كما هو مقترح فى الفقرة ٣ من البرقية المشار اليها . قبل الكتابة ، فانك بلا شك ستأخذ بعين الاعتبار نتائج الاستفهام المذكور فى الفقرة ٢ . ففقرتك رقم ٤ ، أنا موافق (١٢) ... » .

وتتشعب المعارك التى تواجهها الامبراطورية فى مصر ، وتتعدد جبهاتها ...:

● وهكذا يرسل السفير برقيته التالية يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٥٢ الى وزارة الخارجية ، لينقل اليها أنباء جبهة جديدة ، يقول فيها :

« فى مذكرة تلقيناها هذا المساء ، قال وزير الخارجية (المصرى) بأن الحكومة المصرية تعرف بدون شك ، أن البريطانيين يحتجزون فى معسكراتهم عددا من « الوطنيين المصريين ، الذين هم فى غالبيتهم أعضاء فى حركة المقاومة » ، الذين أسروا فى مجرى الاشتباكات مع القوات البريطانية أو بصورة فردية . وعلمت السلطات المصرية أيضا أن بعض هؤلاء الوطنيين قد تعرضوا

---

(١٢) مجموعة وزثائق وزارة الخارجية البريطانية ـ ملف رقم ٩٦٨٥٩ ـ البرقية رقم ١٢٧أ / الخارجية ـ لندن .

للتعذيب والضرب بصورة لا تحدث الا فى معسكرات الاعتقـال النازية . وأن السلطات العسكرية البريطانية قامت باعـدام بعضهم بعد اعتقالهم . وأنه بينما تقوم الحكومة المصرية بتجميـع كل المعلومات ، فانها تحتج بشـدة ضد هذه الاعمال الوحشـية وغير الانسانية .

« واستمرت المذكرة : أن هذه الاعمال البربرية هى مخالفة صريحة للاتفاقيات الدولية . ثم تشـير ببعض الاطالة الى نصوص معاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ حـول تحديد معاملة أسرى الحرب ، وتحاول أن تظهر أن المعاهدة تنطبق على الوضع الراهن فى منطقة القنال ، خالطة بين مقاومة عسكرية حقيقية و « حركة مقاومة منظمة » . لتقـول : ان أعضـاء هذه الحركة ، الذين وقعـوا فى أيدى « أعدائهم ، أو بكلمات أخـرى ، القـوات البريطانية فى منطقة القنال » يجب أن يعتبروا — على هـذا الاساس — أسرى حرب ، ويعاملوا معاملة انسانية .

« واستخلصت المذكرة أن الاعدام بدون محاكمة والتعـذيب لبعض الوطنيين من أفراد حركة المقاومة يعنى أن السلطات العسكرية البريطانية تجاهلت معاهدة جنيف والمبادىء الاوليـة للمواثيق الانسانية ، وتلفت الانتبـاه الى حقيقـة أنه دائما وفى كل مكان ، فان الاعمال الآتيـة ، ضـد الأسرى والجرحى ، محظورة : القتـل بجميع صوره . التمثيـل بالجثث . المعاملة القاسية . التعـذيب . الاكراه البدنى . المعـاملة المذلة . التقليل من الشأن أو الدرجة أو الرتبة . تنفيـذ أحكام الاعـدام بدون محاكمة مسبقة (١٣) ... » .

---

(١٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٠ — البرقية رقم ١١٤ / القاهرة .

ويتضح أن الجبهة الجـــديدة التى فتحت أمام السلطات البريطانية لم تكن بالأمر السهل . اذ نتبين أن مجموعة من الوثائق قد أخذت تروح وتجيء حول الموضـــوع ، تكشف مأزق بريطانيا . وفى ٢٢ يناير يضطر السير توماس راب (المسئول الكبير فى القيـــادة فى فايد) الى الابراق شفريا ببرقية « ذات طبيعة سرية خاصة » يعـــرض على وزارة الخارجية اقتراحا صوريا يعكس تورط السلطات العســـــكرية البريطانية ، ويشى بخشيتها من فضيحة دا ة ...

يقول السير توماس راب :

« اذا كنت ترى أنه ســـوف يكون ذا قيمـــة ، فى مواجهـــه الاتهامات الفظيعة ، التى تضمنتها المذكرة المصرية التى لخصتها برقيتكم رقم ١١٤ الى وزارة الخارجية ، فان السلطات العسكرية هنـــا يمكن ان تعـــد للسماح لممثل مهـــايد ، وليكن ممثلا للصليب الاحمر ، بزيارة معسكر الاعتقال . ان مثل تلك الزيارة ســـوف تعتمـــد على العمـــوم على احتمال العثور على ممثل مهـــايد بشكل كاف ، وشـــجاع ، لكى يسجل باخلاص ما رآه . وليس ممكنا بالنسبة لنـــا هنا أن نحكم اذا كان مثل هذا الشخص يمكن العثور عليه ، والى أى حـــد سوف يحمل تقريره المصريين على الاقتنـــاع . على أننا نظن أنه يجـــدر اخذ هذا الاقتراح بعين الاعتبار لديكم ... (١٤) » .

أما آخر برقية سنوردها للمسئول السياسى البريطانى ، فهى البرقية « ذات الطبيعة السرية الخاصة » التى أرسلها الى وزارة الخارجيـــة

---

(١٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ــ البرقية رقم ٦٨ / المكتب البريطانى للشرق الاوسط ــ فايد .

يوم ٢٤ يناير ١٩٥٢ ، والتى تتحدث عن جبهة ثالثة أو رابعـــة كان يدور عليها الصراع ...

● يتناول السير رالف ستيفنسون فى هذه البرقية مجـــال الحرب الاقتصادية ... يقول :

« الاجراءات (الاقتصادية) التى تم اتخـــاذها بالفعـــل منذ الغاء المعاهدة (١٥ أكتوبر ١٩٥١ ـ عندما تم التصديق على مرســـوم الالغـــاء) ، والتى من شـــأنها أن تؤثر على نقص نشاطاتنا التجارية ، ســـواء مباشرة أو غير مباشرة ، هى : طرد الموظفين البريطانيين والخبراء الملحقين بسكك حـــديد الحكومة ، ومصر للطيران ، وفى العـــديد من الوزارات . وقد أعلنت مقاطعة البضـــائع الانجليزية ، الا أنها لم تطبق تطبيقا واسعا ... » .

وأضـــــاف :

« اعتقـــد أنه لولا مشترياتنا من القطن المصرى ،واتفاقية أرصـــدة الاسترلينى ، لكانت الحـــكومة (المصرية) قد ذهبت فى تطبيق عقوبات اقتصـــادية الى مدى أكثر مما تم حتى الآن . ان وزير المالية ، على كل حال ، على وعى تام بأننـــا نستطيع أن ننتقم ، وأن نسبب متاعب لا حـــد لها للاقتصـــاد المصرى ، ومن ثم فانه نجح فى لجم زملائه عن أخـــــذ المزيد من الاجراءات الحادة ضدنا ... » .

ثم قال :

« انه يبقى مفتوحا أمامهم على أى حال رفض تجديد تأشيرات المقيمين على نطاق واسع . وهذه يمكن أن تكون خطوة أولى . لكن ، حسب تصورهم الراهن ، فربما تتخذ الحكومة خطوات

أوسع . انهم يشعرون بالفعل اننا خيبنا أملهم ، بعدم الافراج عن عشرة مليون جنيه بمقتضى اتفاقية الاسترلينى . انهم يحتمل أن يقرروا مقاطعة البضائع البريطانية رسميا ، واغلاق البنوك البريطانية وحصر أنشطة شركات التأمين ومكاتب المراجعة البريطانية ... الخ . ان حدث ذلك فان عددا كبيرا من البريطانيين المشتغلين بالتجارة ربما يغادرون البلاد ... » .

ونبه وزارة الخارجية مرة أخرى الى أنه :

« سواء ب ـ أ أو ب من الفقرة ١ فى برقيتكم المشار اليها ، فان كلتا الحالتين سوف تعجلان بالأزمة وبالمزيد من العقوبات الاقتصادية الخطيرة . مثل تلك الازمة على أى حال ستبرز فى أى وقت ، فى الوضع المتدهور باضطراد هنا . وسوف يكون لها آثار أكثر خطورة من آثارها الاقتصادية أنظر (برقيتى رقم ١٤٦). انه سيكون من الخطأ ، بناء على ذلك أن تربط ربطا وثيقا بين الاجراء الاقتصادى المحتمل ، وبين النقاط التى تذكرها ... » .

ويختتم السفير برقيته بهذا الاستنتاج المترقب :

« انه لمن المستحيل تقريبا التكهن بشأن أى اتجاه سيقرره الوزراء الحاليون . بالرغم من أن تجريد البوليس الاحتياطى فى الاسماعيلية من السلاح ، المزمع تنفيذه غدا ــ ٢٥ يناير ــ يمكن أن يكون حالة اختبار . أن تقدير أن العقوبات الاقتصادية من كلا الجانبين سوف يتعب مصر أكثر منا ، ربما يجعلهم يظلون غير راغبين فى اللجوء الى هذا السلاح (١٥) ... » .

---

(١٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ــ البرقية رقم ١٤٩ / القاهرة .

وقبل أن نغلق ملف الصراع السياسى ، الذى كانت تخوضه الامبراطورية البريطانية مع الحركة الوطنية المصرية ، سنتوقف عند علامتين مهمتين فى مجرى هذا الصراع ،لعلهما يذكران من نسى بالمبدأ الاستعمارى الشهير « فرق تسد » ..

● يوم الجمعة ٤ يناير وقع حادث مؤسف فى السويس ، ظهر كحركة فتنة طائفية بين المسلمين والاقباط . وأحرقت كنيسة السويس بعد أن اعتدى على من فيها وما فيها . وقد حققت الحكومة حينئذ فى الحادث . وقدم عبد الفتاح حسن تقريرا عن الموضوع ، بعد أن زار السويس وحقق الامر بنفسه . وبناء على ذلك قرر مجلس الوزراء أن الحادث هو محاولة للوقيعة بين عنصرى الامة المصرية ، وأنه يستهدف شغل المصريين بمعارك فيما بينهم . وأن المستفيد من ذلك هو المحتل البريطانى . وبناء عليه فقد اتخذ قراره المشار اليه من قبل بالغاء تنظيم « اخوان الحرية » باعتباره تنظيما عميلا للمخابرات البريطانية ، وانه كان الاداة التى نفذت حادث السويس ..

السفير البريطانى فى مصر اهتم جدا بالحادث . فأرسل يوم ٧ يناير برقية « سرية » « عاجلة » « خاصة » . ماذا حرص السير ستيفنسون على قوله لحكومته عن هذا الحادث ؟

ــ وصف الحادث على نحو بشع : قال أن الجموع دمرت وأحرقت الكنيسة . وقتلت واحدا على الاقل من رعاتها . وفى تقرير آخر أن اثنين آخرين قتلا . « **وأن اجسادهم قد قطعت بالاسنان الى قطع صغيرة . ثم ألقى بها الى الشوارع وأحرقت .. » ..!!**

هكذا يقدم سعادة سفير دولة متحضرة كبرى صورة من صور أفلام الرعب عن الحادث .وهو يعلم ، كما يقول فى برقيته ، أن لا شىء نشر عن الحادث ، لان الحكومة المصرية رأت أن تحاصر الموضوع ،

ومن ثم فان معلوماته تلك ستكون المـادة الوحيـدة التى ستغذى أجهزة الاعلام البريطانية والغربية ...

ــ ثم ذكر أن المجلس الملى قد عقـد اجتماعا طويلا ساخنا برئاسة البطريرك لدراســة الغاء الاحتفال المعتاد بميلاد المسيح يوم ٧ يناير . وأن الاقبـاط الوفديين حاولوا تهدئة الموقف . وأن الحكومة قررت تخصيص ٥٠٠٠ جنيه لاعادة تعمير الكنيسة ، « الا أنه ليس واضـحا ما اذا كان الاقباط سيقبلون المبلغ أم لا » ..

ــ ونبـه الى أن الحكومة الوفدية وصحافتها ينسبون الحـادث الى « مؤامرة بريطانية » ، ويصـورون الاجـراءات التى اتخـذها الاقباط بوصفها احتجاجا ضد اعتداء بريطانى ، والتآخى الاسـلامى القبطى .

ــ ثم يقترح على وزارة الخارجية :

« فاذا سمحت الرقابة بنشر أى رسـائل فى الخارج ، فانها سوف تكون فى الاتجاه الذى أشرنا اليه فى الفقـرة ٤ أعلاه (أى كلام الحكومة الوفدية) . **وعليه فاننى أقترح أن يقوم قسم الانبـاء بأوسع عملية نشر للحقـائق الصحيحة (التى ذكرها هو فى وصف الحـادث !) ، مع بذل جهود خاصـة لتعميمها فى ايطاليا واليونان لان كلا البلدين لهمـا جاليات مسيحية كبيرة فى مصر » (١٦) ...**

وهكذا ، لا يكتفى السـفير البريطانى بالمسـاهمة الشخصية فى تأجيج الفتنـة الطائفية (ونترك موضوع تدبير الحادث نفسه جانبا) ،

---

(١٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم ٤٣ / القاهرة .

وانما يدعو حكومته لتحريض أهم مركزين عالميين للمسيحية (الفاتيكان فى ايطاليا — والكنيسة الارثوذكسية فى اليونان) ضد مصر ...

● أما البرقية الثانية ، فصادرة مبكرا فى مجرى الصراع ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ ، وهى مرسلة من وزارة الخارجية الى المكتب البريطانى للشرق الاوسط فى فايد . تقول البرقية :

« البلاغات الصحفية الصادرة عن قيادة قوات الشرق الاوسط ، تكرر نسبة أعمال الارهاب والجرائم الاخرى الى « العرب » . سأكون شاكرا اذا طلبت من رئاسة الاركان أن تحل كلمة « مصرى » أو أى وصف مناسب آخر محل كلمة « عربى » ، حيث أنه من المهم أننا يجب أن نؤكد على التفريق بين الدول العربية الاخرى ، وبين مصر » (١٧) ...

هل نحتاج الى مزيد من الايضاح لمغزى البرقية . وأى اسلحة كانت تستخدمها الامبراطورية البريطانية فى صراعها المرير للبقاء فى مصر ... ؟

* * *

ونتوقف قليلا عند نشاط السفير البريطانى قبل يوم ٢٥ يناير ، حيث بدأت الاحداث التى تلقى تهنئة وزير الخارجية بشأنها ، لنرى ما تعكسه الوثائق الصادرة عن المؤسسة العسكرية البريطانية ، سواء فى فايد (حيث مقر قيادة قوات الشرق الاوسط) أو فى مركز وزارات الحرب فى لندن ..

---

(١٧) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٠٢٢٣ — البرقية رقم ٩٦ / لندن .

● فى ٢ يناير ١٩٥٢ ، قدم المكتب البريطانى للشرق الاوسط — القسم السياسى احصاء موجزا للحوادث والخسائر التى وقعت للقوات البريطانية فى منطقة القنال ، بسبب النشاط الفدائى المصرى ...

يقول التقرير التمهيدى للاحصاء أن « فرع الشئون المدنية للقوات البريطانية قد أمدنا بالقائمة التالية للحوادث التى وقعت فى منطقة القنال منذ الغاء المعاهدة » ، « والتى ربما تكون ذات أهمية بالنسبة لكم » . وأن « الأرقام المحصلة هى الحد الادنى » ، وأن « الارقام المجموعة الآن هى للحالات التى ليس حولها شك » (١٨) ...

ثم يورد الاحصاء التالى :

طبيعة الحادث	العدد
— قنص	١٥٤
— تخريب مبانى	٤
— هجمات بالقنابل	٤١
— تخريب فى امدادات المياه	١٨
— تخريب فى السكك الحديدية	١١
— سرقة أو تدمير مركبات	٦
— قطع كابلات	٨٦
— قطع أسلاك شائكة	٥
— احراق	١
— انتزاع أسلحة	٢٧
— هجمات على الجنود	٨
— قتلى	١٨
— جرحى	١٢

---

(١٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٥٩ — البرقية رقم ٢٦ / ١٠١٦ أ . ج .

هذا النشـــاط الفدائى المصرى الذى تنامى بشكل سريع جـــدا فى مناخ وطنى عام ، أصبح يؤرق القيادة العسكرية البريطانية بصـــــورة خاصـــة . ومن هنـــا بدأت الاجتماعات على أعلى المســـتويات فى المجلس العسكرى البريطانى ، ولهيئة رئاسة أركان الحرب ، وللجـــان المتخصصة وتمتلىء دار الوثائق البريطانية بالملفـــات التى يشغلها هذا النشـــــاط المكثف ، والبادى التوتر والعصبية ، والذى موضوعه : الموقف فى منطقـــة القنال بمصر .

ومن بين هذا الركام من الملفات والوثائق ، سنكتفى بايراد « عينات من الوثائق العسكرية التى توضح ـــ بدون أى تعليق ـــ حقيقـــة وضـــع بريطانيا العظمى وجيوشها الامبراطورية فى مصر ..

● ففى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ . وبعد أخذ ورد طويل حـــول أكثر الاجراءات فعالية فى مواجهة الاعمال الفدائية المصرية ، تضع قوات الشرق الاوسط فى مصر خططا ، تصبح موضع لهفـــة قيادة بريطانيـــا العسكرية كلها . هكذا يقول الجنرال روبرتسون ، فى برقيته الصادر عن وزارة الدفاع الى قيادة قوات الشرق الاوسط :

« هيئة أركان الحرب متلهفة لمعـــرفة التفاصيل عن خططك لاحكام الســـيطرة على الحـــركة . برجاء ارســـــالها بسرعة بقـــدر الامكان » (١٩) ...

● فى أثناء ذلك ، كان موضـــــــوع فرض حكومة عسكرية كاملة فى منطقة القنـــال يشغل بال العسكريين البريطانيين ، ويحاولون اخراج

---

(١٩) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـــ ملف رقم ٦٨٦٢ ـــ البرقية رقم ٢٧١ DEF / وزارة الدفاع لندن .

الى حيز التنفيــــذ لينتهوا من متاعب الفـــــدائيين المصريين ، بينما كان السياسيون ، كما هو واضح من ملاحظات السفير كلما جاء ذكر موضوع الحكومة العسكرية ، أكثر حذرا من مغبـــة هذآ الاجراء ...

لكن ذلك لم يمنع أن مجموعة من اللجان المتخصصة فى المســــائل المتعلقة بالموضوع قد تم تشكيلها . كما تم تشكيل لجنـــة للتنســــيق بين هذه اللجـــان . وكلفت سكرتارية المجلس العســــكرى بوزارة الدفاع بترتيب اجتماعات اللجنة . وأعدت تقارير لتكون أمامها عند اجتماعها ..

وهكذا ، فى يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، كانت سكرتارية المجلس العسكرى قد أعدت لاجتماع اللجنـــة . وأعدت وزارة الحرب ورقة عمل للاجتماع تحت عنوان « استعراض للوضع الراهن » ليكون تحت نظـــر « لجنـــة التنسيق بين الاقسام الخاصة بالاعداد لحكومة عسكرية فى قنال الســـويس بمصر » ... !

كان جدول اعمال هذا الاجتماع يتضمن ثلاثة موضوعات :

١ ــ استعراض مسألة اقامة حكومة عسكرية فى منطقة القنال (من عدمه ...) .

٢ ــ اقرار ماهية الاجراءات الادارية اللازمة لاقامة مثل تلك الحكومة .

٣ ــ التوصية بشأن اى اجراءات يجب ان تتخذ على الفـــور ، بما فى ذلك تلك التى ربما تستتبع انفـــــاق الاعتمادات العامة .

وعكست ورقة العمل المشاكل الرئيسية التى تعترض السلطات البريطانية ، وهى :

١ — هل سيبقى الموظفون المصريون فى مراكزهم ، أم سيتركونها. وماذا سيترتب على كل من الاحتمالين ؟

٢ — الامدادات من الاغذية لمنطقة القنـــال ، هل ستستمر ، أم ستمنع ؟

٣ — ما الذى سيكون عليه وضع سكان المنطقـــة (٣٦٠ الف مصرى + ٤٠ الف غير مصريين) .. ؟

وسجلت هذه الورقة ملاحظات السفير البريطانى فى القـــاهرة ، وقائد قوات الشرق الاوسط ، لتكون أمام اللجنة وهى تتخذ القـــرارات .

وتلخصت الملاحظات فى الآتى :

(أ) فى كل الحالات ، فان الموظفين المصريين سوف يهجـــرون مواقعهم (اتفق فى ذلك السفير والقائد العسكرى) .

(ب) الســـفير قال أن الحكومة المصرية لن توقف امدادات الطعام من الدلتـــا . بينما عـــرض قائد القـــوات « أنهم ان فعلوا ، فيمكن الضغط على الحكومة المصرية بقطع الامدادت من الدلتا عن الجيش المصرى ، وحوالى ٢٢٠ الف مواطن مصرى فى سيناء » ...

(جـ) السفير والقائد نصحا بالاعداد للامداد بالاغـــذية ، فى حالة رفض الحكومة المصرية « اطعام مواطنيها » .

(د) السفير والقـــائد قالا انهما ليسا مع ان يكون المخـــزون الاحتياطى فى مصر . واقترح الســـفير أن يكون فى المملكة المتحـــدة أو أى مكان آخر يمكن منه الشحن السريع الى منطقة القنال اذا اقتضى الامر .

(هـ) القـــائد قال انه سواء بسبب المسائل الادارية او للاعتبارات الأمنية ، فان كثـــيرين من السكان سوف يغـــادرون المنطقة (٢٠) ...

واذا كانت الوثائق العسكرية السابقة توضح حجم الأزمة التى كانت تواجهها القـــوات البريطانية فى مصر .. فان الوثائق العسكرية الثلاثة التالية تبين التصاعد الخطير فى هذه الأزمة .

● ففى يوم ٢٣ يناير ١٩٥٢ ، وجهت قيادة الشرق الأوسط برقية « عملياتية عاجلة » الى وزارة الدفاع فى لندن ، تقول البرقية :

« ١ — ان الجنرال ارسكين تلقى رســـالة من محـــافظ بورسعيد تفيـــد بأنه اذا لم نوقف عملياتنا لتطهير الاسماعيلية ، فان اجراءات عنيفة سوف تتخذ ضـــدنا . وقد علمنا ان الرسالة فى الاصل صادرة عن رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

٢ — رسالة اخـــرى سلمت للجنرال ارسكين بواسطة ضـــابط الاتصال المصرى ، من وزير الداخلية ، كانت فى ذات الاتجاه .

٣ — المذكور اعلاه قد يعنى ان السلطات المصرية تتجـــه لأن تأمر البوليس المدنى فى الاسماعيلية بالتدخـــل ضـــدنا ، او ربما تقدم القوات المصرية على أعمال عدائية .

٤ — أوضح السفير فى برقيته رقم ٧١ بتاريخ ٢٢ ينـــاير

---

(٢٠) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ملف رقم ٩٦٨٦٢ — الوثيقة رقم M.G.E. / P. (52) 1 / سكرتارية المجلس العسكرى .

سنة ١٩٥٢ ، الموجهة الى الجنرال أرسكين ، والمكررة الى وزارة الخارجية ، أن الحكومة المصرية ربما كانت تدبر أعمالا انتقامية ضد المدنيين البريطانيين فى القاهرة .

٥ — نحن نشعر أن هناك احتمالا بعيدا أن التدبير ضد قواتنا ربما يتخذ شكل هجوم جوى بدون انذار بواسطة القوات الجوية المصرية . فى حالة حدوث هذا الهجوم — غير المتوقع — فانه سوف يكون أساسيا تلافى ذلك بمهاجمة الطيران المصرى فى قواعده .

٦ — سوف نكون شاكرين فى حالة التأكيد العاجل بالموافقة على اقتراحاتنا بالتصرف بالرد وفق الفقرة رقم ٥ التى أشرنا اليها أعلاه عندما تقتضى الضرورة (٢١) » ...

● فى نفس اليوم ، ردت وزارة الدفاع — رئاسة هيئة الاركان ، بالبرقية الجوابية التالية ، التى بدورها عكست تعقيدات الوضع . قالت :

« نحن نوافق على أن هناك احتمالا بعيدا لهجوم جوى مصرى بدون انذار على منطقة القنال . فاذا كان الهجوم منظما ، كمواجهة لبعض المحاولات الفردية التى يقوم بها بعض المتعصبين المضللين، فاننا نوافق على أن العمل المضاد الفعال الوحيد هو تدمير الطيران المصرى فى قواعده .

٢ — مثل ذلك العمل المضاد ، ربما — على أى حال — تكون له مضاعفات خطيرة جدا ، بما فى ذلك أعمال انتقامية ضد المدنيين فى الدلتا . وفى حين نعطيك الصلاحية لكى تتخذ

---

(٢١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٣١ — الوثيقة رقم CCL / 613 قيادة قوات الشرق الأوسط .

ما هو مناسب لمواجهة هجوم جوى منظم ، فان عملك يجب أن يكون محدودا فى الضرورى للحيلولة دون قيام السلاح الجـــوى المصرى بعمل آخر ، كما أنه عليك أن تمنع حدوث اضرار للمدنيين أو الممتلكات .

٣ ــ اننا نتوقع أن العمل المضـــاد الذى تخطط له سوف ينحصر فى هجوم أرضى بالبنادق والمدافع أو الصواريخ ، بغرض تدمير الطيران المصرى .

٤ ــ نحن نقـــدر على اى حال ان العمل المصرى المعطى فى برقيتك ــ فقرة ٤ هو الاكثر احتمالا ، ونحن على ذلك نرى أن تعتبر أن عمليات FLAIL و RODEO هى فى مجـــال التنفيذ الأقصر مدى .

ه ــ اذا قام السلاح المصرى بالهجـــوم فعليك ان تبلغنـــا برســـالة برقية مباشرة (بدون شفرة) (٢٢) ... » .

● وفى ذات يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ ، اجتمعت هيئة أركان حرب الامبراطورية ،و اتخذت « اجراءات للمحافظة على وضعنا فى مصر » ، أرسلت بها برقية عاجلة الى قيادة قوات الشرق الاوسط .. قالت فيها :

« ان اللجنة ، آخذة فى الاعتبار برقية x الصادرة عن اللجنة البريطانية لتنســـيق الدفاع (عن الشرق الاوسط) ، التى أبلغت عن تهـــديدات باجراءات عنيفة من قبـــل المصريين ما لم تتوقف العمليات البريطانية لتطهير الاسماعيلية على الفور ..

---

(٢٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ــ البقية رقم 635/ (me) COS/ وزارة الدفاع ــ لندن .

ومن خلال المناقشة ، وضعت النقاط التالية :

(أ) العمل المضاد الفعال الفورى هو تدمير السلاح الجوى المصرى فى قواعده .

(ب) العمل المضاد ضد سلاح الجو المصرى من المحتمل أن تكون له مضاعفات خطيرة فى مصر وأماكن أخرى ، وربما يؤدى الى اعمال انتقامية ضد المدنيين البريطانيين فى الدلتا .

(جـ) العمل المضاد من جانبنا سوف يبرر اذا كانت منطقة القنال تعرضت لهجوم منظم بواسطة القوات الجوية المصرية . لكنه سيفقد مبرره اذا قام بعض المضللين بأعمال متعصبة فردية .

(د) اذا قمنا نحن بعمل انتقامى جوى ، فى مواجهة هجوم منظم من جانب القوات الجوية المصرية فان ذلك العمل سوف يكون محصورا فى هجوم أرضى بالبنادق والمدافع او الصواريخ ولا يشتمل على القصف .

(و) أنه من المحتمل ان يتخذ العمل المصرى شكل الاعمال الانتقامية ضد المدنيين البريطانيين على الصورة التى جاءت ببرقية السفير الى وزارة الخارجية (البرقية رقم ٧١ بتاريخ ٢٢ يناير).

وخلصت اللجنة على ذلك ، بأن هيئة رئاسة الاركان ستأخذ بعين الاعتبار وضع عمليتى RODEO ، FLAIL فى مجال التنفيذ فى المدى الأقصر)) .

(ز) اذا وقع هجوم بواسطة القوات الجوية المصرية ، فان المعلومات سوف تبرق الى اللجنة مباشرة (بدون شفرة) (٢٣) .....)) .

* * *

---

(٢٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ — برقية رقم (52) .C.O.S

وقبل أن نختتم استعراض الوثائق البريطانية السياسية والعسكرية ، لنتوقف عند يوم ٢٤ يناير ١٩٥٢ وما تلاه من احداث ، لا بأس من ايراد وثيقـــة طريفة ، تقول الكثير ..

● هذه الوثيقـــة عبـــارة عن برقيـــــة مرسلة من وزير الدولة للمستعمرات ، الى الســــير ب . ميتشيل الموجود فى كينيـــا . وتحمـــل خاتم « سرى » و « شخصى » وهى ربما البرقية الوحيدة التى صادفتها تحمـــل كلمـــة « شخصى » . تقول البرقية :

« **الآتى من لويد** Lloyd :

« **قائد قوات الشرق الاوسط سأل عما اذا كان** O'RORKE **جاهز لزيارة منطقة القنال لمدة اسبوع أو عشرة أيام ، لكى ينصح بالطرق والوســـائل للتعامل مع الوضع الناتج عن فشل البوليس المصرى فى السيطرة على الارهاب . أو مد السلطات البريطانية بقسم مخابرات خاص عادى . هذا يمكن أن يتضمن وضع خطط لانشـــاء قسم خاص بريطانى مستقل . اننـــا نأمل كثيرا أن توافق على ارســـال اشخاص محددين لهذه المهمـــة ، اذا كان هـــو راغب فى تأديتها . فاذا كان كذلك ، فان روبرتسون سيكون ممتنا اذا هو وصـــل قنـــال السويس بسرعة بقدر الامكان بعـــد يوم الأحد ٦ يناير . السلطات العسكرية ســـوف تتخذ الاستعدادات للنقل الجوى (٢٤) ... » .**

من كلمـــات البرقية يتضـــح أن الشخص المطلوب هو من الكفاءات النادرة ، المتخصصة فى « مقاومة الارهاب » وأيضـــــا فى تخطيط تنظيم

---

(٢٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ـــ برقية رقم ٩١٩ / وزير الدولة للمستعمرات ـــ لندن .

وأعمال أجهزة المخابرات . كما يتضح مدى التهافت الذى تبديه الدولة كلها حيث تذكر البرقية اسماء « لويد » (الذى أصـبح وزيرا للخارجيـة) ، وروبرتسون قائد القـوات البرية للامبراطورية ، فضلا عن ارسكين قائد قوات الشرق الاوسط ، ووزير الدولة لشـئون المسـتعمرات الذى رتب الاتصـال . كما نتبين من البرقية مدى اللهفـة على طلب مسـاعدة هذا الخبـير الخطير ، فهو مطلوب بأسرع وقت (ان كان يرغب !) ، وتحت تصرفه طائرة خاصة .. !

* * *

هل تكفى هذه الوثائق — وهى قطرة من بحر — لتوضيح معزى تهنئة وزير خارجية الامبراطورية لسفيرها فى القاهرة بناء على الاسـباب التى ذكرت فى نصها ... ؟

على أية حال . مرة ثالثـة ، لن نستعجل . فان تحليل طبيعـة وظروف ونتائج أحداث « الايام القليلة » من ذلك الاسبوع الاخير من يناير سنة ١٩٥٢ ، ستقدم الاجابة ...

* * *

ونمضى نحو دراسة أول أحداث تلك الايام : عملية تجريد البـوليس الاحتياطى المصرى فى الاسماعيلية من السلاح ...

الفصل الثانى

عملية الإسماعيلية

٢٥ يناير ١٩٥٢

قبل المضى فى دراسة أول الحدثين اللذين وقعــا فى الايام الاخــيرة من شهر يناير عام ١٩٥٢ ، وهو حادث الاسماعيلية ، هناك ملاحظة نرى اهمية لاثباتها . ذلك أن جميع الافعـــال البريطانية التى ذكرها فى الفصل السابق ، من خلال الوثائق البريطانية ، كانت **ردود افعال** ..

فطوال الفــترة من أوائل عام ١٩٥١ حتى ٢٤ يناير عام ١٩٥٢ ، كان الفعل مصريا : قطع المفاوضات ، الغـــاء المعاهدة ، نمو وتعـــاظم المد الوطنى ، تصـــاعد حركة الكفـــاح المسلح ضد قوات الاحتـــلال ، وتجريم التعامل معها ، الاتجاه لقطع العلاقات الاقتصادية ، بل والسياسية ، مع بريطانيا .. كل ذلك كان من جانب مصر . وكانت مراسلات الســـفارة البريطانية وقيادة القــــوات البريطانية ، والردود عليها ، وما تتضمنه من اجراءات ، هى **لمواجهة الأفعال المصرية بأفعال مضادة** ..

حتى العمليات ذات الطابع العسكرى ، المخططةو المنفذة بعد اعداد مسبق ، مثل عمليات التطهير ، والسيطرة على الحركة ، والاتجاه لاقامة حكم عسكرى كامل فى منطقة القنال .. كانت **ردود افعال للتعـــامل مع الأفعال المصرية** ..

وينطبق الشىء نفسه على أخطر ثلاث عمليات أشير اليها فى الوثائق المذكورة سابقا ، وهى عملية الرد على هجـــوم جوى مصرى محتمل وعمليـــة FLAIL ، وعمليـــةRODEO ، فقد كانت أيضــا **مشروطة بحدوث اعمال مصرية** ..

أما « عملية الاسماعيلية » فتختلف تماما . فهى **فعـل بريطـانى ، منظم ، ومتكامل** . خطط له على مدى طويل ، ورتب اخراجه ، ودرست نتائجه واحتمالاته ، وتم تنفيذه بناء على كل ذلك . وهذا فارق جوهـرى بين عملية الاسماعيلية ، وبين العمليات الثـلاث المذكورة فى الفقـرة السابقة ، اذ لم تتخذ تلك العمليات مداها فى التنفيذ ، لأنها فى الواقع كانت خططا احتيـاطية ، لمواجهـة احتمالات . بينما كانت عملية الاسماعيلية **خطة اصلية** ، موضوعة للتنفيـذ الفعلى ، ولتحقيق أهداف محددة ، **مطلوب تحقيقها ، بغض النظر عن تصرفات الجانب الآخر .. الجانب المصرى** .

فكيف تمت عملية نزع سلاح البوليس المصرى فى الاسماعيلية ، يوم ٢٥ يناير عام ١٩٥٢ ؟

* * *

يوم ٢٢ يناير ١٩٥٢ ، الساعة ١١ر٥ ، بعث السير توماس راب ، المسئول الكبير فى المكتب البريطانى للشرق الاوسط بفايد ، ببرقية الى وزارة الخارجية ، يبلغها أن :

« عملية التطهير (فى الاسماعيلية) قد تمت ، بدون حوادث ، الساعة ٣٠ر١٢ يوم ٢١ يناير » وأن « الاسلحة التى تم العثور عليها فى المساحة التى طهرت كانت ٣ بنـادق و ٦ مسدسات » وأنه « فى الساعة ٤٠ر١٢ من نفس اليوم ، وضع كوردون حول مدافن المسلمين والكاثوليك التى تقع فى شمال وغرب الحى العربى فى الاسماعيلية (١) » .

---

(١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ــ البرقية رقم ــ ردا على برقية القاهرة رقم ٦٦ .

كانت هذه البرقية — على ما يبدو — اشارة الى أن المسرح قد تهيأ للعملية الكبيرة التى ستقع بعد أيام فى الاسماعيلية . يعزز ذلك أنها من البرقيات النادرة ، بل ربما الوحيدة التى كررت الى جهات معينة لها مغزاها . فقد طلب السير توماس راب تكرارها الى كل من طرابلس وبنغازى (فى ليبيا) ، حيث القواعد العسكرية البريطانية القريبة ، والى بيروت ودمشق حيث مراكز الاعلام والاتصال فى المنطقة العربية . فقد كان متوقعا لعملية الاسماعيلية أن تستتبع ردود أفعال خطيرة ، قدرت معها السلطات البريطانية أهمية الدعم الاعلامى الواسع . والاستنفار العسكرى الشامل ...

* * *

ان البعض ربما لا يزال يرى أن حادث الاسماعيلية كان رد فعل بريطانى لما قام به البوليس المصرى ، فى اطار الحركة الوطنية المصرية المسلحة ، ضد قوات الاحتلال البريطانى ، وبهذا المعنى ، فانه عمل من أعمال الدفاع عن النفس ..

وقد حاولت السلطات البريطانية أن تروج لهذه النظرية أمام الرأى العام البريطانى والعالمى . وعبر عن ذلك المستر انتونى ايدن فى جلسة مجلس العموم البريطانى التى خصصت لمناقشة العملية يوم ٢٩ يناير عام ١٩٥٢ . ففى مواجهة سيل الاسئلة الاستنكارية التى طرحها النواب ، قال وزير الخارجية : أنه منذ الايام الاولى للتوتر فى منطقة قنال السويس ، فان قوات صاحب الجلالة (البريطانية) فى تلك المنطقة بذلت أقصى جهدها لكى تمنع الصدام مع السلطات المصرية . وأن تزايد النشاط التخريبى (يقصد الفدائى) المدعوم فى حالات كثيرة بمفارز من البوليس الاحتياطى المصرى ، **اضطر قواتنا للعمل ، طالما ان أمن القاعدة البريطانية فى قنال السويس وأمن قواتنا ذاتها تطلب الحماية .**

وانني أود أن أتقدم للمجلس بعض الحقائق عن طبيعـــة وأعمال هذا البوليس الاحتياطي . هذه القوات لم تكن متواجدة في منطقة قنال الســويس الى ما بعـــد الغاء الحكومة المصرية السابقة لمعاهدة عام ١٩٣٦ المصرية — الانجليزية في أكتوبر الاخـــير . وكان المتوقع أن يكون مجيئها للمســاهمة بجهـــد في مســاعدة البوليس النظامى على حفظ النظـــام والقـــانون . في الحقيقـــة فان مهمتها الاســـاسية اتجهت الى تخـــويف العمال المصريين المستخدمين لدى القوات البريطانية ، وبعـــد ذلك الى التســـتر على ثم المشـــاركة في الاعمال الارهابية ضد قواتنا ، وكثيرون منهم تسببوا في موت جنـــود بريطانيين . وأن توضيحات ملحة قدمت الى السلطات المصرية في مناسبات عديدة ، ســـواء بواسطة السفير في القـــاهرة أو السلطات العسكرية في منطقة القنـــال ، حول أعمال البوليس الاحتياطي المصرى . وقد قدمت السفارة أربع مذكرات مكتوبة حول الموضوع الى الحـكومة المصرية في ٢٤ نوفمبر و ١٥ ديسمبر و ١٩ ينـــاير . فضـــلا عن أربع مرات أخرى على الاقل تحدث فيها الســـفير مع وزراء مصريين . وقام الجنرال أرسكين من جانبـــه بلفت انتبـــاه السلطات المصرية المحليـــة الى ذلك النشاط . وقد ألححنا على أن هـــذه الفرق — التى لم تكن تتسلح من قبل بالبنـــادق ، وانما فقط بالعصى — يجب نزع سلاحها أو سحبها . الا ان الحكومة المصرية السابقة لم تلق بالا لذلك (٢) » .

ونحن لا ننفى حقيقة أن السلطات البريطانية ، وخاصة العسكرية ، قد واجهت متاعب بسبب نشـــاط البوليس المصرى في منطقـــة القنـــال ، الذى تمثل في التعاطف والمشاركة للشعب المصرى في نضـــاله ضد الاحتلال الاجنبي لبلاده . وقد عكست التقارير التى كانت تقـــدم من مقـــر قيـــادة قوات الشرق الاوسط البريطـــانية في فايد كل أســـبوعين عن الوضـــع

(٢) بيان أنتونى ايدن أمام مجلس العموم يوم ٢٩ يناير ١٩٥٢ .

فى منطقة القنال ، الكثير من هذه المتاعب . كما عبرت عنهـــا الكثـــير من البرقيات ، التى ستقتصر على ايراد عينـــــات منهـــــا ، لانهــــــا ان كانت من ناحيـــة تعبر عن ضيق سلطات الاحتــلال ، فانها من ناحيـــة اخـــرى صفحة شرف لهؤلاء الجنـــود البسطاء من أبنـــاء فلاحى مصر ، وضباطهم الوطنيين ، الذين فهموا ، ومارسوا ، برجولة ، دورهم الصحيح كبوليس ، وهو الدفاع عن الشعب والوطن ..

● البرقية الاولى ، أرسلها السير توماس راب يوم ٥ ينـــــاير سنة ١٩٥٢ ، تقول انه وقعت خلال الثمانى والاربعين ساعة الماضـــية حادثتين منفصلتين تماما وحادثين فى السويس . الاولى وقعت يوم ٣ يناير. حيث جرى اطلاق كثيف للنــــار بصورة متواصلة على منطقة الرشــــــاح من منازل فى كفر عبده المجاورة ، وعلى خط السكة الحـــديد العســـكرى فى نفس المنطقة . ويبدو أن البوليس المصرى ، أو رجال البوليس الاحتياطى بملابسهم الرسمية قد شاركوا فى هذه الهجمات (٣) ...

● أما البرقية الثانية ، فقد أرسلها السير توماس راب ايضــــا بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٥٢ ، وفيها يقول : « ان اضطرابات (ذلك اليوم) بدأت بانفجار قنبلة زمنية موضوعة على عربة يد على كوبرى العباسة . وقد قتل بسبب الانفجار ضابط بريطانى وجرح خمسة آخرون ، مات أحدهم بعد ذلك . ويظهر أن البوليس المصرى كان لديه علم مسبق بالمؤامرة ، لأن جندى المرور المســـئول عن الاشارة عند الكوبرى ترك موقعـــه قبل الانفجـــار بحـــوالى ساعة ، وأن رجال البوليس فى المركز شوهدوا وهم يتطلعون من النوافذ فى انتظار حدوث شىء (٤) » .

---

(٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ الملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم ١٣ ــ المكتب البريطانى للشرق الاوسط / فايد .

(٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ الملف رقم ٩٦٨٦٠ ــ البرقية رقم ٦٤ ــ المكتب البريطانى للشرق الاوسط / فايد .

● والبرقية الثالثة عبارة عن تقرير برأى الجنرال جورج ارسكين قائد القـــوات البريطانية فى مصر ، أرسله الى وزارة الدفاع فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٥١ فى طبيعـــة البوليس الاحتياطى المصرى ، ومعارك القـــوات البريطانية معـــه ، والاجـــراءات التى يتخـــذها فى مواجهته .. يقـــول الجنرال ارسكين :

« ان مسئولية بدء الاحـــداث (فى منطقة القنال) ارتبطت بوضوح بظهور المسلحين المدنيين المصريين ، الذين شنوا هجمات بدون سبب على القوات البريطانية . هذا العمل المدنى كان يمكن ان يوقف بواسطة البـــوليس المحلى المصرى . لكن بدلا من ان يتخذ (هذا البوليس) اجراءات لاعادة النظام ، فانه التحم مع المسلحين المدنيين.

« ان القوات البريطانية اظهـــرت احتمالا عظيما ، وبذلت كل جهدها لوقف التدهور فى المرحلة الاولى ، مستخدمة الحـــــد الادنى من القـــوة . وعندما اتضح أن البوليس والمدنيين أصبحوا مصممين على تكثيف هجماتهم على القوات البريطانية فلم يكن هناك بد من استخدام القـــــوة الضرورية لحمـــاية أرواح وممتلكات البريطانيين . ان الكمين الذى أعد للميجور الاحمر ومجمـــوعته كان مؤشرا واضـــحا على الطريقـــة التى يعمل بها المصريون . ان هـــــذه المجمـــوعة لم تكن تضـــــايق أحـــدا . لقد كانت تتحرك على طريق خارجى مصرى فى وضـــــع قانونى . وقد تم اقتناصها على انفراد . وكان واضحا جدا ضلوع البوليس المصرى فى هذا الكمين .

« وليس هنـــاك شك فى أن حوادث ٣ ديسمبر قد بينت الترتيب والكثافة التى عملوا بها (رجال البوليس) . لان ضباط

البوليس ، ســـواء لم يبذلوا الجهود التى يفرضها عليهم واجبهم ، أو أن العساكر لم يكونوا راغبين فى اطاعة أوامرهم ، فان مقتل اللفتنانت فوكسويل مثل واضح على فوضى البوليس وعـــــدم انضباطه .

« أن كلمة بوليس تستخدم بأوسع معنى . انه من الواضح لى أن البوليس الاحتياطى (فرق الحراسة) هم المعنيون بصورة اساسية . وهؤلاء لا يعـــدون بوليسا بالمرة ، بل مجنـــدين شبه مدربين ، بدون نظـــام أو تقاليد ، انهم بالضبط نفس النـــوعية التى تسببت فى اضطرابات الاسماعيلية يومى ١٧ و ١٨ نوفمبر . ان المســـاندة العـــالية التى أظهرتها الحكومة المصرية لبوليس الاسماعيلية الاحتياطى كان لابد لها أن تحفـــز البوليس الاحتياطى بالسويس لكى يظهر سلوكا غير منضبط مماثل .

« ان حجم المقاومة لقافلتنا المتجهة الى الرشاح فى ٤ ديسمبر واضـــح جـــدا . هذا الحادث كان سبب قرارى بانشاء طريق اقصر واســـهل الى الرشـــاح ، يجنبنا هـــذه المشكلة . فمنذ سنوات ونحن نذهب ونجىء الى هذا الرشاح ، عندما كان القانون والنظـــام موجودين . لكن بعد هذا الحادث اصـــبح واضحا لى انه فى المستقبل فان مثل هذه التحركات سوف تجد مقـــاومة من المدنيين والبوليس الاحتياطى معا (٥) ... » .

وهكذا ، فان كل الوثائق الخاصـــة بتلك الفـــترة تعكس الشكوى

---

(٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـــ الملف رقم ٩٦٨٦٠ ـــ الوثيقة رقم M.E.L.F,14

من رجال البوليس الاحتياطى المصرى ، بسبب مشاركتهم فى الاع
التخريبية (أى الفدائية) ضد القوات البريطانية.

لكن ... هل كان ذلك هو السبب الجوهرى ، الذى بنـاء ع
ق رت السلطات البريطانية — على أعلى مسـتوى — تنفيـذ
الاسماعيلية ؟

ان القوات البريطانية وجهت عملياتها الحربية ضد كل من ت
لها ، أو رأت القيـام بأعمال وقائية ضـده ، من المدنيين العزل
الفـدائيين المسلحين ، الى رجال البوليس .. على السـواء
لم تتوان فى ذلك بالنسبة لأى من هؤلاء ..

بل ، وفى عديد من المرات ، ركزت هذه القوات عملياتها ضـ
البوليس وحـدهم . وكان أخطر هـذه العمليات ، هى تلك ال
ى التل الكبير ، وأسر فى نهايتها ٣٠٠ من رجال البوليس على ر
قائدهم اللواء محمد عبد الرؤوف (٦) ...

فما السبب الجوهرى ، او الاستراتيجى لعملية الاسماعيلية

هناك اعتباران آخران ، سبق أن استنتجناهما فى الدراسة ال
تؤكدهما الوثائق الرسمية البريطانية ، كانا أساس القرار بالعمل

الأول : هو أن البوليس الاحتياطى المصرى ، تواجـد بكثا
الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ .

والثانى : هو أن هذا البوليس — برغم عدم كفاءته وسو

---

(٦) يمكن مراجعة العمليات البريطانية ضد البوليس المصرى .
القاهرة قرار اتهام جـديد ص ٤٠٣ حتى ٤٠٦ .

وعدم ارتباطه بأى تقاليد ، كما يصفه قائد القــوات البريطانية فى مصر .. فضلا عن ضآلة عدده ــ **كان رمز اشــتراك الدولة الرسمى فى معــركة المواجهة المسلحة التى يخوضها الشعب المصرى ضد الاحتلال البريطانى .** وبصورة أكثر تحــديدا ، كان رمزا لاختراق حكومة الوفد ــ كرأس رمح للحركة الوطنية حينئذ ــ لجدار صمت الاجهــزة العليا للدولة المصرية ، ممثلة فى القصر وقيادة الجيش ، عن عربدة قوات الاحتــلال فى منطقــة القنــال ، **ونجاح الحركة الشعبية فى انتزاع احــد أدوات القمع للدولة ، وتحويلها الى أداة من أدوات نضالها التحريرى ..**

كان هذان الاعتباران ((كون وجود البوليس الاحتياطى مقترنا بالغــاء المعاهدة ، ونتيجة من الاوضاع التى ترتبت على الالغــاء ، وكونه نجاحا فى انتزاع جهاز رسمى من أجهزة الدولة ــ الممالئة بشكل عام للاستعمار ــ وتحويله الى جهــاز وطنى) هما اللذان حــددا الطبيعة الاستراتيجية للعملية ، ومن ثم أكسباها الطابع الخاص بها .

فما هو الطابع الخــاص الذى تميزت به عملية الاسماعيلية ؟

أولا : انها عملية مدبرة ، وليست رد فعل ..

● فبتــاريخ ٢٣ ديسمبر عام ١٩٥١ (أى بعــد ما لا يزيد عن ٩ أسابيع من الغــاء المعاهدة ، وأقل من ذلك طبعــا من ظهور حــركة الكفاح المسلح ووجود البوليس الاحتياطى المصرى فى منطقة القنال ..) ، وجهت قيادة قوات الشرق الاوسط برقية عملياتية عاجلة وسرية للغاية ، تقــول :

((الى هيئة رئاسة الاركان (وزارة الدفاع ــ لندن)
بالاشــارة الى برقيتى القــاهرة (السفارة) رقمى ١٢٤٠ و ١٢٥٠ الى وزارة الخارجية :

١ ـ نحن قد تلقينا بالفصل الصلاحية منكم :

(أ) للسيطرة على التحركات ، فيما عدا وقف النفط والامدادات الاساسية .

(ب) لنزع سلاح البوليس الاحتياطى المصرى فى منطقة القنال فى نهاية الامر .

٢ ـ ان خطة للسيطرة المحكمة على الحركة داخل القنال ، واليها ، قد أعدت فعلا بواسطة أركان حرب قوات الشرق الاوسط . وأبدى السفير ملاحظات تفصيلية عليها . ونحن نقترح تعزيز هذه الاجراءات فى الحال ، تبعا للحوادث الخطيرة اللاحقة .

٣ ـ وبالنسبة للصلاحية الخاصة بـ (ب) أعلاه ، فاننا نرى أن تكون لنا حرية اختيار التوقيت التى يتم فيه تنفيذ نزع سلاح البوليس المصرى . ونحن نتوقع أن يأتى هذا التوقيت قريبا جدا . اننا لن نخيب ظنكم فى استخدام الصلاحية المعطاة لنا ، عندما يقتضى الامر ، من وجهة نظرنا .

٤ ـ فى تقرير التوقيت بالنسبة للاجراءين المذكورين ، نحن مطالبين بأن نأخذ بعين الاعتبار عاملين :

(أ) أن نزع سلاح البوليس المصرى ، يعنى اننا سوف نجردهم من اى قوة فى التعامل مع الفوضى التى تتفاقم فعلا فى مدن منطقة القنال .وهذا سوف يعطى للحكومة المصرية المبرر لكى تقول انهم تركوا بدون قوة . وربما ـ بناء على ذلك ـ يتطور الوضع بحيث يصبح علينا أن نتولى السيطرة الكاملة .

(ب) أن أى عمل نقـــوم به يجب أن يكون فى اطار تقديراتنا للوقت (٧) ... » .

● وبعد مضى شهر ، أى فى ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ ، وجهت قيادة قوات الشرق الاوسط برقيـــة عملياتية عاجلة أخـــرى الى رئاســة هيئـــة الاركان بوزارة الدفاع ، تبلغها فيها :

أنه « ١ ــ بالنظـــر الى الادلة المتكررة على اشـــــتراك بلوك النظام او فرق الحراسة ، فى الحوادث فى التـــل الكبـير والاسماعيلية ، فاننا نرى أن الوضع الآن هو الوضع المناسب لاستخدام الصلاحية المعطــــاة لنـــا لنزع سلاح البوليس المصرى حتى نزع سلاح بلوك النظام فى الاسماعيلية .

٢ ــ وبناء عليه ، فاننا امرنا GOCLTE لكى يقـــــوم بالعمل اللازم ، وفق تقديره ، وربما يتم ذلك يوم ٢٥ يناير (٨) » .

لـــماذا كان هـــذا الشـــهر الكامل بين البرقيتين ؟ هل كان هو المدة اللازمة لكى تظهر « الادلة المتكررة على اشتراك بلوك النظام فى الحوادث » كما تقول البرقية الثانية ؟

الواقع يقـــول أن ذلك غير حقيقى . فمن البرقية الاولى ، والأخريات المشار اليها فيها ، يتضح أن مثل تلك الأدلة لم تكن مطلوبة ، لسبب بسيط ، هو أنه لا حاجة اليها . فالعملية مقـــررة ، ومخطط لها ، بدون هـــــذه الادلة . **الشىء الصحيح أن السلطات البريطانية كانت تهيىء الظـــروف ،**

---

(٧) وثائق وزارة الخارجيـــــة البريطانية ــ الملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم 589/CCL

(٨) وثائق وزارة الخارجيـــة البريطانية ــ الملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم 614/CCL / فايد .

ونبحث عن التوقيت المناسب الذى تأتى معه العملية بثمارها المطلوبة . وفى أثناء ذلك لا بأس من التمحك بذريعة ، تكون بمثابة السبب الظاهر أمام العالم للعملية . لكى تبدو كرد فعل .

حتى هذه الذريعة ، لم تترك للصدفة . وانما خطط لها . فيتضح من برقية السير رالف ستيفنسون رقم ٨٣ بتاريخ ١٦ يناير (سبق ايراد نصها فى الفصل الاول) ، أن السلطات البريطانية كانت تتحدث عن « حادث كبير » ، عندما يقع ، تنفذ عمليتا فرض السيطرة على منطقة القنال ، وتجريد البوليس المصرى من السلاح . وهما العمليتان الموجهتان بالتحديد ضد الحكومة المصرية (وليس ضد النظام ككل ، كما سيأتى) ، واللتان بالتالى تحتاجان لاخراج دقيق . فالأولى تعنى سحب سلطة الحكومة من جزء من الاراضى المصرية ، الى حد منع وزرائها من زيارة هذه الاراضى (كما قال السفير فى نفس البرقية) ،و الثانية تعنى ضرب جهاز البوليس الذى يشرف عليه وزير الداخلية وسكرتير عام حزب الحكومة (فؤاد سراج الدين) ، مما يشكل طعنة قاتلة للحكومة . وقد تساءل السفير فى نفس تلك البرقية ، تساؤل من يعرف بالخطة مسبقا ، ويوحى بأن ظروفها صارت مواتية ، عما اذا كانت القيادة العسكرية تعتبر العملية الفدائية المصرية فى التل الكبير ، والعملية التى حاول القيام بها رجال البوليس الاحتياطى المصرى لاقتحام الطريق العسكرى البريطانى ، هى ذلك « الحادث الكبير » ، أى الذريعة ؟

لكن يبدو أن القيادة كانت لا تزال ترى أن « الحادث الكبير » لم يأت بعد ، فاكتفت بالرد « بضربة محددة » للبوليس المصرى فى التل الكبير . أسرت فى نهايتها ٢٠٠ من رجاله على رأسهم ضابط كبير برتبة لواء . وكان ذلك بدوره خطوة على طريق الحادث الكبير الذى وقع بعد ذلك

فى الاسماعيلية أيضا قبل عملية ٢٥ يناير ببضعة أيام ، واقتضى أن يبعث النحاس باشا برسالة عنيفة الى الجنرال ارسكين ..

كانت السلطات البريطانية تسخن وتصعد الموقف ..

وهكذا ، كلما وقع حادث ، واحتجت الحكومة المصرية ، ردت عليها السلطات البريطانية بالمزيد من الاعمال والردود الاستفزازية . فالسفير البريطانى يرسل بالبرقية رقم ١٣٨ يوم ٢٣ يناير الى وزارة الخارجية ، يضمنها رده على وزير الداخلية بشأن احتجاج الاخير على تصرفات السلطات البريطانية ، فترد الخارجية مؤيدة « اللهجة الحادة » التى خاطب بها وزير الداخلية (٩) . ويوجه النحاس باشا رسالة احتجاج شديدة الى الجنرال ارسكين من خلال محافظ القنال ، يحملها اليه القنصل العام البريطانى فى بورسعيد ، حول الاعمال الاستفزازية التى تقوم بها السلطات البريطانية ضد السكان المدنيين والموظفين العموميين المصريين فى الاسماعيلية ، فيرد ارسكين على رئيس وزراء مصر بأن « الاجراءات التى يتخذها الآن — ارسكين — فى الاسماعيلية هى من أجل حماية القوات الموضوعة تحت قيادته ، وكذلك الجاليات الاجنبية الصديقة فى المدينة (!) .وأنها :(الاجراءات) سوف تستمر ، طالما اقتضتها الضرورة ، لتحقيق الغرض منها ، **وأيا كانت الاعمال المضادة التى يمكن أن تقوم بها السلطات المصرية »** .

« وفى البرقية ذاتها ، يبلغ السفير وزارة الخارجية ، أن :

« وزير الداخلية لم يظهر هذا المساء فى مؤتمره الصحفى الذى يعقده كل ليلة ، كما لم تكن هناك بيانات ذات لهجة قوية حول الوضع فى الاسماعيلية » .

ثم يعلن :

« وربما تكون الحكومة المصرية قد تلقت درسا من حادث

---

(٩) وثائق وزارة الخارجية — الملف رقم ٩٦٨٣١ — البرقية رقم ١٣٨ — القاهرة .

كفــر عبده ، ولا تنوى تكرار غلطتها باذاعة انذارها ، لأن ذلك يزيد من صعوبة وضعها (١٠) ... » .

وبينما التصعيد والتسخين يتم فى الواقع المـادى ، والاستفزازات توجه للحكومة بصـورة سافرة ، كانت مناورة بالغـة الخطورة يجـرى حبكها ، تمهيدا لعملية الاسماعيلية ، أوضحت أكثر الطابع التآمرى لتلك العملية ..

* * *

كان من أهداف عملية الاسماعيلية ، أنها آخر ضربة لاكمال عـزل حكومة الوفد عن بقيـة أجهـزة الدولة المصرية « بعـد أن اضطرت تلك الأجهـزة — وخاصة القصر — للتظاهر بالموافقة على الغـاء المعاهدة) بل ووضع الحكومة وجها لوجه أمام هذه الأجهزة ، حتى يكون سقوطها حتميا ، ودون أن تجـد مساندة من أحد .

وتقدم الوثائق البريطانية اجراءين ناورت بهما الدبلوماسية البريطانية ، لتحقيق هذا الغرض :

● ففى ١٩ يناير سنة ١٩٥٢ ، أى قبـل حوالى أسـبوع من تنفيذ العملية ، أرسـل السير رالف ستيفنسون رسالة الى حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى ، هذا نصها :

« عزيزى عفيفى باشا

أن سعادتك مدرك بلا شك حقيقة أن القوات البريطانية ،

---

(١٠) مجموعة وثائق وزارة الخارجية — ملف رقم ٩٦٨٣١ — البرقية رقم ١٢٨ / القاهرة .

التى كانت مشـــغولة فى تفتيش قرية الحمامة ، بغـــرض منع اى تكرار للهجمات التى تمت ضد تلك القوات فى هذه الجهـــة ، قد تعرضت يوم ١٦ يناير لاطلاق النار عليها بواسطة عدد من رجال البوليس . وقد استسلمت قوة البوليس هذه فيما بعـــد ، واتضح انها تتألف من حوالى ١٢٠ رجلا ، وهو عشرة أضـــعاف القوة العادية المخصصة لهذه القرية .

وفضلا عن القنص المستمر ، فان الهجمات ضد القـــوات البريطانية فى هذه الجهـــة ، قد اشتملت على هجـــوم مخطط فى ١٢ ينـــاير بواسطة حوالى ١٠٠ رجـــل على خط البترول البريطانى ، وعلى قطار بالقرب من التل الكبير . ونحن نعتقـــد أن رجال البوليس قد شاركوا فى هذا الهجوم . وأن هجـــوما مدبرا على الطريق البريطانى الرئيسى عند التل الكبير فى ١٣ يناير، قد قام به ما بين ٣٠ و ٤٠ من رجال البوليس ... » .

وبعد هذا الاستعراض ، ينتقـــل السفير الى الغـــرض الاســـاسى الذى يريد تحقيقه :

« اننى اقترح وجوب لفت انتبـــاه صاحب الجلالة (الملك فاروق) ، بالحـــاح ، الى حقيقـــة ان هؤلاء الافراد فى قوات البـــوليس المسلحة التابعـــة للدولة ، وضباطهم الذين يمثلون جلالته ، قد فتحـــوا النار على القوات البريطانية ، التى كانت منشغلة بتطهير القرى التى تكررت منها الهجمات القاتلة ضدها ، والتى طلب من السلطات المصرية قبـــل ذلك بأسابيع عـــديدة القيـــام بتطهـــيرها بنفسها ، ولكن بدون جدوى . ان صاحب الجلالة ربما يرغب بالفعـــل فى التحقيق حول كيفية صدور الاوامر

لهؤلاء الضباط بفتح النـــار على القوات البريطانية ، مع ملاحظة أن مصر والمملكة المتحدة ليستا فى حالة حرب .. » .

المخلص جدا لك : رالف ستيفنسون (١١)

واذا كانت كلمات الرســـالة تكشف الى أى حد كان التواطؤ قائما بين القصر والانجليز ، وهو ما يظهر فى اللهجة التى يتحـــدث بها السفير البريطانـــى الى صـــديقه حافظ عفيفى عن بوليس البلد التى يفترض أن الملك هو رأسها ، فان أهمية الرســـالة تكمن فى أنهـــا تبين طبيعـــة الخطوط التى كانت تصل ما بين القصر والانجليز من وراء ظهر الحكومة ، وضدها (وهو أمر كان معروفا ، لكنه الآن موثق !) . يوضح ذلك اقتراح الســـفير « لفت نظر الملك بالحاح » ، الى أن جهازا من أجهـــزة الدولة (التى يرأسها الملك) ، بضباطه (الذين يمثلون جلالته) يحاربون القـــوات البريطانية . وقوله ـــ بالرغم من أن حـــرب التحـــرير دائرة فعـــلا بين الشعب والحكومة الوفدية من ناحية ، وبين قوات الاحتلال من ناحيـــة أخـــرى ـــ بأن مصر وبريطانيا ليستا فى حالة حرب . بمعنى أن « مصر جلالة الملك » ليست فى خصومة مع بريطانيا . فكيف تترك جلالتك هؤلاء المخربين يفسدون العلاقة بيننا ! ؟

● . وفى يوم ٢٣ يناير أرسل ستيفنسون ببرقية الى وزارة الخارجية، كررها الى القيادة البريطانية فى فايد ، ذكر فيها أن قائد القوات البريطانية فى مصر ،(الجنرال ارسكين) تلقى رســـالة صادرة عن وزير الداخليـــة (المصرى) من خلال ضابط الاتصـــال المصرى . وأنه (ارسكين) يرى أن الرســـالة ربما تشـــير الى توجيهات للبوليس المدنى فى الاسماعيلية باعتراض أعماله . **وأنه من المحتمل أيضا القيـــام بأعمـــال عدائية من قبل**

---

(١١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ـــ الوثيقة رقم ١٠٤١ /١/٣٠/٥٢ .

القــوات المسلحة المصرية . وأن السفير يعتقــد أن وزيره يعـــلم أن ارسكين قد أعد تماما لنزع سلاح ، وطرد ، البوليس الاحتياطى المصرى الآن من الاسماعيلية ..

ثم يضيف :

« رأى حيـــدر باشا ، القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، الملحق العســكرى (البريطانى) بعـــد ظهر اليوم فى مسألة أخرى . **ولم يشر (حيــدر باشــا) الى الوضع فى الاسماعيلية** . وعلق على ذلك بقوله : **« ... وهذه اشارة لصالحنا (١٢) »** .

وأيا ما كانت الظروف التى التقى فيها الملحق العسكرى البريطـــانى مع حيدر باشـــا فى هذا اليوم بالذات ، وهل كانت مصـــادفة ، أم زيارة لجس نبض الجيش ، فان البرقية واضحة فى أنها تطمئن السلطات البريطانية أنه لا مشاكل من ناحيـــة قيادة الجيش فيما يتعلق بعملية الاسماعيلية . وهو رد صريح على تخـــوف ارسكين ، الذى أورده الســفير فى ذات البرقية .

وهكذا ، فان كلا الاجراءين ، كانا لاحكام تنسيق الموقف داخـــل حلف الانجليز والقصر الملكى (المصرى) وقيادة الجيش (المصرى) ، بشأن عمل يجرى تحضيره ضد الحكومة المصرية والحركة الوطنية المصرية ..

❋ ❋ ❋

السمة الثالثة لعملية الاسماعيلية ، أنها لم تكن مبررة ، وأن الهـــدف المعلن عنها كان غير الهدف الحقيقى لها ..

---

(١٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـ ملف رقم ٩٦٨٣١ ـ البرقية رقم ١٣٧ / القاهرة .

بداءة لانها عملية عسكرية ضد بوليس دولة مستقلة ذات سيادة . وهذا فى حد ذاته يدينها بكل المعايير الدولية . ولان السلطات البريطانية كانت تدرك ذلك ، فقد بذلت جهودا مستميتة لتبرير العملية ..

● فظهر يوم ٢٤ يناير ، بعث السفير البريطانى فى القاهرة برقية عاجلة **ذات طبيعة سرية خاصة** ، يشير فيها الى برقية خاصة بالموضوع من فايد ، يبلغ وزارة الخارجية :

« ١ — اننى متأكد انك توافق على الاهمية العظمى لضمان أن تغطى الصحافة العالمية العملية لصالحنا .

٢ — أن المتحدث باسم السفارة (فى مسودة البيان الذى سيذيعه غدا) قد جذب الانتباه بالفعل الى دور البوليس الاحتياطى فى الاصطدامات الاخيرة (أنظر برقية ارسكين رقم ٢١٠ ، والتفاصيل التى نأمل أن نتمكن من ارسالها هذا المساء) .

٣ — نظرا لان العملية سوف تبدأ غدا مبكرا ، نحن نقترح عقد مؤتمر صحفى فى العاشرة من صباح الغد (٢٥ يناير) ، وعمل بيان صحفى حول السبب الذى جعل السلطات البريطانية مجبرة للأمر بالعملية ، بعد فشل السلطات المصرية فى القيام بواجبها ، والذى ابلغ به محافظ منطقة القنال بوضوح اثناء لقائه بارسكين فى شهر نوفمبر،من اجل المحافظة على النظام ، والامن ، بما فى ذلك أمن القوات البريطانية فى الاسماعيلية . المتحدث سوف يركز على العدوان المتكرر بواسطة البوليس الاحتياطى خصوصا فى السويس فى ٣ و ٤ ديسمبر ، وأخيرا فى الاسماعيلية ،

والشـــــكاوى التى قدمت للحكومة المصرية لوضعه تحت السيطرة . وســـــوف يؤكد أن هذه العمليــة ليســت (أكرر « ليست ») فرضـــا لحكومة عسكرية ، وأن حكومة صاحب الجلالة (البريطانية) قد اظهرت دليلا واضـــحا على ذلك .

٤ ــ وعليه ، نرجو أن تبرقوا لنـــا فى الحـــال بأكبر قدر من التفاصيل التى تتضمن :

(أ) الوقت الذى ستبدأ فيه العملية ..

(ب) العــدد المحتمل الذى يشـــارك فيها من القــوات البريطانية ..

(جـ) ما الاسلحة التى يقدر أن تستخدمها فيها ..

(د) ما اذا كان هناك اى انذار أخــــير يقدم للسلطات لتتولى هى عملية نزع السلاح ..

٥ ــ النقطة التى لها اهمية خاصـــة هى موقفنا من البــوليس النظـــامى . اننى افهم انه ربما يكون من الضرورى نزع سلاحهم أيضا ، على أن ترد اسلحتهم بعـــد انتهاء العملية. أرجو أن تقرروا ما اذا كان من المحتمــــل اذاعة هـــذه النقطة غدا .

٦ ــ أرجو أن تؤكدوا أننـــا لا نســـتهدف احتجــــاز البوليس الاحتياطى بعد أن ننزع أسلحته ..

٧ ــ سوف نحاول أن نبرق مسودة البيان هذا المساء (١٣)..».

---

(١٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ــ البرقية رقم ١٤٥ / القاهرة .

● بعــد ساعات ، كان السير توماس راب يرد من فايد ، ببرقية **ذات طبيعة سرية خاصة** أيضا ، على السفير :

« ١ ــ نحن نوافق كليــــة على عمــل كل شيء ممكن لضمان افضــل تغطية لهذه العملية فى الصحافة العالمية .

٢ ــ اشــارة تتضمن بعض المعلومات عن الاعمال الاخــــيرة للبوليس الاحتياطى ، تم ابراقهــا بشكل عاجل .

٣ ــ مقترح عقد مؤتمر صحفى فى الاسماعيلية حوالى الساعة ٣٠ر٦ صباحا غدا . ونعتقــد أن مؤتمركم فى القــــاهرة لا يجب أن يتأخر كثيرا .

٤ ــ اجيفور طلب منــه الرد تفصيليا على النقاط التى وردت فى الفقرات ٤ و ٦ من برقيتكم (١٤) .

* * *

وقد تمت العملية فعــلا يوم ٢٥ يناير عام ١٩٥٢ ، فيما بين الساعة السادسة صباحا ، والثانيــة عشر والربع ظهــرا ، ولكن لأن السلطات البريطانية كانت تدرك أنهــا « عملية قذرة » ، فقد ظلت تلهث طول اليوم ، ولأيام أخرى تالية ، للدفاع عن عملها ..

● ففى الساعة ٣٣ر١١ أعد الســير رالف ستيفنسون برقيـــــة بثت الى وزارة الخارجية البريطانية الساعة ٠٦ر١٢ ، وكانت الحــــاقا ببرقية أخرى سبقتها فى نفس اليوم ، ضمنها البيـــان الصادر عن السفارة حول العملية ، والذى يقول :

---

(١٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ــ البرقية رقم ٧٨ / فايد .

« صرح متحدث رسمى بريطانى اليوم ، أنه حوالى الساعة السادسة والربع هذا الصباح ، قامت السلطات العسكرية البريطانية بانذار مساعد محافظ الاسماعيلية ، بأنها تصر على نزع سلاح البوليس الاحتياطى (بلوك النظام) فورا ، واجلائه عن منطقة القنال ومن مواقعه فى الاسماعيلية » (!) . وفى الاوضاع العادية فانه من المعروف أن هؤلاء الرجال مسلحون فقط بالهراوات ، ولكنهم فى الاسماعيلية يحملون البنادق . وتحولوا الى مصدر دائم للاضطراب منذ وصولهم فى أكتوبر الماضى . واذا فشل مساعد المحافظ فى الاستجابة للانذار البريطانى ، فان القوات البريطانية سوف تقوم بنفسها بتنفيذ نزع السلاح والاجلاء . وقد اشترك فى العملية حوالى ١٥٠٠ من القوات البريطانية . ان صعوبة التمييز بين البوليس الاحتياطى والبوليس النظامى ستجعل من الضرورى نزع سلاح الاخير أيضا ، الا أن أسلحتهم سوف تعاد اليهم فيما بعد ، وعندما يوافق مساعد المحافظ على تأدية واجبات البوليس العادى بالبوليس النظامى فقط . وأكد المتحدث أنه ليست هناك نية لاحتجاز البوليس الاحتياطى ، لقد أجبرت السلطات البريطانية على اتخاذ هذا الاجراء كنتيجة لسلسلة طويلة من الهجمات التى لا سبب لها التى ارتكبها البوليس الاحتياطى ضد القوات البريطانية ، وتعاونهم مع الارهابيين ، واخفاق الحكومة — برغم الاحتجاجات المتكررة — فى اعادتهم الى دائرة السيطرة ، أو ابعادهم عن المناطق المجاورة للقوات البريطانية . ان صفحة البوليس الاحتياطى فى منطقة القنال هى حقيقة صفحة سوداء (!) . ان أعمالهم أصبحت موضع اشتباه منذ وصولهم بعد ١٦ أكتوبر ، ومنذ ذلك الحين ، فليس هناك شك فى أنهم لعبوا دورا واسعا فى الارهاب وأعمال العنف ضد العمال ، والموظفين فى القنال . على أن أول عمل عدائى مكشوف لهم فى الاسماعيلية كان يوم ١٧ نوفمبر ، عندما فتحوا نيرانهم بدون تمييز على شاحنات بريطانية . وفى اليوم التالى ، وبتشجيع

بواسطة تعليمات غامضة لكن مؤذية من جانب الحكومة المصرية ، نسقوا مع حلفائهم الارهابيين (الفدائيين) هجوما مبيتا ضد القوات البريطانية . هذه الحوادث كلفت القوات البريطانية سبعة أرواح . ومرة أخرى في السويس ، في الثالث والرابع من ديسمبر قام البوليس الاحتياطي بالتحالف مع الارهابيين (الفدائيين) بهجوم وحشي على القوات البريطانية التي قتل منها ١١ فردا . وفي ١٧ ديسمبر في الاسماعيلية ، حرض البوليس الاحتياطي الارهابيين (الفدائيين)الذين هاجموا فصيلا بريطانيا صغيرا ، وقتلوا اثنين من أفراده ، على بعد مائة ياردة فقط من قسم البوليس في الاسماعيلية ، وفتحوا هم أنفسهم النيران عدة مرات على القوات البريطانية ، كما شاركوا مع الارهابيين (الفدائيين) أيضا في الكمين الذي نصب للقوات البريطانية على رشاح السويس في ٣ و ٤ يناير . ثم بعد ذلك كانوا بارزين في مساعدة وتحريض الاعمال الارهابية في الاسماعيلية ، والتي بلغت ذروتها في انفجار القنبلة على كوبرى العباسية في الاسماعيلية يوم ١٩ يناير ، وقدموا كل الدعم للارهابيين (الفدائيين) في ذلك اليوم .

وعلى سبيل المثال ، فقد منعوا بعض الاوربيين من اجراء أي تغيير في حدائقهم ، لان بعض الارهابيين (الفدائيين) يستخدمونها كمواقع ممتازة يطلقون منها النيران على القوات البريطانية ، وهم أنفسهم كانوا يراقبون اطلاق النار ، مساندة للارهابيين (الفدائيين) من حديقة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في شارع ليمبراتريس . ان الحكومة المصرية لا تستطيع أن تدعي أنها لم تنتبه بالنظرة الجدية التي نظرت بها حكومة صاحب الجلالة (البريطانية) الى أعمال البوليس الاحتياطي . لقد وجهت السفارة البريطانية مذكرات عديدة حول الموضوع الى وزير الخارجية المصري . وسجلت مذكرة ١٦ ديسمبر أن « حوادث ١٧ نوفمبر نتجت عن عدم انضباط وفوضى فصائل معينة من البوليس

الاحتياطى » . ثم أضافت عن حادث ١٨ نوفمبر أنه كان هناك « دليـل قاطع على أن هجـوما على القـوات البريطانية قد خطط له ونفـذ بواسطة نفس المجموعة » .

وفى مذكرة أخـرى بتاريخ ١٩ ينـاير للاحتجاج على حـوادث ٣ و ٤ ديسمبر ، جاء « ان انعـدام الانضباط والسيطرة على البوليس المصرى ، يفترض أنه البوليس الاحتيـاطى ، باشتراكهم بهجمات متعمدة غير مبررة على القوات البريطانيـة ، يبعـدهم عن طبيعة مهمتهم » . وخلصت الى احتجاج على الفشـل فى ابعاد هذه القوات من منطقـة القنـال ، والالحـاح على أنهم يجب أن يكونوا تحت رقابة فعـالة . لكن الحكومة المصرية لم تلتفت الى هذه الاحتجاجات الملحة المتكررة ؛ وفشلت فى مهمتهـا كدولة ذات سـيادة فى المحافظة على القـانون والنظام فى أقاليمها (!) ، هذه المهمة التى تعرفها السلطات المحليـة فى منطقة القنـال بوضوح . ان محافظ القنـال فى مناقشة مع الجنرال ارسكين فى ٢٨ نوفمبر قبـل تحمـل مسئولية الامن فى الاسماعيلية ، ووافق مع الجنرال على أنه من الضرورى لبلوغ ذلك تجـريد البوليس الاحتياطى من السلاح . ومرة أخـرى ، فى أوائل ديسمبر تفهم مسـاعد محافظ الاسماعيلية أيضا مسئوليته ، ووافق على أن يضمن أنه لن تكون هنـاك كمائن ضد القـوات البريطانية عبر البحيرات الحـلوة من ناحية كامب محمد على . لكن الكمائن فى الواقع اسـتمرت كل ليلة . وعليـه فقد أكدت السلطات البريطانية أن قـواتها لن تكون عرضـة طويلا للمخاطر من جانب البوليس الاحتياطى فى الاسماعيلية . ان الاجـراء الذى اتخذته لا يعنى بأى معنى اقامة حكومة عسـكرية . وهو معروف مسـبقا . ومصـدق عليه كليـة من حكومة صـاحب الجـلالة (البريطانية) (١٤) ... » .

---

(١٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم ١٥٥ / القاهرة .

● وبعــد ساعتين من الابلاغ بالبيـــان المسهب ، الركيك ، الملىء بالحواديت المجوجة ، والمغالطات السخيفة ، والمتدنى الى حــد غريب فى كلماته وأوصافه .. كان السفير البريطانى فى القاهرة يسعف وزارة الخارجية ، ببرقيــة ثالثة ، يضمنها تقــريرا بالمذكرات التى سبق أن قدمها للحكومة المصرية حــول نشاط البوليس الاحتياطى المصرى ، لكى تســتخدمها فى تبرير العملية أمام دول العالم .. وكان التقــرير بناء على طلب لندن (١٥) ...

● وبعــد أقل من نصف ساعة ، كانت الخارجيــة البريطانية تعمم على جميع سفاراتها فى العالم بيانا حول الموضوع ، بدأته بالقول ، بأنه :

« فى السادسة من صباح هـــذا اليوم ، بدأت القــوات البريطانية تحت قيــادة الجنرال ارسكين عملية نزع ســـلاح البوليس المصرى فى الاسماعيلية . ان القــرار بتنفيــذ هــذه العملية — والذى حظى بتصديق حكومة صاحب الجــلالة — اتخذ بعــد جهود عديدة بذلتها السلطات البريطانية لدى السلطات المصرية (١٦) ... » واستمر البيــان بعد ذلك يســـتعرض « الصفحة السوداء » للبوليس المصرى مع القوات البريطانية ...

* * *

لم تكن الحملة الاعلامية السابقة واللاحقة على عملية الاسماعيلية ،

---

(١٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ — البرقية رقم ١٥٧ / القاهرة .

(١٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ — البرقية الدورية رقم ٣ الخارجية / لندن .

بما اشتملت عليه من مغالطات صارخة ، مثل محاولة اقنـــاع الرأى العام العالمى بأن الشىء الطبيعى هو أن يحمى بوليس بلد ، القوات الاجنبية التى تحتل بلده ، أو أصبح من حق تلك القوات أن تجرده من السلاح (!). والمطالبة باجـــلاء قوات البوليس عن أراضى بلادها . وتصـــوير التحام هذا البوليس بالمناضلين من أجل تحـــرير الوطن من المحتـــل الاجنبى بأنه صفحة ســوداء تستوجب العقاب . وكذلك الاســتفزازات المتعمدة ، والمقصود بها اهانة حكومة البلاد والازدراء بها والافتئات على سلطاتها ، مثل لهجة التحـــدى التى رد بها ارسكين على انذار النحاس . والقـــول بأن الحكومة المصرية فشلت فى مهمتها كدولة ذات ســـيادة فى المحافظة على القـــانون والنظام فى أقاليمها ، مما استهدف توجيـــه الاحداث نحو الانفجار الشـــامل ، تحقيقا للغرض السياسى من عمليـــة الاسماعيلية ..

لم يكن ذلك هو كل ما اتسمت به عملية الأسماعيليةكعمليةغير مبررة، ذات هدف تآمرى . وانما الطريقة التى تمت بها العملية تقـــدم المزيد من الأدلة فى هذا الاتجاه ...

وقبل استخلاص هذه الأدلة ، سنستعرض التقرير الذى وصـــف العملية من الناحية العسكرية ...

● أرسل السير توماس راب ببرقية عاجلة جدا الساعة ١٢٤ر١ من ظهر يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ يبلغ فيه وزارة الخارجية :

« بدأت العملية حوالى الساعة ٦١٥ر٦ هذا الصباح بالتوقيت المحلى ، عنـــدما حوصر مركز البوليس ومبنى المحافظة المشغولين برجال البوليس . كان يبدو انه لا يوجـــد ضباط بوليس متواجدين فى هذين المبنيين . طلب من ضابط الاتصال المصرى أن يدخـــل ويسلم أمرا بالاستسلام . عندئذ بدأ البوليس باطلاق النار من

المبنيين . قائد البوليس كان على اتصـــال من مقـــره ، وقد طلب منه أن يتكلم مع رجاله بالتليفـــون ويطلب منهم التسليم . ولمـــا لم يفعل ذلك ، فان اطلاق النار قد استمر من الجـــانبين فى الحال بالاسلحة الصغيرة والاسلحة الاتوماتيكية الخفيفـــة ومدافع الدبابات البريطانية . مبنى المحافظة بما يشغله من رجال البوليس (٢٠٠ش ـــ ٣٠٠) احتـــل بواسطة القـــوات البريطانية حوالى الساعة ٣٠ر٩ ص . الضحايا سجلت لكن لم يتم التأكد من العـــدد بعـــد . حتى الآن ٢٠ رجـــل بوليس مصرى قتلوا ، والبعض جرح ، وحملوا بواسطة القوات البريطانية . أخبـــار هذا الاستسلام بلغت رجال البوليس فى المركز ، الذين واصلوا المقاومة . القـــوات البريطانية نادت عليهم ثانية لكى يستسلموا ، وتوقفت عن اطلاق النـــار لاتاحة الوقت لهم للاستجابة . كسرت الهـــدوء رخة ثقيلة من نيران البنادق من مركز البوليس ،ردت عليها القوات البريطانية.البوليس استسلم حوالى الساعة ١٥ر١٢. يجرى فرزهم الآن . مجمـــوع الخسائر البريطانية لم يزل تحت الحصر . ثلاثة من رتب مختلفة قتلوا ، وتسعة آخرون جرحوا ، وضابط واحد جرح . أؤكد أن هذا التقرير أولى ، وأن التفاصيل يجرى تدقيقها (١٧) » .

● وبعـــد منتصف ليلة ٢٦/٢٥ يناير بنصف ساعة ، أرســـل السير توماس راب تقـــريره الثانى التفصيلى عن العملية الى وزارة الخارجية ، قال :

---

(١٧) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ـــ البرقية رقم ٨٣ / فايد .

« ١ — تقرير السلطات العسكرية أن العملية بدأت برسالة الى مساعد محافظ الاسماعيلية توضح أنه طالما أن البوليس الاحتياطى قد أصبح حاميا ومشجعا للارهابيين ، فلقد كان ضروريا نزع سلاحه. ولكى يصبح ذلك ممكنا ، فان كل رجال البوليس المصرى يجب أن يؤمروا بالخروج من ثكناتهم بدون أسلحة ، وسوف يبلغ اكبر ضباطهم رتبة عند ابواب الثكنات أن الاسلحة سوف تعاد الى البوليس النظامى ، والذى سوف يترك عندئذ لمواصلة اداء واجبه . وأن قسم البوليس ومبنى المحافظة محاصران فى هذه اللحظة بواسطة القوات البريطانية المعززة بالدبابات . وحوالى الساعة ٦ر٣٠ ص كانت رسالة مماثلة تبرق الى حكمدار البوليس الذى كان على اتصال من مقره . وكانت اجابته أن البوليس سوف يقاوم وفقا للأوامر المرسلة اليهم من الحكومة المصرية .

٢ — البوليس فى المحافظة بدا اطلاق النار فى الحال بدون تمييز . لم ترد القوات البريطانية فى البداية ، ومددت فترة المهلة لتصل فى جملتها الى ٤٥ دقيقة . سيارات تحمل مكبرات صوت استخدمت للنداء على البوليس فى كلا المكانين لكى يستسلموا ، وجرى الضغط على حكمدار البوليس مرة أخرى ، لكنه رفض الذهاب الى قسم البوليس . ولما استمر اطلاق النار ايضا من قسم البوليس اطلقت مدفعية دباباتنا بضعة دانات من الخرطوش ، وبدأت القوات فى اطلاق النار بالاسلحة الخفيفة . هذا لم يؤثر على البوليس ، واستمر القذف لبعض الوقت . فصيلتان من القوات البريطانية ، مدعومتان بالدبابات ، اقتحمتا مبنى المحافظة الذى كان يتألف من مجموعة من الحوائط المركبة التى هى عبارة عن مجموعة من المبانى كانت تستخدم

كثكنات بواسطة البوليس . البوليس استمر فى المقـــاومة من المبانى الى حـــد اطلاق النار من النوافذ العلوية والابراج التى وضعوا عليها سواتر رملية ، وذلك بعد أن تم اخلاء الطـــــابق الاسفل . وخلال هذا القتال كانت الضحايا تتســـاقط على كلا الجانبين . وفى آخر الامر استسلم البوليس فى المحافظة حوالى الساعة ٣٠ر١٠ صباحا . وكان واضحا ان كل الموجودين كانوا من البوليس الاحتياطى .

٣ — وفى قسم البوليس ، استمر البوليس فى المقـــــاومة بالرغم من أن اخبـــار استسلام المحافظة كانت قد وصـــــلت اليهم بواسطة مكبرات الصـــوت ، حيث طلب اليهم أن يستسلموا الســــاعة ١٢ ظهرا . حوالى الساعة ١٢ ظهرا على أى حال ، اطلقت دفعة أخرى من النيران من جانب البوليس ، حيث تم الرد عليها بدفعة من نيران الاسلحة الصغيرة ، والنيران الاثقـــل ، وبعدها بقليل استسلموا . وكانت هناك أعداد قليلة من البوليس فى مراكز متفرقة ، تم اخلاؤهم بدون صعوبة .

٤ — بالرغم من أن الرقم الدقيق ليس مكتملا بعد ، فان ما يقرب من ٧٩٠ من رجال البوليس المصريين تم أخذهم كمساجين، من بينهم حوالى ١٠٠ فقط يعتقـــد أنهم من البوليس النظامى . الجنرال ارسكين لم يعلن للصحافة عن عد الضحايا من المصريين ، لكن ما يزيد عن ٥٠ رجل بوليس مصرى يعتقـــد أنهم قتلوا ، وعدد لا بأس به جــــرح ، وكانت ضـــــحايا البريطانيين ٣ قتلى و ١٢ آخـــرون جرحوا .

٥ — بعد الظهر التقى القائد العام للفرقة الاولى بمساعد محافظ الاسماعيلية ، وقدم له رسالة من الجنرال ارسكين لحثه على استئناف القيام بواجباته ، وانه سيعطى ٥٠ رجل بوليس

نظام واثنين من الضباط ليكون بامكانة ذلك . وانه نظرا للمقاومة التى ابداها البوليس خلال الصباح ، فان هؤلاء الرجال لابد أن يجردوا من السلاح . على انه بعـــد غربلة اخرى ، فان الجنرال ارسكين يأمل أن يستطيع امداده بالمزيد من رجال البـــوليس النظامين ، وان القوات البريطانية ســـتكون جاهزة لمساندتهم وستبقى محتلة لاقسام من المدينة . وان ايا من السكان المدنيين يرغب فى مغادرة المدينة ستكون له الحرية فى ذلك .

٦ ــ مساعد المحافظ ، على ما يبدو ، أبلغ القـــاهرة ، وأجاب بأن الحكومة المصرية تحمل الجنرال ارسكين مســـئولية كل ما حدث للمدينة سواء بالنسبة للبوليس أو للسكان ، وطلبت اعادة كل رجال البوليس النظامى وضباطهم اليه . وفى النهـــاية فقد وافق على اى حال على استئناف عمله ، واعيـــد اليـــــه ٥٠ جنـــديا واثنين من الضباط غير مسلحين .

٧ ــ ونظرا للمقاومة التى قام بها البوليس منذ البداية ، فانه ليس من المفترض اطلاق سراح المسجونين من رجال البوليس الاحتيـــــاطى فى الحـــــال ، وقد تم وضعهم فى معســـــكر فى ((موسكار)) .

٨ ــ لقد اتضح من وضع المبانى التى زارها اثنـــان من مساعدى بعـــد ظهر اليوم (٢٥ ينـــاير) انه كان هنـــاك صراع ضـــار فى المحافظة . قسم البوليس كان أقل دمارا بكثـــير ، ويظهر عليه انه تأثر بشكل رئيسى بنيران الاسلحة الصـــغيرة ، النيران التى تفجرت فى داخله قد تمت الســـيطرة عليها . وبعد المقاومة الطويلة ، فان الكثيرين من رجال البوليس لوحظ أنهم شبه شلل مع حالة ذعر ربما صـــدمه عندما اصروا فى النهـــاية

وقـد عثر على مخـازن كبيرة للذخـيرة خصـــوصا فى مبنى المحافظة (١٨) ... » .

* * *

والآن ... ما هى الطريقـة التى اتبعتها السلطات العسـكرية البريطانية فى تنفيذها للعملية ، والتى دفعت هذه العملية بالقـــذارة ، والتآمرية البعيدة عن روح الشرف العسكرى .. ؟

× × قال الجنرال ارسكين ، وقالت كل التقارير البريطانية ، أن كل عدد رجال البوليس الاحتياطى فى منطقة القنـــال لم يزد عن الالف رجل . وقال وزير الحرب البريطانى ، أن كل الذين وصلوا الى منطقة القنـــال من هؤلاء بعد الغـــاء المعاهدة هو ٦٠٠ رجل . وهو ما يكشف عن الضجة المفتعلة من الاساس حول هذا البوليس الاحتياطى ، لأن القوات البريطانية كانت فى منطقة القنـــال قد تجاوزت المـــائة وعشرين ألف رجل . فأى منطق يقول أن ألف رجل من رجال البوليس الاحتيـــاطى يشكلون خطرا حقيقيـــا ، على جيش بهذا الحجم ! ؟

.. وعندما نفـــذت السلطات العسكرية البريطانية العمليـــة ، وضعت فى مواجهة هذا العدد الضئيل من الجنـــود شبه المدربين الذين لا تقاليـــد لهم — ١٥٠٠ من خيرة جنود الامبراطورية ، مع اســـتنفار عام للقـــوات البريطانية ليس فى منطقة القنال وحـــدها ، وانما فى القـــواعد المحيطة أيضا !

× × سجلت تقـارير المتابعـــة ، أن الجنـــــود سواء فى مركز

---

(١٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ —ا لبرقية رقم ٨٦ / مكتب الشرق الاوسط .

البوليس أو فى المحافظة ، كانوا بدون قيادة . وأن ضـــباطهم لم يكونوا موجـــودين بأى من المبنيين (قال اللواء مصطفى رفعت فى شـــــهادته السابقة لى ، أن الضباط لم يكن لهم مكان اقامة فى الثكنـــات ، فكانوا ينامون فى لوكاندات قريبة ، وأنهم عندما أحسوا بالحصار تسللوا والتحموا بجنودهم) . بينما كان على رأس القـــوات البريطانية المحاصرة الجنرال ارسكين قائد القوات البريطانية فىمصر وكل ضباط هيئة أركان حـــربه ، فضـــلا عن قادة الفصائل والوحدات ..

ولمـــا كان الجنرال ارسكين ـــ ومعـــه كل السلطات البريطانية ـــ قد اختاروا يوم جمعـــة لتنفيذ عمليتهم ، واختاروا هذا الوقت المبـــكر للتنفيذ ، واختاروا الطريقة التى اتبعوها بالتحـــديد ... فانهم بذلك قد قرروا عن سبق عمـــد واصرار أن يواجهـــــوا كقيادة عليا للجيش البريطانى ، جنودا بسطاء ، بلا قيـــادة ، وليسوا قطـــاعا من جيش ، أو موقعا متقدما على جبهة قتال .. !

×× ركزت الدعاية البريطانية على أن الوضع الطبيعى للبوليس الاحتياطى المصرى أنه يتسلح بالعصى . واستكثروا عليه أنه أصـــــبح فى منطقة القنال يتسلح بالبنادق .واعتبروا ذلك خطرا على ســــــلامة القـــــوات البريطانية . لذلك حشدوا له أثنـــاء العملية ـــ فى مقـــابل بنادق لى انفلد العتيقـــة ـــ الاسلحة الاتوماتيكية والدبابات ـــ والسيارات المدرعة ـــ وبعض أنواع المدفعية . وان كانوا قد نفوا بشدة أنهم لجأوا الى الطيران !

×× على أن أهم مالجأت اليه الســـلطات العسكرية البريطانية هو السرية التامة ، والمفاجأة الكاملة فى مواجهة عدوها الخطير ، الذى كان نائما فى ثكناته ، فى يوم أجازته الأسبوعية .. (١)

وقد قال لى اللواء شريف العبد ـــ فى شهادته السابقة ضابط الاتصال

بين الســلطات المصرية والسلطات البريطانية فى منطقة القنال حينئذ ، والذى يقيم داخل معســكرات القوات البريطانية بحكم وظيفة ، أنه عندما استدعى لتســلم الانذار ، فوجىء بتحرك القوات ، لأن الانجليز أحاطوا تحركاتهم حتى تم الحصــار بالسرية والتمويه ، حتى لم يســتطع الذين يعيشــون وســط معسكراتهم ان يلحظوها ..

لمــاذا كانت كل هــذه السرية ؟

وماذا كان يمكن ان يفعــل رجال البوليس ان عــرفوا بالعملية قبل وقوعها ؟

ليس هناك من سبب الا تحقيق عنصر المباغتة ، وعدم اعطاء أى فرصة لعدم اتمام العمليــة كما رســم لها ..

فالجنود فى ثكناتهم محاصرون . ولا ضباط معهم . والضــباط الصغار الذين التحقوا بهم صــاروا مثلهم . والمهلة شكلية لأنها تعطى بالقطاعى ، نداء بالتســليم ، ثم خمس دقائق ، ثم ضرب ، ثم نداء وهكذا . وهى مهلة لا تســتهدف أى مفاوضات أو تفاهم ، وانما تريد شيئا واحدا : الاستسلام أو الموت .

والانذار ، برغم خطورته ، وحقيقة أنه متعلق بشــكل دقيق جــدا بالعلاقة بين دولتين ، فهو لا يتخذ المجرى الطبيعى ، فلم يوجه الى أى جهة اختصــاص مناسبة : لا الى وزير الخارجية ، ولا الى وزير الداخلية ولا الى قيادة الجيش ، ولا الى البعثــة الدبلوماسية المصرية فى لندن ، ولا حتى الى الحكومة المصرية عبر الاذاعة . وانما قدم لمساعد محافظة الاسماعيلية. والجنرال ارسكين لم يطلب من مســاعد المحافظ حمل انذاره الى المسئولين المصريين ، وانما طلب منه هو نفســه — ومن حكمدار البوليس — تنفيذ الانذار ، واصدار أمر التسليم الى رجال البوليس ، أو ننفذ نحن .. أى نجبرهم على الاستسلام !!

وهكذا ، لم تترك اى فرصـــة للاستنجاد بالحكومة فى القاهــرة .. ولم تترك اى فرصـــة لكى يصبح تدخل الحكومة ممكنا على اى نحو . فقد وضعت الخطة بحيث تقطع الطــريق تماما على مثل ذلك الاحتمال ..

والغرض واضـــح : تتم العملية بالكامل . يخوض رجال البوليس المعركة غير المتكافئة وحدهم ، ودون ان يدركهم الذين اعطوا لهم الاوامر بالمقاومة . يقتل عدد ضخم منهم ، ويؤسر الباقون . وتقتحم مبانى ومقـــار الدولة الرسمية بالقوة ..

.. ولترنا الحكـــومة المصرية الهمامة ـــ التى تتحدانا ـــ ماذا هى فاعلة .. !

* * *

لكن ، لأن العملية كانت زاعقة فى تحديها ، لم يكن من الممكن ان تمر ببســـاطة .. وهكذا :

×× اضـــطر مجلس الوزراء البريطانى لعقد جلســـة خاصـــة بعد ظهر نفس اليوم . وســـجل محضر الجلســـة ان وزير الخارجية أبلغ الوزارة بأن الوضع فى منطقة القتال يتجه للتدهور بصورة خطيرة . وان تقارير « رويتر » ـــ التى ربما تكون مبالغ ـــ تتحدث عن قتال ضـــخم فى الاســـماعيلية هذا الصباح ، فى مجرى العملية التى شرع فيها لنزع ســـلاح البوليس المصرى . وأنه بحث مع الســـفير فى القاهرة الموقف الذى يمكن ان ينشأ اذا لجأ المصريون الى رد عنيف . وان الاخير طلب من قائد القوات البريطانية اتخاذ أعلى درجة من الاســـتعداد لحماية ارواح البريطانيين والأجانب وممتلكاتهم فى مصر . وان وزير الخارجية قرأ على الوزراء برقية رقم ١٦٤ الى القاهرة ، والتى يسأل فيها الســـفير عن الاجراءات التى يقترح على الحكومة البريطانية اتخاذها ، والتى ســـوف توضع موضـــع

التنفيذ ، ويطلب منه التشاور فى ذلك مع زميله سـفير الولايات المتحدة الأمريكية . وانه طلب من السـفير ايضا ان يوجه تحذيرا مناسبا الى ملك مصر . وأن رئيس الوزراء كان قد أحبط علما بالأحداث ، وانه كان على اتفاق مع الاجراء الذى اتخذ . واقترح الوزير احاطة قادة المعارضة بالوضـع . ووافقت الوزارة على ان تقوم سكرتارية الكومنولث أيضـا بابلاغ حكومات كندا واستراليا ونيوزيلاند وجنوبافريقيا ، مع ابلاغ حكومة الهند كذلك بتدهور الموقف . أما الاسـتعدادات العسكرية المتخذة لمواجهة التطورات ، فتظل على الكتمان . وان مسألة الاجراءات الاقتصـادية والمالية ضـد مصر ، فربما يتم النظـر فيها بواسـطة الوزارة فى الأسبوع القادم ، وان ذلك سـيكون ملائما اذا اسـتمر التدهور فى الوضع ... !

واذا كانت جلسـة مجلس الوزراء قد عكسـت تعقد الوضع الذى كانت تواجهة بريطانيـا فى مصر ، والآثار السـلبية الشديدة لعمليـة الاسماعيلية ، والاجراءات غير العادية التى لجأت اليها لتوضيح موقفها .. فان جلسـة مجلس العموم البريطانى عكست قلق الرأى العام البريطانى، وشـكوكه فى طبيعة العملية ، وهو ما تمثل فى اسئلة أعضاء المجلس ، والتى دارت تقريبا حول النقاط التى تناولناها ..

● شغلت عملية الاسماعيلية قسما كبيرا من مناقشـات المجلس فى جلسـة ٢٩ يناير ١٩٥٢ (١٩) :

ـ سأل هربرت موريسـون وزير الخارجية : هل يمكننا ان نعتبر ان عملية الاسماعيلية كانت تحـديدا بتخويل من الحكومة البريطانية ؟

× وأجاب ايدن (قاطعا) :

---

(١٩) محاضر اجتماعات الوزارة البريطانية ـ جلسه ٢٥ يناير ١٩٥٢ المجلد ١٢٨/٢٤ ص ٣٧

العملية كانت بتخويل من السلطات البريطانية بشكل محدد .

ـ وأكمل موريسون :

هل حذر البوليس من جانب السلطات البريطانية ، بحيث تتاح له الفرصـــة لكى يتخذ باختياره الموقف الذى يريده قبل بدء العملية العدائية ؟

x واجاب ايدن :

ليس تحذيرا واحدا ، بل تحـــذيرات متكررة قدمت للســـلطات المصرية وعلى أعلى المســـتويات . وكان ايدن فى ذلك يراوغ ويغالط ، لأن ســـؤال موريســـون بالمنطق ينصب على التحذير الذى أعطى عند تنفيذ العملية ، بينما تحدث ايدن عن التحذيرات الدبلوماسية الســـابقة على العملية .

ـ وسأل جون هايند :

هل من حقنا ، باسم اى صـــلاحيات ، أن نتخذ اجراءات ضـــد أجهزة رســـمية ، حتى لو كان بعض افراد هذه الاجهزة ايدوا أو شـــاركوا فى أعمال ارهابية ضـــد القوات البريطانية ؟

.. ثم اكمل :

هل يستطيع الوزير أن يقدم لنا توضيح حـــول الاســـــــاس الذى تمت عليه العملية ؟

x وأجاب ايدن :

على اساس معاهدة ١٩٣٦ . وهكذا ضرب عرض الحائط بقرار حكومة مصر بالغاء المعاهدة ، رغم أنه فى بيانه فى بداية نفس الجلسة ، أقر بهذه الحقيقة فى معرض حديثه عن وجود البوليس الاحتياطى فى منطقة القنال ..

وأضـــاف ردا على مسألة حق القوات البريطانية فى القيام بعمل ضد

جهاز رسمى لدولة اخرى ، بأنه « كان واضحا ، ان هذا البوليس بدلا من ان يكون بوليسا ، عزز وشـــارك فى الاعمال التخريبية ضد قواتنا ..

— وسأل انورين بيفان :

هل كانت الحكومة (البريطانية) منبهة . وهل اعطت صلاحيات بطبيعة الاســـلاحة التى تســـتخدم فى الهجوم على مقر قيادة البوليس ؟

× ورد ايدن ســـاخرا :

بالنســـبة للاسلحة التى استخدمت ، اسأل : اذا اســـتخدمت الاســـلحة الأصغر ، وطالت المعركة ، هل لن تكـــون الخسائر فى الأرواح اثقل (٢٠) ؟ ..

وانتهت الجلســـة بطلب من بيفان بأن يقدم للمجلس تقرير تفصـــيلى عن العملية ، احالة ايدن على وزير الحرب المســـتر انتونى هيد ، الذى قدم تقريره فى جلســـة المجلس التالية يوم ٣١ يناير ١٩٥٢ .

قال وزير الحرب البريطانى :

— ان الحكومة أعطت الصلاحية لارسكين لنزع ســـلاح البوليس المصرى فى ٧ ديسمبر ١٩٥١ (مبكرا جدا ، قبل اسبوعين كاملين من أول برقية من قيادة قوات الشرق الأوسط حول الموضوع) ..

— وأن مبرر العملية هو ان خســـائر القوات البريطانية حتى ٢٣ يناير ١٩٥٢ ، بلغت ٣٣ قتيلا ، و ٦٩ جريحـــا ..

— وأنه بعد ١٦ أكتوبر (اليوم التالى للتصديق على مرسوم المعاهدة) فشـــل البوليس المصرى فى الســـيطرة على الفوضى . وبعد ذلك وصـــل

---

(٢٠) مضابط مجلس العموم البريطانى (HANSARD) ـــمجلد رقم ٤٩٦ / ١٠٠٣ — الاعمدة ٣٤ حتى ٣٩

الى منطقة القتال ٦٠٠ من رجال البوليس الاحتياطى من القاهرة ، وكانوا المتقدمة الى فلكها وتضمها فى اطارها .

مسلحين بالبنادق . وان البوليس الاحتياطى (الجديد) شـــارك فى المعارك ضد القوات البريطانية ..

— الوضع يوم ٢٥ كآ كالآتى :

حوالى ٤٠٠ — منهم ٦٠ نظاميين — كانوا فى القره قول ، و٦٠٠ كانوا فى مبنى المحافظة ..

— العملية بدأت برسالة الى مساعد المحافظ ، تطلب ان يخرج رجال البوليس من ثكناتهم بدون أسلحة ، لتتسلمهم القوات البريطانية.. (وصف اللواء مصطفى رفعت فى شهادته السابقة الاشارة اليها ، ان الأوامر كانت ان يخرج رجال البوليس ، بدون أسلحة ، عاقدين أيديهم فوق رؤوسهم ، مستسلمين . وأن الجنرال ارسكين أشار بأصبعه الى أعلى بازدراء ، وقال : وينزع هذا الشىء من على مبنى المحافظة المحافظة ، مشيرا الى علم مصر) ..وان الامـــر نفســـه ابلغ الى حكمدار البوليس الذى قال ان جنود البوليس المصريين الاحتياطيين والنظاميين سوف يقاومون ، لأن هذه هى الأوامر الصـــادرة من القاهرة ..

— ومن ســـير العملية ، انه من الساعة ٦ر١٤ حتى الساعة ٦ر٤٠ استمرت نداءات التحذير وطلب الاستسلام . الساعة ٦ر٥٦ بدأ البوليس المصرى باطلاق النار واستمر (وحده) حتى الســـاعة ٧ر١٠ . عندئذ بدأت القوات البريطانية باطلاق دانات « فشنك » من ٢٠ دبابة للتحذير : استمر البوليس فى اطلاق النار . الساعة ٧ر١٥ بدأت القوات البريطانية أول اطلاق نار لها ، بست دفعات

من مدفعية الدبابات زنة ٢٠ رطلا ، وبعض المدافع زنة الرطلين ، مع الاســلحة الخفيفة . رد البوليس بغزارة . توقفت القــوات البريطانية وآعادت توجيه النداءات بدعوة البوليس للاستسلام فتحت قواتنا النيران مرة أخرى الساعة ١٥ر٨ ، ثم وجهت دداءات للاستسلام . الســاعة ٩ قامت فصــيلتان من قواتنا مدعومتان بالدبابات بعملية اقتحام . فتحنا النيران من جديد الساعة ١٠ ، ثم الساعة ٤٧ر١٠ بدأ الاستسلام . خسرنا ٣ قتلى و ١١ جرحى . وخسر المصريون ٤١ قتيلا و ٧٣ جــريحا ، وأسر ٨٨٦ من رجال البوليس ...

— اشتملت الاسلحة التى استخدمتها قواتنا على : الاسلحةالصغيرة. دبابات ذات مدافع ٢٣ بوصـــة زنة ٢٠ رطلا . سيارات مدرعة محملة بمدافع زنة رطلين . لا مدفعية . ولا طيران . ولا مدافـــع مورتار اللهم الا دفعة واحدة من قنابل الدخان ..

واختتم وزير الحرب بيانه بادعاء ان العملية خططت بغرض منع اراقة الدماء (طبعا البريطانية !) وانه لمنع المزيد من الضحايا على الجانبين كان من الضرورى اتمام العملية بأسرع ما يمكن ..

ثم أضاف : ولو ان الحكومة المصرية قد حافظت على ســيطرتها الدقيقة على وقوات بوليس ، وخاصة البوليس الاحتياطى ، لمــا كانت هناك اى ضرورة لقيامنا بالعملية بالمرة (٢١) ..!

وقد توقفت مناقشـــة الموضوع عند هذا الحــد فى مجلس العموم بسبب توالى الاحــداث . واذا كانت هذه المناقشـــات ، والاسئلة التى

---

(٢١) مضابط مجلس العموم البريطانى — المجلد رقم ١٠٠٣/٤٩٦ — الاعمدة ٣٦٢ حتى ٣٦٥ .

الاحتياطى » . ثم أضافت عن حادث ١٨ نوفمبر أنه كان هناك « دليل قاطع على أن هجوما على القوات البريطانية قد خطط له ونفذ بواسطة نفس المجموعة » .

وفى مذكرة أخرى بتاريخ ١٩ يناير للاحتجاج على حوادث ٣ و ٤ ديسمبر ، جاء « أن انعدام الانضباط والسيطرة على البوليس المصرى ، يفترض أنه البوليس الاحتياطى ، باشتراكهم بهجمات متعمدة غير مبررة على القوات البريطانية ، يبعدهم عن طبيعة مهمتهم » . وخلصت الى احتجاج على الفشل فى ابعاد هذه القوات من منطقة القنال ، والالحاح على أنهم يجب أن يكونوا تحت رقابة فعالة . لكن الحكومة المصرية لم تلتفت الى هذه الاحتجاجات الملحة المتكررة ؛ وفشلت فى مهمتها كدولة ذات سيادة فى المحافظة على القانون والنظام فى أقاليمها (!) ، هذه المهمة التى تعرفها السلطات المحلية فى منطقة القنال بوضوح . ان محافظ القنال فى مناقشة مع الجنرال ارسكين فى ٢٨ نوفمبر قبل تحمل مسئولية الامن فى الاسماعيلية ، ووافق مع الجنرال على أنه من الضرورى لبلوغ ذلك تجريد البوليس الاحتياطى من السلاح . ومرة أخرى ، فى أوائل ديسمبر تفهم مساعد محافظ الاسماعيلية أيضا مسئوليته ، ووافق على أن يضمن أنه لن تكون هناك كمائن ضد القوات البريطانية عبر البحيرات الحلوة من ناحية كامب محمد على . لكن الكمائن فى الواقع استمرت كل ليلة . وعليه فقد أكدت السلطات البريطانية أن قواتها لن تكون عرضة طويلا للمخاطر من جانب البوليس الاحتياطى فى الاسماعيلية . ان الاجراء الذى اتخذته لا يعنى بأى معنى اقامة حكومة عسكرية . وهو معروف مسبقا . ومصدق عليه كلية من حكومة صاحب الجلالة (البريطانية) (١٤) ... » .

---

(١٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ — البرقية رقم ١٥٥ / القاهرة .

● وبعـــد ساعتين من الابلاغ بالبيــــان المسهب ، الركيك ، المليء بالحواديت المجوجة ، والمغالطات السخيفة ، والمتدنى الى حـــد غريب فى كلماته وأوصافه .. كان السفير البريطانى فى القاهرة يسعف وزارة الخارجية ، ببرقيـــة ثالثة ، يضمنها تقـــريرا بالمذكرات التى سبق أن قدمها للحكومة المصرية حـــول نشاط البوليس الاحتياطى المصرى ، لكى تســـتخدمها فى تبرير العملية أمام دول العالم .. وكان التقـــــرير بناء على طلب لندن (١٥) ...

● وبعـــد أقل من نصف ساعة ، كانت الخارجيـــة البريطانية تعمم على جميع سفاراتها فى العالم بيانا حول الموضوع ، بدأته بالقول ، بأنه :

« فى السادسة من صباح هـــــذا اليوم ، بدأت القـــوات البريطانية تحت قيـــادة الجنرال ارسكين عملية نزع ســـــلاح البوليس المصرى فى الاسماعيلية . ان القـــرار بتنفيـــذ هـــذه العملية ــ والذى حظى بتصديق حكومة صاحب الجـــــلالة ــ اتخذ بعـــد جهود عديدة بذلتها السلطات البريطانية لدى السلطات المصرية (١٦) ... » واستمر البيـــان بعد ذلك يســـــتعرض « الصفحة السوداء » للبوليس المصرى مع القوات البريطانية ...

* * *

لم تكن الحملة الاعلامية السابقة واللاحقة على عملية الاسماعيلية ،

---

(١٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم ١٥٧ / القاهرة .

(١٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية الدورية رقم ٣ الخارجية / لندن .

بما اشتملت عليه من مغالطات صارخة ، مثل محاولة اقنـــاع الرأى العام العالمى بأن الشىء الطبيعى هو أن يحمى بوليس بلد ، القوات الاجنبية التى تحتل بلده ، أو أصبح من حق تلك القوات أن تجرده من السلاح (!). والمطالبة باجـــلاء قوات البوليس عن أراضى بلادها . وتصـــوير التحام هذا البوليس بالمناضلين من أجل تحـــرير الوطن من المحتـــل الاجنبى بأنه صفحة ســـوداء تستوجب العقاب . وكذلك الاســـتفزازات المتعمدة ، والمقصود بها اهانة حكومة البلاد والازدراء بها والافتئات على سلطاتها ، مثل لهجة التحـــدى التى رد بها ارسكين على انذار النحاس . والقـــول بأن الحكومة المصرية فشلت فى مهمتها كدولة ذات ســـــيادة فى المحافظة على القـــانون والنظام فى أقاليمها ، مما استهدف توجيـــــه الاحداث نحو الانفجار الشـــامل ، تحقيقا للغرض السياسى من عمليـــة الاسماعيلية ..

لم يكن ذلك هو كل ما اتسمت به عملية الاسماعيليةكعمليةغير مبررة، ذات هدف تآمرى . وانما الطريقة التى تمت بها العملية تقـــدم المزيد من الأدلة فى هذا الاتجاه ...

وقبل استخلاص هذه الأدلة ، سنستعرض التقرير الذى وصـــف العملية من الناحية العسكرية ...

● أرسل السير توماس راب ببرقية عاجلة جدا الساعة ٢٤ر١ من ظهر يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ يبلغ فيه وزارة الخارجية :

« بدأت العملية حوالى الساعة ١٥ر٦ هذا الصباح بالتوقيت المحلى ، عنـــدما حوصر مركز البوليس ومبنى المحافظة المشغولين برجال البوليس . كان يبدو أنه لا يوجـــد ضباط بوليس متواجدين فى هذين المبنيين . طلب من ضابط الاتصال المصرى أن يدخـــل ويسلم أمرا بالاستسلام . عندئذ بدأ البوليس باطلاق النار من

المبنيين . قائد البوليس كان على اتصــال من مقــره ، وقد طلب منه أن يتكلم مع رجاله بالتليفــــون ويطلب منهم التسليم . ولمــا لم يفعل ذلك ، فان اطلاق النار قد استمر من الجـــانبين في الحال بالاسلحة الصغيرة والاسلحة الاتوماتيكية الخفيفـــة ومدافع الدبابات البريطانية . مبنى المحافظة بما يشغله من رجال البوليس (٢٠٠ث ــ ٣٠٠) احتــل بواسطة القــوات البريطانية حوالى الساعة ٩٫٣٠ ص . الضحايا سجلت لكن لم يتم التأكد من العــدد بعــد . حتى الآن ٢٠ رجــل بوليس مصرى قتلوا ، والبعض جرح ، وحملوا بواسطة القوات البريطانية . أخبــار هذا الاستسلام بلغت رجال البوليس فى المركز ، الذين واصلوا المقاومة . القــوات البريطانية نادت عليهم ثانية لكى يستسلموا ، وتوقفت عن اطلاق النــار لاتاحة الوقت لهم للاستجابة . كسرت الهــدوء رخة ثقيلة من نيران البنادق من مركز البوليس ،ردت عليها القوات البريطانية.البوليس استسلم حوالى الساعة ١٢٫١٥. يجرى فرزهم الآن . مجمــوع الخسائر البريطانية لم يزل تحت الحصر . ثلاثة من رتب مختلفة قتلوا ، وتسعة آخرون جرحوا ، وضابط واحد جرح . أؤكد أن هذا التقرير أولى ، وأن التفاصيل يجرى تدقيقها (١٧) » .

● وبعــد منتصف ليلة ٢٥/٢٦ يناير بنصف ساعة ، أرســل السير توماس راب تقــــريره الثانى التفصيلى عن العملية الى وزارة الخارجية ، قال :

---

(١٧) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ البرقية رقم ٨٣ / فايد .

« ١ ــ تقرير السلطات العسكرية أن العملية بدأت برسالة الى مســاعد محــافظ الاسماعيلية توضح انه طالما أن البوليس الاحتياطى قد أصبح حاميا ومشجعا للارهابيين ، فلقد كان ضروريا نزع سلاحه.ولكىيصبحذلك ممكنا ، فان كل رجال البوليسالمصرى يجب أن يؤمروا بالخروج من ثكناتهم بدون أسلحة ، وســوف يبلغ اكبر ضباطهم رتبة عند أبواب الثكنات أن الاسلحة ســوف تعــاد الى البوليس النظامى ، والذى سوف يترك عندئذ لمواصلة اداء واجبــه . وأن قسم البوليس ومبنى المحافظة محاصران فى هذه اللحظة بواسطة القوات البريطانية المعززة بالدبابات . وحوالى الساعة ٦٫٣٠ ص كانت رسالة مماثلة تبرق الى حكمدار البوليس الذى كان على اتصال من مقــره . وكانت اجابته أن البوليس سوف يقاوم وفقا للأوامر المرسلة اليهم من الحــكومة المصرية .

٢ ــ البوليس فى المحافظة بدأ اطلاق النار فى الحال بدون تمييز . لم ترد القوات البريطانية فى البداية ، ومددت فترة المهلة لتصــل فى جملتها الى ٤٥ دقيقــة . سيارات تحمــل مكبرات صــوت استخدمت للنــداء على البوليس فى كلا المكانين لكى يستسلموا ، وجرى الضغط على حكمدار البوليس مرة أخرى ، لكنه رفض الذهاب الى قسم البوليس . ولمــا استمر اطلاق النار ايضــا من قســم البوليس اطلقت مدفعيــة دباباتنــا بضــعة دانات من الخرطوش ، وبدأت القوات فى اطلاق النار بالاسلحة الخفيفــة . هذا لم يؤثر على البوليس ، واستمر القذف لبعض الوقت . فصيلتان من القوات البريطانية ، مدعومتان بالدبابات ، اقتحمتــا مبنى المحافظة الذى كان يتألف من مجموعة من الهوائط المركبة التى هى عبارة عن مجموعة من المبــانى كانت تســتخدم

كثكنات بواسطة البوليس . البوليس استمر فى المقـاومة من المبانى الى حـد اطلاق النار من النوافذ العلوية والابراج التى وضعوا عليها سواتر رملية ، وذلك بعد أن تم اخلاء الطـابق الاسفل . وخلال هذا القتال كانت الضحايا تتسـاقط على كلا الجانبين . وفى آخر الامر استسلم البوليس فى المحافظة حوالى الساعة ٣٠ر١٠ صباحا . وكان واضحا ان كل الموجودين كانوا من البوليس الاحتياطى .

٣ — وفى قسم البوليس ، استمر البوليس فى المقـاومة بالرغم من أن أخبـار استسلام المحافظة كانت قد وصـلت اليهم بواسطة مكبرات الصـوت ، حيث طلب اليهم أن يستسلموا السـاعة ١٢ ظهرا . حوالى الساعة ١٢ ظهرا على أى حال ، اطلقت دفعة أخرى من النيران من جانب البوليس ، حيث تم الرد عليها بدفعة من نيران الاسلحة الصغيرة ، والنيران الأثقـل ، وبعدها بقليل استسلموا . وكانت هناك أعداد قليلة من البوليس فى مراكز متفرقة ، تم اخلاؤهم بدون صعوبة .

٤ — بالرغم من أن الرقم الدقيق ليس مكتملا بعد ، فان ما يقرب من ٧٩٠ من رجال البوليس المصريين تم أخذهم كمساجين، من بينهم حوالى ١٠٠ فقط يعتقـد أنهم من البوليس النظامى . الجنرال ارسكين لم يعلن للصحافة عن عد الضحايا من المصريين ، لكن ما يزيد عن ٥٠ رجل بوليس مصرى يعتقـد أنهم قتلوا ، وعدد لا بأس به جـرح ، وكانت ضـحايا البريطانيين ٣ قتلى و ١٢ آخـرون جرحوا .

٥ — بعد الظهر التقى القائد العام للفرقة الاولى بمساعد محافظ الاسماعيلية ، وقدم له رسالة من الجنرال ارسكين لحثه على استئناف القيام بواجباته ، وأنه سيعطى ٥٠ رجل بوليس

نظام واثنين من الضباط ليكون بامكانة ذلك . وانه نظرا للمقاومة التى أبداها البوليس خلال الصباح ، فان هؤلاء الرجال لابد أن يجردوا من السلاح . على أنه بعد غربلة أخرى ، فان الجنرال ارسكين يأمل أن يستطيع امداده بالمزيد من رجال البوليس النظاميين ، وان القوات البريطانية ستكون جاهزة لمساندتهم وستبقى محتلة لاقسام من المدينة . وان ايا من السكان المدنيين يرغب فى مغادرة المدينة ستكون له الحرية فى ذلك .

٦ ــ مساعد المحافظ ، على ما يبدو ، أبلغ القاهرة ، وأجاب بأن الحكومة المصرية تحمل الجنرال ارسكين مسئولية كل ما حدث للمدينة سواء بالنسبة للبوليس أو للسكان ، وطلبت اعادة كل رجال البوليس النظامى وضباطهم اليه . وفى النهاية فقد وافق على أى حال على استئناف عمله ، وأعيد اليه ٥٠ جنديا واثنين من الضباط غير مسلحين .

٧ ــ ونظرا للمقاومة التى قام بها البوليس منذ البداية ، فانه ليس من المفترض اطلاق سراح المسجونين من رجال البوليس الاحتياطى فى الحال ، وقد تم وضعهم فى معسكر فى ((موسكار)) .

٨ ــ لقد اتضح من وضع المبانى التى زارها اثنان من مساعدى بعد ظهر اليوم (٢٥ يناير) أنه كان هناك صراع ضار فى المحافظة . قسم البوليس كان أقل دمارا بكثير ، ويظهر عليه أنه تأثر بشكل رئيسى بنيران الاسلحة الصغيرة ، النيران التى تفجرت فى داخله قد تمت السيطرة عليها . وبعد المقاومة الطويلة ، فان الكثيرين من رجال البوليس لوحظ أنهم شبه شلل مع حالة ذعر ربما صدمه عندما أصروا فى النهاية

وقــد عثر على مخـــازن كبيرة للذخـــيرة خصـــــوصا فى مبنى المحافظة (١٨) ... » .

* * *

والآن ... ما هى الطريقــة التى اتبعتها السلطات العســكرية البريطانية فى تنفيذها للعملية ، والتى دفعت هذه العملية بالقـــذارة ، والتآمرية البعيدة عن روح الشرف العسكرى .. ؟

xx قال الجنرال ارسكين ، وقالت كل التقارير البريطانية ، أن كل عدد رجال البوليس الاحتياطى فى منطقة القنـــال لم يزد عن الالف رجل . وقال وزير الحرب البريطانى ، أن كل الذين وصلوا الى منطقة القنـــال من هؤلاء بعد الغـــاء المعاهدة هو ٦٠٠ رجل . وهو ما يكشف عن الضجة المفتعلة من الاساس حول هذا البوليس الاحتياطى ، لأن القوات البريطانية كانت فى منطقة القنـــال قد تجاوزت المـــائة وعشرين ألف رجل . فأى منطق يقول أن ألف رجل من رجال البوليس الاحتيـــاطى يشكلون خطرا حقيقيـــا ، على جيش بهذا الحجم ! ؟

.. وعندما نفــذت السلطات العسكرية البريطانية العمليـــــة ، وضعت فى مواجهة هذا العدد الضئيل من الجنــود شبه المدربين الذين لا تقاليـــد لهم ــ ١٥٠٠ من خيرة جنود الامبراطورية ، مع اســتنفار عام للقـــوات البريطانية ليس فى منطقة القنال وحـــدها ، وانما فى القـــواعد المحيطة أيضا !

xx سجلت تقـــارير المتابعـــة ، أن الجنـــــود سواء فى مركز

---

(١٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ ــ ا لبرقية رقم ٨٦ / مكتب الشرق الاوسط .

البوليس أو فى المحافظة ، كانوا بدون قيادة . وأن ضـــباطهم لم يكونوا موجــودين بأى من المبنيين (قال اللواء مصطفى رفعت فى شـــــهادته السابقة لى ، أن الضباط لم يكن لهم مكان اقامة فى الثكنـــات ، فكانوا ينامون فى لوكاندات قريبة ، وانهم عندما أحسوا بالحصار تسللوا والتحموا بجنودهم) . بينما كان على رأس القــوات البريطانية المحاصرة الجنرال ارسكين قائد القوات البريطانية فىمصر وكل ضباط هيئة أركان حــربه ، فضــلا عن قادة الفصائل والوحدات ..

ولمــا كان الجنرال ارسكين ــ ومعــه كل السلطات البريطانية ــ قد اختاروا يوم جمعــة لتنفيذ عمليتهم ، واختاروا هذا الوقت المبــكر للتنفيذ ، واختاروا الطريقة التى اتبعوها بالتحــديد ... فانهم بذلك قد قرروا عن سبق عمــد واصرار أن يواجهـــوا كقيادة عليا للجيش البريطانى ، جنودا بسطاء ، بلا قيــادة ، وليسوا قطــاعا من جيش ، أو موقعا متقدما على جبهة قتال .. !

x x ركزت الدعاية البريطانية على أن الوضع الطبيعى للبوليس الاحتياطى المصرى أنه يتسلح بالعصى . واستكثروا عليه أنه أصـــبح فى منطقة القنال يتسلح بالبنادق .واعتبروا ذلك خطرا على ســـلامة القـــوات البريطانية . لذلك حشدوا له أثنــاء العملية ــ فى مقــابل بنادق لى انفلد العتيقــة ــ الاسلحة الاتوماتيكية والدبابات ــ والسيارات المدرعة ــ وبعض أنواع المدفعية . وان كانوا قد نفوا بشدة أنهم لجأوا الى الطيران !

x x على أن أهم مالجأت اليه الســلطات العسكرية البريطانية هو السرية التامة ، والمفاجأة الكاملة فى مواجهة عدوها الخطير ، الذى كان نائما فى ثكناته ، فى يوم أجازته الأسبوعية .. (١)

وقد قال لى اللواء شريف العبد ــ فى شهادته السابقة ضابط الاتصال

بين السـلطات المصرية والسلطات البريطانية فى منطقة القنال حينئذ ، والذى يقيم داخل معسـكرات القوات البريطانية بحكم وظيفة ، أنه عندما استدعى لتسـلم الانذار ، فوجىء بتحرك القوات ، لأن الانجليز أحاطوا تحركاتهم حتى تم الحصـار بالسرية والتمويه ، حتى لم يسـتطع الذين يعيشـون وسـط معسكراتهم ان يلحظوها ..

لمـاذا كانت كل هـذه السرية ؟

وماذا كان يمكن ان يفعـل رجال البوليس ان عـرفوا بالعملية قبل وقوعها ؟

ليس هناك من سبب الا تحقيق عنصر المباغتة ، وعدم اعطاء أى فرصة لعدم اتمام العمليـة كما رسـم لها ..

فالجنود فى ثكناتهم محاصرون . ولا ضباط معهم . والضـباط الصغار الذين التحقوا بهم صـاروا مثلهم . والمهلة شكلية لأنها تعطى بالقطاعى ، نداء بالتسـليم ، ثم خمس دقائق ، ثم ضرب ، ثم نداء وهكذا . وهى مهلة لا تسـتهدف اى مفاوضات أو تفاهم ، وانما تريد شيئا واحدا : الاستسلام أو الموت .

والانذار ، برغم خطورته ، وحقيقة أنه متعلق بشـكل دقيق جـدا بالعلاقة بين دولتين ، فهو لا يتخذ المجرى الطبيعى ، فلم يوجه الى أى جهة اختصـاص مناسبة : لا الى وزير الخارجية ، ولا الى وزير الداخلية ولا الى قيادة الجيش ، ولا الى البعثـة الدبلوماسية المصرية فى لندن ، ولا حتى الى الحكومة المصرية عبر الاذاعة . وانما قدم لمساعد محافظة الاسماعيلية. والجنرال ارسكين لم يطلب من مسـاعد المحافظ حمل انذاره الى المسئولين المصريين ، وانما طلب منه هو نفسـه — ومن حكمدار البوليس — تنفيذ الانذار ، واصدار أمر التسليم الى رجال البوليس ، أو ننفذ نحن .. أى نجبرهم على الاستسلام !!

وهكذا ، لم تترك اى فرصـــة للاستنجاد بالحكومة فى القاهـــرة ..
ولم تترك اى فرصـــة لكى يصبح تدخل الحكومة ممكنا على اى نحو . فقد وضعت الخطة بحيث تقطع الطـــريق تماما على مثل ذلك الاحتمال ..

والغرض واضـــح : تتم العملية بالكامل . يخوض رجال البوليس المعركة غير المتكافئة وحدهم ، ودون ان يدركهم الذين اعطوا لهم الاوامر بالمقاومة . يقتل عدد ضخم منهم ، ويؤسر الباقون . وتقتحم مبانى ومقـــار الدولة الرسمية بالقوة ..

.. ولترنا الحكـــومة المصرية الهمامة ــ التى تتحدانا ــ ماذا هى فاعلة .. !

* * *

لكن ، لأن العملية كانت زاعقة فى تحديها ، لم يكن من الممكن ان تمر ببســـاطة .. وهكذا :

x x اضـــطر مجلس الوزراء البريطانى لعقد جلســـة خاصـــة بعد ظهر نفس اليوم . وســـجل محضر الجلســـة ان وزير الخارجية أبلغ الوزارة بأن الوضع فى منطقة القنال يتجه للتدهور بصورة خطيرة . وان تقارير « رويتر » ــ التى ربما تكون مبالغ ــ تتحدث عن قتال ضـــخم فى الاســـماعيلية هذا الصباح ، فى مجرى العملية التى شرع فيها لنزع ســـلاح البوليس المصرى . وانه بحث مع الســـفير فى القاهرة الموقف الذى يمكن ان ينشأ اذا لجأ المصريون الى رد عنيف . وان الاخير طلب من قائد القوات البريطانية اتخاذ اعلى درجة من الاســـتعداد لحماية ارواح البريطانيين والأجانب وممتلكاتهم فى مصر . وان وزير الخارجية قرأ على الوزراء برقية رقم ١٦٤ الى القاهرة ، والتى يسأل فيها الســـفير عن الاجراءات التى يقترح على الحكومة البريطانية اتخاذها ، والتى ســـوف توضع موضـــع

التنفيذ ، ويطلب منه التشاور فى ذلك مع زميله ســفير الولايات المتحدة الأمريكية . وأنه طلب من الســفير ايضا ان يوجه تحذيرا مناسبا الى ملك مصر . وأن رئيس الوزراء كان قد أحيط علما بالأحداث ، وانه كان على اتفاق مع الاجراء الذى اتخذ . واقترح الوزير احاطة قادة المعارضة بالوضـــع . ووافقت الوزارة على ان تقوم سكرتارية الكومنولث أيضـــا بابلاغ حكومات كندا واستراليا ونيوزيلاند وجنوب افريقيا ، مع ابلاغ حكومة الهند كذلك بتدهور الموقف . أما الاســتعدادات العسكرية المتخذة لمواجهة التطورات ، فتظل على الكتمان . وان مسألة الاجراءات الاقتصــادية والمالية ضـــد مصر ، فربما يتم النظـــر فيها بواســـطة الوزارة فى الأسبوع القادم ، وان ذلك ســـيكون ملائما اذا اســـتمر التدهور فى الوضـع ... !

واذا كانت جلســـة مجلس الوزراء قد عكســـت تعقد الوضع الذى كانت تواجهة بريطانيـــا فى مصر ، والآثار الســلبية الشديدة لعمليـــة الاسماعيلية ، والاجراءات غير العادية التى لجأت اليها لتوضيح موقفها .. فان جلســـة مجلس العموم البريطانى عكست قلق الرأى العام البريطانى، وشـــكوكه فى طبيعة العملية ، وهو ما تمثل فى اسئلة أعضاء المجلس ، والتى دارت تقريبا حول النقاط التى تناولناها ..

● شـغلت عملية الاسماعيلية قسما كبيرا من مناقشـــات المجلس فى جلســـة ٢٩ يناير ١٩٥٢ (١٩) :

— سأل هربرت موريســـون وزير الخارجية : هل يمكننا ان نعتبر ان عملية الاسماعيلية كانت تحـــديدا بتخويل من الحكومة البريطانية ؟

× وأجاب ايدن (قاطعا) :

---

(١٩) محاضر اجتماعات الوزارة البريطانية — جلسه ٢٥ يناير ١٩٥٢ المجلد ٢٤/١٢٨ ص ٣٧

العملية كانت بتخويل من السلطات البريطانية بشكل محدد .

– وأكمل موريسون :

هل حذر البوليس من جانب السلطات البريطانية ، بحيث تتاح له الفرصة لكى يتخذ باختياره الموقف الذى يريده قبل بدء العملية العدائية ؟

× واجاب ايدن :

ليس تحذيرا واحدا ، بل تحذيرات متكررة قدمت للسلطات المصرية وعلى أعلى المستويات . وكان ايدن فى ذلك يراوغ ويغالط ، لأن سؤال موريسون بالمنطق ينصب على التحذير الذى أعطى عند تنفيذ العملية ، بينما تحدث ايدن عن التحذيرات الدبلوماسية السابقة على العملية .

– وسأل جون هايند :

هل من حقنا ، باسم اى صلاحيات ، أن نتخذ اجراءات ضد أجهزة رسمية ، حتى لو كان بعض افراد هذه الاجهزة ايدوا أو شاركوا فى أعمال ارهابية ضد القوات البريطانية ؟

.. ثم أكمل :

هل يستطيع الوزير أن يقدم لنا توضيح حول الاساس الذى تمت عليه العملية ؟

× وأجاب ايدن :

على اساس معاهدة ١٩٣٦ . وهكذا ضرب عرض الحائط بقرار حكومة مصر بالغاء المعاهدة ، رغم أنه فى بيانه فى بداية نفس الجلسة ، أقر بهذه الحقيقة فى معرض حديثه عن وجود البوليس الاحتياطى فى منطقة القنال ..

وأضاف ردا على مسألة حق القوات البريطانية فى القيام بعمل ضد

جهاز رسمى لدولة اخرى ، بأنه « كان واضحا ، ان هذا البوليس بدلا من ان يكون بوليسا ، عزز وشـــارك فى الاعمال التخريبية ضد قواتنا ..

ــ وسأل انورين بيفان :

هل كانت الحكومة (البريطانية) منبهة . وهل اعطت صلاحيات بطبيعة الاســلاحة التى تســتخدم فى الهجوم على مقر قيادة البوليس ؟

× ورد ايدن ســاخرا :

بالنســبة للاسلحة التى استخدمت ، اسأل : اذا اســتخدمت الاســلحة الأصغر ، وطالت المعركة ، هل لن تكــون الخسائر فى الأرواح اثقل (٢٠) ؟ ..

وانتهت الجلســة بطلب من بيفان بأن يقدم للمجلس تقرير تفصــيلى عن العملية ، احالة ايدن على وزير الحرب المســتر انتونى هيد ، الذى قدم تقريره فى جلســة المجلس التالية يوم ٣١ يناير ١٩٥٢ .

قال وزير الحرب البريطانى :

ــ ان الحكومة أعطت الصلاحية لارسكين لنزع ســلاح البوليس المصرى فى ٧ ديسمبر ١٩٥١ (مبكرا جدا ، قبل أسبوعين كاملين من أول برقية من قيادة قوات الشرق الأوسط حول الموضوع) ..

ــ وأن مبرر العملية هو ان خســائر القوات البريطانية حتى ٢٣ يناير ١٩٥٢ ، بلغت ٣٣ قتيلا ، و ٦٩ جريحــا ..

ــ وأنه بعد ١٦ اكتوبر (اليوم التالى للتصديق على مرسوم المعاهدة) فشــل البوليس المصرى فى الســيطرة على الفوضى . وبعد ذلك وصــل

---

(٢٠) مضابط مجلس العموم البريطانى (HANSARD) ـمجلد رقم ٤٩٦ / ١٠٠٣ ــ الاعمدة ٣٤ حتى ٣٩

الى منطقة القتال ٦٠٠ من رجال البوليس الاحتياطى من القاهرة ، وكانوا المتقدمة الى فلكها وتضمها فى اطارها .

مسلحين بالبنادق . وان البوليس الاحتياطى (الجديد) شـــارك فى المعارك ضد القوات البريطانية ..

— الوضع يوم ٢٥ كآ كالآتى :

حوالى ٤٠٠ — منهم ٦٠ نظاميين — كانوا فى القره قول ، و ٦٠٠ كانوا فى مبنى المحافظة ..

— العملية بدأت برسالة الى مساعد المحافظ ، تطلب ان يخرج رجال البوليس من ثكناتهم بدون أسلحة ، لتتسلمهم القوات البريطانية.. (وصف اللواء مصطفى رفعت فى شهادته السابقة الاشارة اليها ، ان الأوامر كانت ان يخرج رجال البوليس ، بدون أسلحة ، عاقدين أيديهم فوق رؤوسهم ، مستسلمين . وأن الجنرال ارسكين أشار بأصبعه الى أعلى بازدراء ، وقال : وينزع هذا الشىء   من على مبنى المحافظة المحافظة ، مشيرا الى علم مصر) ..وان الامـــر نفســـه ابلغ الى حكمدار البوليس الذى قال ان جنود البوليس المصريين الاحتياطيين والنظاميين سوف يقاومون ، لأن هذه هى الأوامر الصــــادرة من القاهرة ..

— ومن ســـير العملية ، انه من الساعة ١٤ر٦ حتى الساعة ٤٠ر٦ استمرت نداءات التحذير وطلب الاستسلام . الساعة ٥٦ر٦ بدأ البوليس المصرى باطلاق النار واستمر (وحده) حتى الســـاعة ١٠ر٧ . عندئذ بدأت القوات البريطانية باطلاق دانات « فشنك » من ٢٠ دبابة للتحذير : استمر البوليس فى اطلاق النار . الساعة ١٥ر٧ بدأت القوات البريطانية أول اطلاق نار لها ، بست دفعات

من مدفعية الدبابات زنة ٢٠ رطلا ، وبعض المدافع زنة الرطلين ،
مع الاســلحة اخفيفة . رد البوليس بغزارة . توقفت القــوات
البريطانية وآعادت توجيه النداءات بدعوة البوليس للاستسلام
فتحت قواتنا النيران مرة أخرى الساعة ١٥ر٨ ، ثم وجهت دداءات
للاستسلام . الســاعة ٩ قامت فصــيلتان من قواتنا مدعومتان
بالدبابات بعملية اقتحام . فتحنا النيران من جديد الساعة ١٠ ، ثم
الساعة ٤٧ر١٠ بدأ الاستسلام . خسرنا ٣ قتلى و ١١ جرحى .
وخسر المصريون ٤١ قتيلا و ٧٣ جــريحا ، وأسر ٨٨٦ من رجال
البوليس ...

ـــ اشتملت الاسلحة التى استخدمتها قواتنا على : الاسلحةالصغيرة.
دبابات ذات مدافع ٢٣ بوصـــة زنة ٢٠ رطلا . سيارات مدرعة
محملة بمدافع زنة رطلين . لا مدفعية . ولا طيران . ولا مدافـــع
مورتار اللهم الا دفعة واحدة من قنابل الدخان ..

واختتم وزير الحرب بيانه بادعاء ان العملية خططت بغرض منع اراقة الدماء (طبعا البريطانية !) وانه لمنع المزيد من الضحايا على الجانبين كان من الضرورى اتمام العملية بأسرع ما يمكن ..

ثم أضاف : ولو ان الحكومة المصرية قد حافظت على ســيطرتها الدقيقة على وقوات بوليس ، وخاصة البوليس الاحتياطى ، لمــا كانت هناك اى ضرورة لقيامنا بالعملية بالمرة (٢١) ..!

وقد توقفت مناقشـــة الموضوع عند هذا الحـــد فى مجلس العموم بسبب توالى الاحـــداث . واذا كانت هذه المناقشـــات ، والاسئلة التى

---

(٢١) مضابط مجلس العموم البريطانى — المجلد رقم ١٠٠٣/٤٩٦ — الاعمدة ٣٦٢ حتى ٣٦٥ .

طرحها قادة حزب العمال قد عكست جو الاسترابة فى العملية ، فان جريدة الديلى ووركر — الصحيفة اليومية للحزب الشيوعى البريطانى — قد عبرت عن السخط الصريح عليها . نشرت الصحيفة فى صدر عدد يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ بروازا تحت عنوان « يوم العار » ، قالت فيه :

(أمس كان يوم عار لشعب بريطانيا . حيث قامت القوات البريطانية المدججة بالاسلحة الثقيلة ، والمتفوقة عددا وتسليحا ، بمهاجمة رجال البوليس المصريين المسلحين باسلحة بدائية ، لتضيف صفحة ، ليس لمجد بريطانيا ، وانما لعدم شرفها) .

* * *

ولان العملية كانت مدانة من الرأى العام العالمى ، سعت السلطات البريطانية الى الاستنجاد بالقوى الامبريالية ، وبصفة خاصة الولايات المتحدة الامريكية الحليف والغريم لبريطانيا فى مناطق نفوذها حينئذ ، وفى مقدمتها مصر ..

وهكذا حرص المستر ايدن على ان يطلب من سفيره فى القاهرة ان يتفاهم مع السفير الامريكى بها ، وينسق معه . وقد حدث ، وارسل السيد والف ستيفنسون برقية ذات طبيعة سرية خاصة ، اعدت الساعة ٢.٠ر١ يوم ٢٥ يناير ، قال فيها :

« تحدثت مع زميلى سفير الولايات المتحدة هذا الصباح ، موضحا له ضرورة العمل الذى قمنا به ضد البوليس الاحتياطى المصرى فى الاسماعيلية . وكان قبل لحظات من مقابلتى قد تلقى تلغرافيا من لندن تضمن جوهر ما قدمتموه لسفير الولايات المتحدة لديكم عن الموضوع كلة . كان رد فعل المستر كافرى جيدا . ولم يسأل (اكرر « لم ») حول ضرورة الاجراءات التى نتخذها فى منطقة

القتال . وكان سعيدا لان يسمع اننى كلفت بمناقشة ، وان أمكن الاتفاق مع حول أى توصيات يراها بشأن وضع عملية « روديو » موضع التنفيذ (عملية روديو هى عملية عسكرية لاحتلال مصر بالكامل كما سيأتى)

٢ ــ كان واضحا من البرقية التى اطلعنى عليها المستر كافرى أن الادميرال كارنى (يبدو انه قائد الاسطول الامريكى فى المتوسط) قد احيط علما .

٣ ــ لقد قمت بترتيب لقاء مع رئيس الديوان الملكى هذا المساء(!) وســـوف أتحدث معه وفق التوجيه الموجود فى الفقرة رقم ٤ من برقيتكم (راجع برقيتى رقم ١٥٠)(٢٢) ..

وفعل ستيفنسون نفس الشىء مع سفير فرنســـا فى القاهرة ..

لكن يبدو ان رضا السيد جيفرسون كافرى عن مذبحة الاسماعيلية ، وبرغم انه المعبر الرســـمى عن رأى الحكومة الامريكية ، لم يمنع استمرار عدم الرضا العام عن الفعلية البريطانية لدى الرأى العام الامريكى ، مما ترك آثاره على بعض الرسميين الامريكيين . وتكشف البرقية التالية ، التى بعثها كبير مستشارى السفارة البريطانية فى القاهرة الى وزارة الخارجية يوم ٥ فبراير ، عن ذلك . تقول البرقية :

« ان برقية واشنطن رقم ٣٠١ بتاريخ٢٧يناير لوزارة الخارجيةتبين الضغط الذى وقع على عقل الرسميين فى الولايات المتحـــدة بسبب العملية التى قمنا بها ضد بلوك النظام فى الاســـماعيلية يوم ٢٥ يناير » .

---

(٢٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢ البرقية رقم ١٥٣ / القاهرة

ويقدم السيد كبير المستشارين تحليلا للموقف على أساس من علم النفس ، فيقول :

((ان النظرية القائلة بأن مقاومة بلوك النظام هى احد مظاهر ((الروح الوطنية)) هى أمر لا يمكن ان يؤخذ على محمل الجد بالنسبة لاى شخص له خبرة بمصر (!) . ان تفسير المقاومة ستجدونه كما حددناه فى الفقرة ٨ فى برقية فايد رقم ٨٨ بتاريخ ٢٥ يناير الى وزارة الخارجية ، التى لا حظت ان المسجونين ((اجتمعوا مع جلاديهم)) (يقصد تلاحم الفدائيين من أبناء الشعب مع جنود البوليس الذى يفترض الكاتب انه ضد الشعب)).

ان عساكر بلوك النظام هم فى معظمهم من الفلاحين المصريين الذين لا يخضعون بالتحديد لادارة جيدة ، والذين يوثق بهم — مع اسلحة خفيفة — فى أى ظروف . وورود فعلهم عندما يستثارون او يخوفون ، يمكن وصفها فقط باعتبارها غريزة حيوانية للدفاع (!) أن أى شخص رأى مشاحنة بين فلاحين مصريين مستثارين ، أو حتى مشاجرة بين مرصيين فى شوارع القاهرة ، يدرك كيف انهم يمتنعون عن تقبل اى شكل من المنطق ، ويصمون آذانهم عضويا ، ان جاز استخدام التعبير مجازا ..

ثم يحاول ان يفسر سر مقاومة رجال البوليس المصريين :

((ان عساكر بلوك النظام كانوا مفاجئين ومحاصرين فى مبنى المحافظة فى الاسماعيلية وكانوا متأكدين تماما انهم سيذبحون . ان الطلبة الذين قبضت عليهم قواتنا كان عليهم انهم يدركون ذلك . وهم على مستوى عال من التعليم بالمقارنة بجنود بلوك النظام . ونحن لا نعتقد للحظة انه اثناء هياجهم التفت اهتمامهم الى ما يقال لهم بالعربية عبر مكبرات الصوت ، كما لا نعتقد ان أى شىء أو أى احد كان يمكن ان يوقف اطلاقهم للنار حتى تصل انفعالاتهم الى

مرحلة الانهاك الطبيعى . وكان الطريق الوحيد امام قواتنا لمنع حمام الدم هو الانتظار حتى يستنفد جنود بلوك النظام ما لديهم من ذخيرة ، ويهدأون . اننا على اى حال لم نكن مقدرين ان ذلك كان ممكنا من الناحية العسكرية أو السياسية » .

ويستطرد فى مقارنة لا معنى لها :

« فى كفر عبده كان الوضع مختلف كلية . حيث كان جنود بلوك النظام قد صقلوا بتدريب البوليس النظامى ، وكانوا من ناحية اخرى تحت قيادة ضابط كبير مسئول ، كما انهم تلقوا امر بالتحرك لمهاجمة القوات البريطانية ، ولم يكونوا هم انفسهم محاصرين . ان المقاومة فى الاسماعيلية كانت شاهدا ليس على النظام والروح الوطنية ، بل على عدم الانضباط والغضب الاعمى الصرف . انه لمن المفيد التذكير بأن الاضطرابات الخطيرة الأولى التى وقعت فى الاسماعيلية بدأت عندما وجدت سيارة نقل بريطانية عسكرى بوليس نائما ، فاخافة بطريقة صارخة اخرجه عن صوابه وجعلته يخيف بعض زملائه فى قسم البوليس (!!) .

وأخيرا ، يحاول الاعتذار والتخفيف :

« اننا نأمل باخلاص الا نكرر مثل تلك الحوادث . ولكن اذا كانت فقط اجراءات للوقاية ، فاننا نعتقد ان النقاط المذكورة آنفا ، ستكون مفهومة على نطاق واسع عما كان يبدو .. »

❋ ❋ ❋

وبالرغم من ان هدف العملية وطبيعتها هو الشىء الجوهرى فى نظرنا ، فلا بأس من القاء نظرة على الشكل الذى أخرجت به ، بمراجعة خفيفة للبيانات والتقارير التى كتبت او صدرت عنها ..

ان بيان الســـفارة البريطانية فى القاهـــرة ــ الذىكرر عن طريق الخارجيـــة الى جميع الســـفارات البريطانيـــة فى العالم ــ تجنب ذكر اى معلومات محددة عن العملة ، وركز على محاولة تبريرها سياسى أمام الرأى العام العالمى ..

بعد ذلك كان اول تقرير تناول العملية هو تقرير السير توماس راب الاولى ظهر ٢٥ ، ثم تلاه بتقرير التفصيلى الســـاعة ١٢ر٢٩ من صـــباح يوم ٢٦ . ثم قـــدم المستر انتونى هيد وزير الحـــرب بيانه العلنى أمامجلس العموم يوم٣١ ، واخيرا تعرض كبير مستشارى الســـفارة من بعض النواحى للعملية فى برقية الفكاهية التى أوردنا نصـــها لعله يضيف شيئا الى الطريقة المضطربة التى عالجت بها الســـلطات البريطانية الموضوع .

ماذا قالت هذه التقارير والبيانات ؟

ــ ذكر بيان السفارة ان القوات البريطانية المشتركة فى العمليـــة كانت حوالى ١٥٠٠ جندى . بينما لم يذكر السيد راب اى رقم . وتعمـــد وزير الحرب عدم الاشـــارة الى حجم القوات ..

ــ قال تقرير السير راب ان العملية بدأت بالانذار الساعة ٦١٥ بينما ذكرت برقية الخارجية للســـفارات أنها بدأت الساعة السادســـة . وقال وزير الحرب ان الانذار ســـلم الساعة ٦ر١٤ ، وان الحصـــار بدأ مع الفجـــر ..

ــ ذكر الســـير راب ان البوليس المصرى (بدأ عندئذ الضرب) . وأضـــاف : « واستمر اطلاق النار من الجانبين » هكذا بدون تحديد . بينما حرص وزير الحرب على التحديد ، فقال انه من الساعة ٦ر١٤ حتى الساعة ٦ر٤٠ استمرت التحذيرات البريطانيـــة والنداءات على البوليس للتسليم . وأنه فى الساعة ٦ر٥٦ بدأ البوليس باطلاق النار . لكنـــه فى دقة نسى ان يذكر لمجلس العموم انه ما بين الســـاعة ٦ر٤٠ التى حددها كنقطـــة انتهت

فيها فترة الانذارات (الأولى) ، وبين الساعة ٥٦ر٦ عندما بدأ البوليس اطلاق النار ، يوجد فرق ١٦ دقيقة ، ولم يقل لنا الوزير كيف انقضت هذه الـ ١٦ دقيقة المشحونة بالتوتر ؟

ـ قال السير راب ان اقتحام واحتلال مبنى المحافظة تم الساعة ٣٠ر٩ ، بينما خفض وزير الحرب الزمن نصف ساعة كاملة (بتوقيت الحرب !) .

ـ وقال السير راب ان الاقتحام تم بتقديم فصيلتين مدعمتين بالدبابات . وأكد نفس الشيء وزير الحرب ، لكن كبير مستشارى السفارة ، وحتى يخفف على اصدقائه الامريكان قال ان القوات البريطانية انتظرت حتى تنتهى ذخيرة البوليس . بينما يقول تقرير السير راب انه وجدت بمبنى المحافظة مخازن كبيرة للذخيرة .. !

ـ قال السير راب ان رجال البوليس فى المحافظة استسلموا ٣٠ر٩ (أو هكذا يستنتج من كلامه ، لانه ادمج الاقتحام والاستسلام فى خبر واحد) ، بينما تجاوز وزير الحرب مسألة استسلام المحافظة وادمج عملية المحافظة مع عملية القسم وقال ان الاستسلام بدأ الساعة ٤٧ر١٠ ، بزيادة ساعة و١٧ دقيقة عن اول موعد حدده السير راب ..

ـ عن خسائر رجال البوليس المصرى ، ذكر راب ان القتلى أكثر من ٥٠ ، وخفضهم وزير الحرب الى ٤١ فقط . وقال راب ان عدد الجرحى لا بأس به ، بينما حددهم وزير الحرب بـ٧٣ . أما الاسرى فقد ذكر راب انهم ٧٩٠ ، بينما حدد وزير الحرب انهم ٨٨٦ ، بفارق ٩٦ ..

ويثير ذلك مسألة هامة رغم أنها تبدو تافهة . أن عملية الاسماعيلية أعد لها قبل تنفيذها بزمن طويل . ودرست كل خطوة ، بل كل كلمة متعلقة بها بعناية ، واشترك فى تحمل مسئوليتها مجلس الوزراء البريطانى ، ووزارة

الحرب ، وهيئة رئاسة الاركان ،فضلا عن قيادة قوات الشرق الاوسط ، والمكتب البريطانى للشرق الأوسط فى فايد ، والسفارة بجميع اجهزتها فى القاهرة . واعد البيان الذى يذاع حولها قبل تنفيذها بليلة كاملة . وقدم التقرير الكامل عنها بعد تنفيذها بـ١٢ ساعة . وقدم وزير الحرب تقريره امام مجلس العموم بعد اسبوع . فلما جاءت هذه الفروق فى البيانات ، حول آمور كان من السهل تضبيطها ، لانها حقائق ثابته ، ولا يوجد سبب منطقى للاختلاف فيها ..

لماذا حدث ذلك ؟

يقولون ان المجرم ، مهما كان حريصا ، لابد ان يترك اثر يدل عليه ، ويكشف جريمة ولذلك ، فمن المتداول ان الجريمة دائما ناقصة . ويصعب أو يستحيل اخفاء كل معالمها ..

وبالرغم من أن الوثائق البريطانية نفسها تكشف طبيعة الجريمة فى عملية الاسماعيلية .. الا البيانات العسكرية عنها تأبى الا ان تقدم المزيد مما يؤكد هذه الطبيعة ..

على أنه يبقى اهم عنصر من عناصر عملية الاسماعيلية ـ الجريمة ، هو أنها نفذت كمقدمة لجريمة اخرى ، جعل تنفيذ عملية الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ، بالطريقة التى تمت بها ، من وقوعها امرا محتما .. فى اليوم التالى .. يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ..

وهذا موضوعنا فى الفصل التالى ..

الفصل الثالث

التحقيق البريطاني للحادث

طوال يوم ٢٥ يناير ، ظل السفير البريطانى فى خط الدفاع ، يبرر الفعلة البريطانيـــة فى الاسماعيلية ضد البوليس الاحتياطى المصرى .. ثم بقى طول الليل ، وصـــباح اليوم التالى يترقب ردود الفعل المصريـــة .. ويتابع تنفيذ السياسة البريطانية فى ذلك اليوم الفاصـــل فى تاريخ الصراع بين الامبراطورية وبين الحركة الوطنية المصرية ..

ومع ظهر يوم ٢٦ يناير ، وبدء أحداث السبت الاســـود ، راح السفير يبلغ حكومته اولا بأول بما يجـــرى .

● **الساعة ١٫٣٧ ، ارســـل اول برقية ، يقول فيها :**

« تخريب خطير انفجـــر فى القاهـــرة . جموع ضـــخمة فى الشـــوارع تشعل النار فى السيارات والمبانى . لدى معلومـــات مؤكدة ان الترف كلوب (البريطانى) واربع دور ســـينما ومبانى بريطانية أخرى قد احرقت ، ويخشى ان يكون ذلك قد اودى بحياة اشـــخاص بريطانيين .

« المطافى ليســـت قادرة على اداء مهمتها ، لأن الجموع تمزق خراطيمها . البوليس طلب نزول الجيش . » .

« اننى على اتصال تليفونى بالقائم بأعمال وزير الخارجية ،

الذى تلقيت منه تأكيدا بأن المصريين فى وضع (أكرر « فى وضع ») يسمح لهم بالمحافظة على النظام ، وانهم يتحملون مسئولية حماية أرواح البريطانيين والاجانب الاخرين (١) »

● وفى الساعة ١٠ر٢ كان يبرق بجملة واحدة :

« الجيش المصرى استدعى لمساعدة البوليس المدنى » (٢) :

● وفى الرابعـــة و١٣ دقيقة :

« عدد من المبانى احرق فى وسط المدينة ، متضمنا بنك باركليز، واماكن لهو ، ودور سينما ، وبارات ، وفنادق بينها شبرد) ، ومنشآت فخمة بينها نادى محمـــد على ونادى الســـيارات الملكى (المرتبط ارتباطا خاصـــا بالملك) . الجموع تهتف ضـــد الباشوات كما تهتف ضد البريطانيين ، وتهتف بشـــعارات ضـــد الملك وحافظ عفيفى وحيـــدر الخ ..

« الاحراق يتم بواســـطة قنابل حارقة .. »

« مفارز الجيش وصلت قلب المدينة . »

« البوليس آفاد بأن قانون الاحكام العرفيـــة قد اعلن بواسطة الملك بناء على طلب الحكومة (٣) .. »

● والساعة ٣٤ر٧ ، ارسل يبلغ حكومته :

« استمرت أعمال الشغب . تسمع طلقات نار . تقاريرنا ان الجيش يقاتل المشاغبين ، ولكن ليس واضحا بعد الى اى حد لديه الحرارة فى تادية

---

(١) ، (٢) ، (٣) البرقيتان غير المرقمتين ، والبرقية رقم ١٧٦ ــ مجموعة وثائق الخارجية البريطانية ــ ملف ٩٦٨٧٠

المهمة .. (٤) » .

● وصباح اليوم التالى ، الساعة ٢٠ر٨ ، كان السفير يقول :

« بعد ليلة غير مريحة آ بعض الشىء ، وطلقات متقطعة (بعضها من بنادق آلية) فى عدة اقسام من القاهرة .. الموقف يبدو هذا الصباح هادئا نسبيا ..

« البوليس أفاد بأن الجيش لا يزال فى حالة تاهب فى قلب المدينة ، حيث لا تزال بعض الحرائق مشتعلة . وقال ان اطلاق النار اثناء الليل كان للتحذير لكى يبقى الناس فى البيوت ، ولمنع السرقة ، وان كل شىء هادىء فى مصر الجديدة والجيزة وبقية الضواحى ..

« الملحق العسكرى زار وزارة الدفاع للحصول على المزيد من المعلومات ..

« حظر التجول طبق . والجيش لديه التعليمات لمنع التجمعات . عدد من الفصائل (الجيش) تبدو صغيرة موجودة فى الأحياء السكنية (باستثناء الاماكن المجاورة مباشرة لهذه السفارة) ..

« القنصليتان السويدية واللبنانية كانتا بين المبانى التى احترقت أمس ...(٥) »

فى هذه الليلة «غير المريحة» لسعادة سفير بريطانيا ، كانت مصر تمضى افظع ليلة فى تاريخها المعاصر حتى ذلك الحين . الدخان الاسود الكثيف يطبق على صدر القاهرة ، والسجون تفتح افواهها لابنائها الوطنيين ،

---

(٤) ، (٥) ، (٦) البرقيات رقم ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٤٣ — ملف رقم ٩٦٨٧٠/ مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

وحظر التجول يحبس الشعب كله من الغروب الى الشروق .. والامور كلها تتبدل ، لصالح الاستعمار البريطانى وحلفائه ..

وهكذا ، بعد هذه الليلة ، استراح السير رالف ستيفنسون ، ونـــام ملىء جفنه ، خصوصـــا بعد ان ابلغه التغيرات التى كان يتوقعها ، ممـــا سنشير اليـــه فيما بعد ..

وانتقل الســـفير البريطانى فى مصر من الدفاع الى الهجوم ..

ـــ عقد مؤتمرا صحفيا بعد ظهر يوم ٢٩ يناير ، أعلن فيه ، أنه :
« على اثر اعتداء ٢٦ يناير بواسطة الغوغاء المصريين ، والتخريب المتعمد باشعال النيران فى الترف كلوب ، تم اكتشاف ثلاث جثث خلال يوم الاحد ٢٧ يناير .

«وان عدد الضحايا البريطانيين ٩ ، وواحد مفقود ، و٤ بالمستشفى»
وحتى يستثير عطف الرأى العالمى ، اضاف :

« ان معظم البريطانيين (الضحايا) ليســـوا من صـــغار السن . فأحد القتلى تجاوز الثمانين ، وأحد الجرحى فوق السبعين .
وان « الهجوم على الترف كلوب يبدو انه قد خطط له بعناية ، والشواهد تدل على ان العـــديد من الذين ماتوا ، قتلوا عن عمد ، وبوحشية، ولم يموتوا بسبب النيران » .

ولكى « يجبه » مع أكبر عدد من الدول ، اضاف :
« الجاليات الاخرى ، خاصة الفرنسية ، واليونانية ، والسويدية، واللبنانيـــة ، والالمانيـــة ، والسويسرية ، تحملت كثيرا . وخسائر اليونانيين ، بشكل خاص ، خطيرة ..(٦) »

مجموعة وثائق وزارة الخارجيـــة البريطانية .
ـــ ثم وجهت السفارة احتجاجا الى الحكومة المصرية ، تتهم فيـــــه السلطات الرسمية بالتواطؤ والتستر . اضـــطر وزير خارجية مصر (فى حكومة على ماهر) للرد عليه . هـــذا الرد تضمنته برقية ستيفنسون الى وزارة الخارجية بتاريخ ١٤ فبراير ، التى جاء بها :

« فى الرد الذى تلقيناه هذا المساء على مذكرتنا ، عبر وزير الخارجيـــة عن أسفه على الارواح والخســـائر (طبعا البريطانية)

التى تسبب فيها حوادث ٢٦ يناير . ولكنه منذ الاتهام الموجـــه للسلطات المصرية بالتواطؤ فى الاحـــداث . وأكدت مذكرة وزيـــر الخارجيـــة ان المعلومات الحديثة توضح ان منظمى الاضطرابات أرادوا ان يحدثوا الارهاب والتدمير فى العاصمة ، وانهم فقـــط كانوا يتحينون اللحظة المواتية . وان احداث ٢٥ يناير فى الاسماعيلية قدمت فرصة لا مثيل لها ، وهى باشعالها الغضب الوطنى ، ودفعها بعض رجال البوليس الاحتياطى للانخراط فى المظاهرات فى القاهرة يوم ٢٦ ينايـــر ، قد قللت امكانية المحافظة على النظام فى العاصمة .

« وتستمر المذكرة ، بأن الحكومة فى الخلاصة مصممة على كشف جرائم ٢٦ يناير ، وتؤكد عزمها على ملاحقة المجرمين واقرار النظام العام » .

« وتنتهى المذكرة بالتعبير عن جهد الحكومة فيما يتعلق بضحايا لأصحاب الممتلكات التى خربت ، دون انتظار لاحكام المحاكم ، ودعوة لتقديم بيانات عن المتضررين من التخريب ، حتى تستطيع السلطات المختصة عمل تقدير اجمالى لها .

ويختتم الســـفير البريطانى برقية بعبارة تستلفت النظر ، اذ يقول :

« صحف هذا المساء تنشر نص المذكرة الجوابية التى ارسلت الـــى جميع البعثات الدبلوماسية التى قدمت مذكرات حول ٢٦ يناير . وهى فى نفس اتجاة المذكرة التى ارسلت الينا ، الا انها لا تشـــير الى تواطؤ السلطات الرسمية (وهذا مفهوم ومنطقى ، لان السفارة البريطانية هى وحدها التى وجهت هذا الاتهام) .. **وتشير باختصـــار فقط الى ان المظاهرات نتجت عن حوادث ٢٥ يناير فى الاسماعيلية (٧) .. » .. !**

❋ ❋ ❋

.. وندخل الى الموضوع ..

❋ ❋ ❋

اهتمت السلطات البريطانية بأحداث ٢٦ يناير مثلما اهتممنا نحن بها .

---

(٧) البرقية رقم ٣٧٧ ، مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٠

مع فارق يبدو بســيطا — فى مبتدأ الموضوع ، وليس فى خبره ! .. ذلــك اننا فى مصر ، واتفق معنا كل من تناول هذه الاحداث فى العالم ، اطلقنا على ما حدث فى ذلك اليوم اسم ، او وصف ، « حريق القاهرة » . اما السلطات البريطانية ، فقد حرصـت ، منذ اول لحظة ، اول لحظة ، وحتى اخر كلمة قيلت فى وثيقة بريطانية ، على ان تطلق على ما حدث اسم او وصف « أعمال الشغب فى القاهرة يوم ٢٦ يناير » .

. لمــاذا صممت السلطات البريطانية هذا « الوصف » الخاص بها ، بهذا التحديد ... ولمــاذا لم تغيره ابدا .. ولو من باب ابتاع المصطلح الذى شاع استعماله ؟ طبعا هناك سبب لذلك سنأتى اليه عندما يصبح ضروريا ...

* * *

بعد الوصف الاخبارى الذى تضمنته البرقيات الاولى التى سبق ان أوردناها ، اخــذت السلطات البريطانية تدقق فى الامر ، وتنتقل من عمليــة الوصف الخارجى ، الى التحليل ..

● تضمنت برقية السير رالف ستيفنسون الى وزارة الخارجيــة ، الساعة ١٠ر٢٥ من مســاء يوم ٢٦ يناير ، اول تقديم لاحداث اليــوم . قالت البرقيــة :

« الانطباع العام ، بأن انفجار ثوريا قد وقع بشدة . غير ان فعاليته قد حدث بواسطة الجيش نظرا لصغر مساحة قلــب المدينة نســبيا ..» .

« شهود العيان (الذين قدموا ملاحظاتهم بعد الظهر) يؤكدون على درجــة التنظيم والنظــام الذى ابداه مرتكبوا الحوادث فى المراحل المبكرة . انهم عصابات يقودها شــبان من طبقة الافندية ، الذين يأمرون اتباعهم الا يستولوا او ينهبوا اى شىء ، بل يواصلون تنفيذ برنامج مخطط بوضوح لتخريب اهداف منتقاة ..(٨) »

● وبعد خمســة أيام ، بعث كبير مستشارى اســفارة برسالة الى القسم الافريقى بوزارة الخارجيــة البريطانية ، تضمنت اول تقــرير تفصيلى عن الحوادث ، قال فيه :

---

(٨) البرقية رقم ١٨٥ ، مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٠

هل لكل ما قدمناه علاقة باثبات اتهام محدد ، ضد أحمد حسين والحزب الاشتراكى فى قضيـــة حريق القاهرة ؟ لسنا نحن الذين سنجاوب ، انما سنترك ، ولاخر مرة ، السير رالف ستيفنسون يتولى الاجابة ..

● ففى يوم ١٥ ابريل ، ارسل الســـفير رسالة مطولة الى وزير خارجية المســـتر انتونى ايدن ، ضمنها كل ما يتعلق بمحاكمات حـــريق القاهرة ، ولمعانى كثيرة فى هذه الرسالة ، نوردها بنصها .. يقـــول الســـفير البريطانى :

« انتشرف بأن افيدكم بأنه خلال الشـــهر الماضى عقـــدت سلسة من المحاكمات لاشخاص اتهموا فى الجرائم التى ارتكبت خلال أعمال الشـــغب التى وقعت يوم ٢٦ يناير .

٢ ـــ المحكمة العسكرية العليا التى انشئت للنظر فى هذه القضايا بدأت باستماع لاولى هذه القضايا يوم ١١ مارس لتسعة عشر متهما بتهمة الاحراق ، والنهب ، واتلاف الموجودات ، والتظاهر مع حمل ادوات الحـــرق . اربعـــة منهم ذكرت الصـــحف انهم طلبة ، والباقون من الطبقة العاملة . خمسة حكم عليهم بمدد تتراوح بين ٨ و ١٠ سنوات اشغال شاقة . والاخرون حكـــم عليهم بمدد اصـــغر . وثمانية برئوا .

٣ ـــ محاكمات متتالية تبعت ذلك . ومعظمها اتخذت نفس الطابع ، حيث بالتقريب ثلث المتهمين فى كل قضية حكم عليهم على الاكثـــر بـ١٤ سنةسجن ، والثلث الاخر تلقوا احكاما اقل، والباقى برئوا . ولقد اصبح واضحا ان المتهمين فى جميع القضـــايا لم يكونـــوا هم هؤلاء الاشخاص المسئولين عن تنظيم اعمال الشـغب يوم ٢٦ يناير ، وانما هم مجرد مجرمين عاديين ونهابين ، كثيرون منهم من المحتمل انهم تجمعوا بعد ان كان الهجوم الاصلى قد تم . القليل منهم قبض عليه فى ذات اللحظة ، اما الاغلبية فقد تـــم تعقبها من خلال استيلائها على الممتلكات المسروقة . نسبة صغيرة جدا منهم كانوا متعلمين بأى درجة . ولهذه الاســـباب فان هذه المحاكمات كانت ذات فائدة ضئيلة ، ولا اجد سببا للكتابـــة عنها بالتفصيل . والمحاكمات التى ربما يكون لها اهمية بالنسبة لنا ، مثل تلك المتعلقة بالاشخاص المسئولين عن احراق الترف كلوب وبنـــك باركليز ، لم تعقد بعـــد .

٤ — البوليس — وانا افهم ذلك — قبض على مسجون واحد يظن أنه من المسئولين عن الهجــوم على الترف كلوب . وهذا ليس مثيرا للدهشة طالما ان ذلك الهجوم كان مدارا بواســطة عصابة منظمة ، وانه لم يكن هناك شىء فى ((الكلب)) ليجذب المجــرمين العاديين والنهابين الذين ظهروا كمدعى عليهم فى هذه السلسة من المحاكمات . لقد فشل البوليس فى ان يضع يده على اى عدد كبير من هؤلاء المسئولين عن تنظيم اعمال الشغب . وبينما امســكوا بمسجونين مثل رئيس ونائب رئيس الحزب الاشتراكى (أحمد حسين وابراهيم شكرى) ، اللذين يعتقد انهما مسئولين، فقد ظهر انهم غير قادرين على تقديم ادلة كافية لتبرير اقامــة الدعوى ..(!)

٥ — محاكمات السرقة والمتظاهرين لا تزال مستمرة . وبالرغم من انه يلاحظ صدور احكام اخــف الان ، وبالرغم من ان المجرمين الاخطر المسئولين عن التحريض والتنظيم لا يزالون غير معاقبين، فان هذه المحاكمات قد قدمت على الاقل عقوبة رادعة لاولئــك الذين استفادوا من اعمال الشغب والنهب والتخريب . وخلال ذلك، وربما لان الاهتمام العام يتلاشى بسرعة ، فان رئيس المحكمــة العسكرية العليا، حسين طنطاوى، رأى انه من الضرورى ان يصدر حكما مطولا ملائما عموما لكل القضايا التى ينظرها . قال (ان هؤلاء المجرمين كان يمكن ان يكون لهم مبرر الى حدما ، لو انهم احتشدوا وزحفوا بأذرعهم لمواجهة ((المغتصبين)) (المحتلين) من منطقة القنال . ولكن سلوكهم الهمجى فى العاصمة كان نكبة على مصر ، ومن ثم فانه لن يؤذى ((الامبرياليين)) . ان المحكمة . لم تعتبر أن وجود ((يد اجنبية)) قد استخدمت هذه العناصر الشريرة لاهدافها الخاصة، أمر غير محتمل . ان المهيجين قد حاولوا لزمن طويل ان يثيروا مشاعر الناس البســطاء ، لكى يهبوا للدفاع عن حقوقهم المغتصبة ((بواسطة الاغنياء وذوى النفوذ المصريين، والمقيمين الاجانب)) .

ان الاعتداءات المتكررة ((للطغاة الامبرياليين)) (يقصــد حادث

الاسماعيلية) قدمت تربة خصبة لهذه الدعاية ، ووزع المهيجون انفسهم فى انحاء القاهرة . ان الوضع صار أكثرخطورة بسبب فشل الكثيرين من رجال البوليس فى اداء واجبهم ، ولو لم تتوفر مساعدة الجيش ، لكان المهيجون قد حققوا هدفهم ، ودمروا القاهرة) .

٦ — لا حاجة لاعطاء اهتمام كبير لهذه الحيثيــات فى الحكم . فان القضاة المصريين غالبا وبشكل ثابت يطلقون العنان للبيانات السياسية عندما ينظرون قضايا سياسية. وملاحظات طنطاوى ليست اكثر من صدى لتلك التى ذكرها النحاس باشا ليلــة ٢٦ يناير ذاتها .

ان الاستناد الى حكم قضائى بشأن مســئولية البوليس ، ربما حتى تكون مساعدا لنا فى الحديث عن المطالبات البريطانية...

ثم ينهى السير رالف ستيفنسون رسالته بالعبارة التالية ، المفعمة بالاحباط ، والقاطع فى الموضوع الذى نتحدث .. فيقول :

« على ان السمة الاكثر اثارة فى هذه الاجراءات القانونية، هى انه بعد شهرين من التحقيقات ، والاستماع الى الادلة ،فانه غير متـــــوفر أى مؤشر محـــدد نحو هوية المنظمين الفعليين للشغب .. (١٨) » .

هل نحن بحاجة ، بعد ذلك ، للقول بان الوثائق البريطانية لا تحتوى على مجرد الاتهام ، لاحمد حسين والحزب الاشتراكى .. فى قضية حريق القاهرة .. ؟

لا نعتقـــــد .

***

أول ذكر لاتهام الأخوان المسلمين فى الوثائق البريطانية ورد فى رسالة كبير مستشارى السفارة بتاريخ ٣١ يناير ، السابق الاشارة اليها . قال المســئول البريطانى :

---

(١٨) مجموعة وثائق الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٥ ، الوثيقـــة رقم ١٠١١١/١٨٠/٥٢

« مصادر اخرى ترى انه ، على الاقل ، فان اعضاء من الاخوان المسلمين لعبوا دورا واشعلوا النار التى بدأت فى دور السينما والمقاهى والبارات »

ثم اضاف بعد ذلك :

« على العموم نحن نعتقد ان التخطيط ربما جاء ذلك القسم من الاخوان المسلمين الذى يعترض على السياسة المعتدلة لقائدهم الحالى (حسن الهضيبى) ، بمساعدة مباشرة أو غير مباشرة من الحزب الاشتراكى وحركة السلام » ــ الفقرة ١١ ، ٢ص٢ ــ ٣

وجاء ذكر اتهام الاخوان المسلمين بعد ذلك فى الفقرة رقم ٣ من محضر لقاء ذلك المستشار نفسه بفرخانى (فرجانى) بين السابق الاشارة اليه :

« يؤكد فرخانى ان بعض العصابات التى عملت يوم ٢٦ يناير فى القاهرة كانت قد شكلت بواسطة الاخوان المسلمين . لقد هاجموا البارات والمقاهى ، لكنهم لم يهاجموا دور السينما . وأن الهضيبى فقد سيطرته وأصبح غير قادر على التحكم فى كثير من الاعضاء ، بالرغم من انه فى الظروف الراهنة يأمل استعادته السيطرة . وهذه هى المرة الاولى التى اعترف فيها فرخانى بأى شىء يعود الى ضعف الهضيبى أو الاخوان ، ونحن نظن ان ذلك يمكن اعتباره حقيقة ..»

ويبدو ان السفارة البريطانية كانت تأخذ بنصائح فرجانى هذا ، وتعتقد بقيمة معلوماته . فقد قدم مستشار السفارة لرؤسائه بان «اهميته الاساسية فى انه يبدو صديقا حميما وموثوقا به من الهضيبى المرشد العام،كما أن لديه علاقات بعديد من الاشخاص المطلعين الآخرين فى الاوساط السياسية والقانونية والدينية ، وبشكل عام ، فان معلوماته اثبتت انها يمكن التعويل عليها ، ومن ثم فأنكم ستهتمون بالمعلومات التالية التى قدمها الينا ». لانه برغم ملفات السفارة احتفظت ببرقية الاذاعة البريطانية الخاصة بالموقف الرسمى للاخوان المسلمين تحت رقم ١٠١٨ ملخصة بيان المرشد العام الصادر يوم ٢٨ يناير :

« حسن الهضيبى بك ، المرشد العام للاخوان المسلمين اصدر بيانا باسم الاخوان المسلمين يدين الحوادث التى وقعت فى القاهرة السبت الماضى . وأوضح أن الحوادث ، كما انها مؤلمة بالنسبة للبلاد ، فانها تفتح الباب للفوضى التى

تؤذى اناســا ابرياء كثيرين .واضاف قائلا ان تنظيم (جماعة) اخوان المســلمين لا يؤمن بمثل هذه الاساليب ، وانما هدفهم هو النضــال بالوسائل الشرعية ..)) ..*

● بالرغم من ذلك ، فان الحكم الذى تضمنته خلاصة تقرير لجنــة التحقيق البريطانية فى هذا الصدد ، قال :

((بالنظر الى النظرية الشائعة بأن الاخوان المسلمين لعبوا دورا نشطا فى الشــغب الذى جرى يوم ٢٦ يناير ، فان اللجنة ترى انها ملزمة بأن تســجل ان الســلطات المصريــة لم تتلق اى تقارير يعتمد عليها تؤدى الى الدليل بأن للاخوان المسلمين اى ضلع ، كتنظيم ، فى المؤامرة . ان السلطات المصرية تؤمن وتوافق أنه من الممكن ان أعضــاء من هذا التنظيم ، كأفراد ، قد يكونوا قد استغلوا الوضع خلال تطوره . ان طبيعة الاعمال والانتهاكات التى ارتكبت يوم ٢٦ يناير كانت فى كثير من الاحــوال متطابقــة مع الافكار والمثل المتعصــبة المعروفة عن الصفوف الدنيا لهذا التنظيم الذى له سمعة سيئة وغيرمقبولةبسبب افعاله الارهابية))
ـــ الفقرة ج

هكذا .. على اى حال ، من الواضح انه لا يوجــد اتهام اصلا للجماعة كهيئة . اما بالنسبة للافراد فانه ((قــد)) يكونوا ..

ولذلك ، فالامر لا يحتاج لمزيد ..

** * **

● وعن الشــيوعيين وحركة السلام ، قال المستشار اياه :

((اعضاء من حركة الســلام بالتأكيد لعبوا دورا نشطا . فبعض كبار ضــباط البوليس يؤكدون انهم كانوا المنظمــين الأول)) ..

ثم يقــول :
((.. واذا كان التنظيم نابعا من حركة السلام ، فعندئذ ،

---

* تحت رقم ١٣ / ١٠١٨ ـــ ملف رقم ٩٦٨٧٠

ولاسـباب مماثلة (للتى ذكرها بالنسبة لاحمد حسـين ــ عـدم القدرة والكفاءة) ، فاننـا نعتقد انه لابد جاء ، ليس من احـد القادة الظاهرين ، وانما من بعض ذوى الخبرة الحقيقية مـن المنظمين الشـيوعيين المختفين فى هذه الحركة . ان ذلك يبـدو احتمالا راضى » ..!

● اما تقرير لجنة التحقيق فقد خلص فى هـذه المسألة الى انه :

« من المعروف انه منذ احداث ٢٦ يناير ، والتغير اللاحق فى الحكومة ، فان عددا من الشيوعين وانصار حركة السـلام قد القى القبض عليهم من قبل السـلطات . ان هذا يطرح السؤال حول ما اذا كانت كل من حركة السلام والتنظيمات الشيوعيـة المحلية شريكة فى هذه الانتهاكات ؟

ان الادلة المتوفرة حاليا لدى سـلطات الأمن المصريـة لا تشير الى وجود مسئولية جماعية لهذه التنظيمات عن اعمال التخريب . غير انه يعتقد ان افراد هذه التنظيمات قـد انتهزوا الفرصـة لكى يضعوا اهدافهم التخريبية موضع التنفيذ .

أما السبب فى ان اعضاء هذه التنظيمات قد القى عليهم بالجملة ، فيعود الى ان هذه التنظيمات كانت تدعو بشكل مستمر فى نشراتها الدعائية الى تفويض اسس النظام العام ــ الفقرة د مرة اخرى ، نفىقطعى لاشتراك الهيئات . اما الافـراد «فقد» . وكلام عام لا يقف على رجلـين . ولان الشيوعيين قبض عليهم يثور السـؤال هل اشتركوا ام لا . وهم قـد القى القبض عليهم بسبب آرائهم التى يعلنونها دائما .. اتهامات هزلية ، تنزل فى مستواها حتى عن اتهامات سلطات الملك فى حينه ..

❋ ❋ ❋

اضاف الانجليز على قائمة الاتهامات التىحققناها،متهما رابعا ، اعطوه اهمية بالغة فى قضية حريق القاهرة ، هو الوفد عموما ، وفؤاد سراجالدين وعبدالفتاح حسن ، بصـفة خاصـة ..

● صاغت لجنة التحقيقات اتهامها للوفد ، فى الفقرة (أ) من خلاصة تقريرها على النحـو التالى :

« انه نتيجة للاسـباب الموجودة فى الفصـل الاول (من

التقرير) ، فان الحكومة المصرية السابقة ، يجب ان تعتبر مسئولة مسئولية كاملة عن خلق الظــروف التى جعلت خطة الاحــراق ممكنة للتنفيذ)) اتعرفون ما هى هذه الاسباب التى تجعل حكومة الوفد مسئولة مسئولية كاملة عن حريق القاهرة ؟ تقرير اللجنــة يلخصها فى اول عبارة فيه ، بانها ((بعض الاحداث ذات المغزى والصــلة التى حدثت بعد ان الغت الحكومة المصرية ، من جانب واحــد ، المعاهدة الانجليزية ــ المصرية ، يوم ١٥ أكتوبر ١٩٥١ ثم يفصــل هذه الاحــداث ، فاذا بها :

ــ محاولة الحكومة الوفدية ، بكل السبل ، الهاب الجماهير المصرية ضــد قوات الاحتلال البريطانية ..

ــ تنظيم مظاهرة عيد الجهاد الوطنى فى القاهرة والاسكندرية يومى ١٣ و ١٤ نوفمبر ١٩٥١ ..

ــ تبنيها تكوين « كتائب التحرير » ، وعدم استماعها لتحذيــرات مستشــارى الامن ، والقصر ، حول خطرها ..

ــ تدبير سراج الدين للمظاهرات الطلابية ، ضد تعيين حافظ عفيفى رئيســا للديوان الملكى(!) ..

ــ تسامحها بشأن اعلان عن رصد مكافأة لقتل الجنرال ارسكين وضباط بريطانين آخرين ..

ــ طرد الموظفين الانجليز ، وتقديم قانون يســهل حمل السلاح ، وبحث تحريم التعاون مع القوات البريطانية ..

ــ تصميمها على استثارة صــدام رئيسى مع القــوات البريطانيــة فى القنال ..

ــ التصريحات النارية ، غير المسئولة ، كلما وقع صدام بين القوات البريطانية والبوليس المصرى (!) ، وخاصة التصريح الذى ادلى به سراج الدين بعد مذبحة الاسماعيلية مساء ٢٥ يناير (!)..

ــ عدم رضاء البوليس ، بسبب الاختلاف فى المعاملة بالمقارنة بالجيش « من ناحية المرتب والترقية » .

وان « الترقيات الاستثنائية لضباط الجيش قبل ٢٦ يناير قليلة قد صبت الزيت على النار . وانه بينما لم يفعل الجيش شـ فان البوليس قد تحمل نتائج الصدام مع القوات البريطانية وان ذلك هو سبب « تمردهم ضد سراج الدين صبيحة ٢٦ يناير بحيث لم تكن لديهم العزيمة لكى يؤدوا واجبهم فى ذلك اليوم » .

ثم يؤكد تقرير اللجنة فى خلاصته العامة على ما سبق ، بتأييد الـ بكل قلبها التكييف الحازم الموجود فى الفقرة الخاصة بذلك المثبته فى الاحتـ الذى ارسلته السفارة البريطانية للحكومة المصريـــة يوم ٦ فبراير والذى جاء فيـــه :

« لقد كان من الواضح ان الحكومة الملكية خـــلال الفتـ السابقة على الاحداث المشار اليها ، كانت غير بالية بالحفاظ ، النظام العام (لانها تسمح للجماهير بالتظاهر !)والامن فى البا بتشجيعها العلنى والخفى للعناصر الاجرامية ، والخطب الملا التى كان يدلى بها الوزراء المسئولون وغيرهم ، وتجاهلهـ للتهديدات التى وجهت الى الرعايا البريطانيين ، وتشجيعها النا للهجمات على القوات البريطانية ، واهملها لانواع الخرق ا جرتللقانون الدولى والمحلى.. كل هذا ادى الى الاحداث الدا التى وقعت فى ٢٦ يناير ، وكان نتيجة منطقية لسياستها » ..

واضح ان الاتهام سياسى . اى ان السلطات البريطانية تعتبـ الحكومة الوفدية مجرمة ، لانها اتاحت الحـــريات للجماهير المصرية ، وتبـ مطالب الشـــعب الوطنية ، وشـــجعت الكفاح الوطنى المسلح ضـــ الاحتلال الاجنبى .. وطبعا قبل ذلك كلة ، لانها الغت المعادة المصريـــ البريطانيـــة ..

وهذا الاتهام ، حتى فى صورة اكثر تحديدا ومعقولية من ذلك ، سا سلطات التحقيق حينئذ ، عندما حاولت ان تنسب الى عبد الفتاح حســ انه آثار الجماهير بحديثـــه فى المظاهرات يوم ٢٦ يناير ، وان تعتبـ سراج الدين مهملا فى أداء واجبه كوزير داخلية ، بعدم اتخـــاذ الاحتياط المناســـبة بعد وقوع عملية الاسماعيلية ، وبتأخره فى استدعاء الجيـ يوم ٢٦ يناير . وقد ســـقطت هذه الاتهامات سقوطا مدويا ، مما حقق تفصـــيلا فى الدارســـة السابقة ..

ومن هنا ، يمكن القول ان الوثائقالبريطانية لا تتضمن اى ادانهتجريه

للوفد او فؤاد سراج ادين وعبد الفتاح حسن ، ولا حتى اتهاما متماسكا يصلح للبحث .

* * *

ما الذى يعنيه كل ذلك ؟

يعنى ببساطة ، انه لا الوفد (وفؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن) .. ولا احمد حسين والحزب الاشتراكى .. ولا الشيوعيون وانصـــار السلام .. ولا الاخوان المسلمون .. هم الذين احرقوا القاهرة ، فضلا عن تنظيم وتدبير الحـــريق ..

هذه هى خلاصـــة محتويات الوثائق الرسمية البريطانية فى هـــذا الموضوع الخطير ، الذى اهتمت به السلطات البريطانية اهتمامابالغا..

* * *

وهكذا نكون ــ لكن ومعنا الانجليز هذه المرة ــ امام الســؤال الذى لابد من الاجابة عليه ، طالما اننا اتفقنا على ان ما حدث يوم ٢٦ يناير هو جريمة مدبرة .. لها فاعل ..

هذا السؤال هو :

من الذى دبر وخطط ونفذ حريق القاهرة ؟

لقد حاولنا القيام بمهمة الاجابة على هذا السؤال فى دراستنا السابقة. ونعتقد اننا قدمنا حججا واسانيد معقولة تعزز ما ذهبنا اليه ..

لكن ، حيث اننا قبلنا اعادة النظر ، مع ظهور الطرف الثانى فى العملية، وهو الطرف البريطانى بوثائقه الرسمية .. فاننا لابد أن نوضع جميعا ــ نحن ، وبعض الاطـــراف المصرية التى تناولت الموضوع فى مذكراتها فى الســـنوات الاخيرة ، والســـلطات البريطانية ــ امام السؤال المعلق منذ ٣٢ سنة ..

وهكذا سنحاول تحديد اجابتنا من جديد ..
لكن قبل ان نفعل ، نمضى فى بحث جانبا من جوانب الموضوع ، له

أهمية كبرى من جهة نظرنا ، وسيؤثر الى حد ما فى بلورة الاجابة على السؤال الكبير ..

كيف استثمر حريق القـــاهرة .. ومن الذى استثمره . وأيضـــا ، من خلال الوثائق البريطانيـــة ...

الفصل الرابع

كيف استمر حريق القاهرة.. ولصالح من ؟

لماذا لم ينم السـفير البريطانى فى القاهرة ليلة ٢٧ يناير ١٩٥٢ ، نوما مريحا .. ؟

هل لان « أعمال الشغب » التى اكتسحت المدينـة ، عكرت الامن ، فاقتضت فرض الاحكام العرفية ، مما استلزم بعض الطلقات المتقطعـة أثناء الليـل لتخويف الاهالى ، فانزعج منامه .. ؟

أم ، لأن الشغب مس بعض المنشآت البريطانية ، وأودى بحيـاة عدد من عجائز الانجليز ، فتألم الرجل بوصفه المسـئول عن الرعايا البريطان فى مصر .. ؟

أم ، لانه وقد اكتشف ، مبكرا ، أن الذين خربوا وأحرقوا وقتـلوا هم « عصابات منظمة » ،كانت تعمل « وفق خطة معـدة من قبل ، وتنفذها بدقة ونظام » .. فجنـد كل أجهزة سفارته (وما اضخمها حينئـذ) ، ومخابراته ، وعلاقاته بالسلطة الملكية، وأجهـزة السلطات العسكرية البريطانية فى القنال والمتوسط .. لتحـديد صعوبة هذه العصـابات ، ومحاصرتها حتى لا تفلت ، فسهر طول الليل يتابع العمل .. ؟

الواقع أن شيئا من ذلك لم يكن هـو سبب قلق السـير رالف ستيفنسون تلك الليلة ، ومعظم اليوم التالى .. والا لوجدنا فى وثائقـه ما يشـير اليه ، خاصـة وأنه عودنا الدقة والاهتمـام بكل كبـيرة وصغيرة ..

سبب آخر .. وموضوع مختلف ، هما اللذان كانا يشغلان السفير والامبراطورية كلها فى تلك السـاعات الدقيقـة .. عكستهما الوثائق بوضوح ..

كان الوفد قد أعلن الاحكام العرفية لاول مرة فى تاريخه . وأصبح النحـــاس « حاكما عسكريا » لمصر . متساويا بذلك — ولو شـــكليا ومؤقتا — بطابور حكام القبضـــة الحديدية ، من أعداء حركة الشعب . والحكومة فى وضع لا تحسد عليه . وبرنامج الاولويات السياسية انقلب راســا على عقب ، فأصبحت مشكلة الامن على رأس جدول الاعمـــال . واعمل البوليس — بأمر وزير الداخليـــة الوفدى ! القبض على جميـــع الوطنيين ، بما فيهم الوفديين . وهكذا جردت الحكومة من التوجه الوطنى (بتغيير أوليات برنامج العمل) ، ومن مادة هـــذا التوجه فى صـــــورة قيادات الشارع ..

وتوقع الانجليز أن يحدث الانقلاب السياسى ، فورا ..

لكنهم لم يفهموا شيئا ، ربما هو من خواص مصر ، اسمه « حلاوة الروح » ..

● ووصلت اخبار « حلاوة روح الوفد » الى الســـفير مســـاء يوم ٢٦ يناير . وظهر ٢٧ يناير كان يبرق الى وزارة الخارجيـــة فى لندن ، فى برقية **ذات طبيعـــة سرية خاصة** ، يقول فيها :

« لقد رأيت حالا زميلى سفير الولايات المتحدة (الامريكية) الذى يشاركنى انطباعى بأن الموقف فى يد الجيش الآن ... » .

عال . اذن السفيران مطمئنان على الامن . ثم ...

« لقد علم من عبود باشا ، الليلة الماضية ،أن الوزارة لم تناقش بعـــد الاجراءات المضادة لبريطانيا (برقية رقم ١٦٧) ، ولكنها تعتزم أن تفعل اليوم » (١) ....

وبادلت الخارجية فى لندن سفيرها فى القاهرة القلق ، فردت عليـــه بعد اربع ساعات ، ببرقية ذات طبيعـــة سرية خاصة أيضا ، تشير الى برقية رقم ١٩٨ ، مما يعنى ان السفير ارسل بعد البرقية المشار اليهـــا ثلاث برقيات اخــــرى (!) ، وتحمل نصـــا يشـــير الى انها مرســـلة من المســـتر ايدن نفسه ، تقول الفقرة الثالثة منها :

(١ ، ٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ١٩٥ .

« عليك طبعا أن تفعل ما فى وسعك لمنع اتخـــاذ الحكومة المصرية اجراءات عنيفة ضد بريطانيا ، مثل قطع العـــلاقات ، والمزيد من طرد الرعايا البريطانيين .ان عليك ان توضح بجـــلاء انه اذا اتخذت الخطوة الاخيرة ، فان هكومة جلالته (بريطانيا) لن يكون أمامها من خيار سوى الرد بقوة » ..

ثم يسر ايدن الى سفيره :

« ولعلمك الخاص ، من المحتمل أن نضطر للقيـــام برد اقتصادى » » (٢) ....

كان هذا هو الموضوع الذى يشـــغل بال الامبراطورية فى هـــذه الساعات من مساء ٢٦ وصباح ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ ، الى حـــد الاستنجاد بواشنطن .. وتعكس برقيتـــان اخريتان ذلك . الاولى من الســـفير ، تقول :

« رأيت سفير الولايات المتحدة هذا الصباح . ابلغته انه من المتوقع ان الحكومة المصرية ربما تقطع الآن العـــلاقات الدبلوماسية وتطرد المصالح البريطانية . وأبلغتـــه انه فى حالة طرد المصـــالح البريطانية فان الحكومة البريطانية ستكون مضطرة لأن ترد على الاقل بتطبيق مقاطعة اقتصادية . وهذا ســـوف يكون شـــديد الوطأة على مصر ، ويدفع الى احتمال زعزعة الاستقرار .

« تبنى السفير (الامريكى) اقتراحى ، بأن يبرق فورا الى واشـــنطن ، يلح عليهـــا بأن يقوم (هـــو) بكل ما يســـتطيع لاثناء الحكومة المصرية عن اللجوء الى هذه الاجراءات ، وأن تنبههم الى تأثيرات طرد المصالح البريطانية » (٣) ...

الا أن كلا السفيرين لم يكونا مطمئنين لنجـــاح مهمتهما مع حكومة الوفد . اذ يشير السفير البريطانى فى برقيته رقم ١٩٥ السابق الاشـــارة اليها ، الى ذلك . فيقول فى الفقرة الرابعة :

---

(٢) مجمـــوعة وثائق وزارة الخاجيـــــة البريطانية ـــ ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ٢٠٣ / لندن .

(٣) مجمـــوعة وثائق وزارة الخارجيـــــة البريطانية ـــ ملف رقم ٩٦٨٣١ ، البرقية رقم ٥٥٥ .

« انه (اى السفير الامريكى) يشك كثيرا جدا فيما اذا كان لمثل تلك الرسالة (الواردة من سفارة أمريكا فى لندن بالخصوص) اى تأثير على الحكومة المصرية (حكومة الوفد) ، وهو فى حيرة عما يمكنه أن يقول لك . وانا أميل الى مشاركته شكوكه » (٤) ...

❋ ❋ ❋

كان هذا هو الموضوع الذى يشغل بال الامبراطورية وسفيرها . أما السبب فكان بقاء حكومة الوفد ذاته . فلم يكن ما ينتظره الانجليز من حريق القاهرة ، وقبله حادث الاسماعيلية ، هو أن يحدث تغير فى أولويات برنامج الحكومة ، وأن يصبح النحاس حاكما عسكريا لمصر . انما كانوا يريدون انقلابا سياسيا دستوريا كاملا ، يبدأ بالاطاحة بحكومة الوفد .

كان الامر مبيتا ، ومنسقا ، مع القصر . ولذلك ظلت أسلاك الاتصال تعمل منذ خيم مغرب يوم ٢٦ ..

وبرغم أن السفير البريطانى تلقى اشارة مطمئنة مبكرا ، الا انه ظل متوترا فى انتظار النهاية ..

● ففى الساعة السابعة من مساء يوم ٢٦ ، أرسل السير رالف ستيفنسون الى وزارة الخارجية برقية شفرية **ذات طبيعة سرية خاصة** ، يبلغها فيها ، أن :

« عمر باشا (عبد الفتاح عمرو) دعانى هذا المساء ، بناء على طلبه ، واخبرنى أنه فى هذا الصباح (صباح ٢٦ يناير ، قبل حريق القاهرة !) كان حافظ عفيفى فيما يبدو مقررا تقديم نصيحة للملك بتغيير الحكومة فى الحال . وبعد ظهر اليوم ، على اى حال ، فان عفيفى باشا قد تجنب الموضوع عندما كان يناقش الوضع معه . انه — عمرو — لا يريد أن يوحى بأن عفيفى قد غير رأيه ، وانما ربما يكون قد تعرف أكثر على الملك فى غضون ذلك » (٥) ..

---

(٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٠ ،

على أى حال ،لم تمض سوى ساعات أخرى ، الا وكان حافظ عفيفى نفســـــه ، هو الذى يبلغ الســـفير البريطانى ، بما قـــرره القصر ، ولم يعلن بعد . .

● وهكذا ، فى الســــــاعة ٥٢ر١٢ من ظهر يوم ٢٧ يناير ، كان ستيفنسون يرسل ببرقية جديدة **ذات طبيعـــــة سرية خاصـــة** ، يطمئن المستر ايدن :

« رئيس الديوان الملكى اتصل تليفونيا بى حالا ، ليعلمنى (بشكل سرى جدا) أنه سوف يحدث (تغيير نحو الاحسن بسرعة جـــدا ربما الليلة) . ولم يشـــأ أن يقول أكثر على التليفون (!!) . سألته عن لقائى بالملك ، وكانت اجابته أنه ســـوف يتم بمجــــــرد حدوث التغيير (!!) ... » .

وبرغم أن ستيفنسون كان متخوفا من اتجاهات الملك نحو الانجليز (مما سيأتى ذكره فيما بعـــد) ،الا أنه كان حريصا على شىء واحــــد فى هذه اللحظات ، هو أن تذهب حكومة النحاس الى الجحيم . يقـــول فى بقية برقيته :

« اننى أجـــد من الصعب ،من وجهة نظر موقف الملك أمس ، الاعتقـــاد بأن أى تغيير يحدث سيكون مبشرا بالنسبة للعلاقات الانجلو مصرية . لكنه من المؤكد أنه لن تكون هنـــــاك أى حكومة أسوأ فى علاقتها معنا من الحكومة الحالية » (٦) .... .

وذهبت حكومة النحاس مساء يوم ٢٧ يناير . ونام السفير البريطانى قريرا مرتاح البـــال . لا يشغله أمن العاصمة ، ولا ضـــحايا الانجليز . وفى صباح يوم ٢٨ يناير ، كان ينقل عن الصحف المصرية ، فى برقيـــــة مفتوحة ، الى رؤسائه أهم خبر بالنسبة للامبراطورية عندئذ ، مع نبرة شماتة ، بعد معاناة سنتين :

« صحف هذا الصباح نشرت نص مرسومين ملكيين :
« المرسوم الاول موجه الى النحـــــاس باشا ، ويعبر عن

---

(٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ١٩٨ .

الاسف العميق للاضطرابات ويقول أن الوضع قد بين أن الحكومة فشلت فى المحافظة على الامن العام ، ويعفيه من منصبه » (٧)...

والمرسوم الثانى طبعا معروف ، فهو بتعيين الحكومة الجـديدة ، حكومة على ماهر ..

❋ ❋ ❋

سقطت حكومة الوفد (اللعينة) . وحققت الامبريالية البريطانية والملك فاروق ، أهم انتصـار لهما فى هذه المرحلة .. فالى أين اتجـه اهتمام السلطات البريطانية .. ؟

فورا ، توجهوا الى التدخل العسكرى . هكذا .. ليصبح بين عشية وضحاها ، جيش الاحتلال ، الذى يخوض أحرار البلد ، ورجال بوليسه ، المعركة ضده ، من أجل اجلائه ، يصبح هذا الجيش هو الذى يقـر الامن والنظام فى مصر !

● ففى الساعة ٢٠ر٣ قبل فجر يوم ٢٧ يناير ، كانت وزارة الخارجية البريطانية تبرق لسفيرها :

« وجهة النظر هنا أنه فى حالة ما اذا كان الجيش المصرى غير قادر على اعادة القانون والنظام ، وطلب مساعدتنا ، سواء من خلال الملك أو القائد العام المصرى ، فان ذلك سـوف يكون الظرف الامثل لتدخل ، وربما يؤدى الى حل يكون موضع ترحيبنا الكامل » (٨) ....

وتركت وزارة الخارجية تقـدير الموقف للسفير ، بالتشـاور مع القائد العام للقوات البريطانية فى مصر . وكان السـفير متشـائما ، لان حكومة الوفد لا تزال قائمة ، ولان الملك كان غاضبا على الانجليز . وعكس رده ذلك ، قال :

« تأسيسا على النغمـة التى تحدث بها النحاس باشـا فى الاذاعة ، وموقف الملك خلال لقـائه بزميلى سـفير الولايات

---

(٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ١٩٠ / لندن .

المتحدة ، فانه لا توجـــد (أكرر ((لا))) امكانية لمدخل بالنسبة لنا للمساعدة فى المحافظة على النظام ، كما أن ذلك فى الحقيقـــة متأخر جدا)) (٩) .....

● وبرغم هذا الرد الذى بعث به السفير الساعة ٢٢ر٨ صباحا ، فان جهودا بذلت فى محاولة لوضع مسألة ((التدخل العسكرى)) فى التنفيذ. توضح البرقية التالية ذلك . يقول ستيفنسون :

((عاد الملحق العسكرى لتوه من مقـــر القيادة العـــامة للقوات المسلحة المصرية . لقد ســـأل عن ســـير العمليـــات ، وعما اذا كانوا يحتاجون أى مساعدة ، مثل تسهيل تحرك القوات من سيناء عبر قنـــاة السويس . وقد أبلغ بوضوح وجفاف أنه ليست هناك حاجة لمثل هذه المساعدة .

((العمليات تمت وفق خطة . وانقشعت الازمة . القاهرة اصبحت تحت السيطرة تماما . ولا مشاكل حدثت فى أماكن أخرى . عندما سئلوا عما اذا كانوا يستطيعون التعامل مع أى انفجارات فى الضواحى أو الاقاليم اعطوا جوابا قاطعا ، وأضافوا أنه على أى الحالات فلن يحدث ذلك)) (١٠) ....

● لم يكتف السفير بذلك ، وانما ألحق برقيته السابقة ببرقيـــة اخـــرى ، الساعة ٤٨ر١١ صباحا ، تحمـــل تقرير الملحق العسكرى عن مهمته ، طلب ستيفنسون توزيعه فى وزارة الحرب ، فضـــلا عن وزارة الخارجية ، لاهمية ما احتوى عليه من معلومات تتصل بالتخطيط العسكرى البريطانى حينئذ . قال الملحق العســـــكرى فى البرقية ذات الطبيعـــة السرية الخاصة العاجلة :

((أجريت محادثة مطولة مع ضباط الاركان فى مقر القيـــادة العامة للقوات المسلحة (المصرية) صباح اليوم)) ..

وبعـــد أن يستعرض العـــــرض البريطـــانى ، والرفض الرسمى

---

(٩) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ١٨٨ .

(١٠) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ١٩١ .

للمساعدة ، ثم معلومات عن عدد وتسليح القوات فى القاهرة وفى الاحتياط (ويبدو أن ذلك كان ضمن مهمته ، وبالنظر للخطط العسكرية البريطانية فى تلك اللحظات ، كما سنعرض فيما بعد) .. يصل الى الاسباب الاضافية التى لم يذكرها السفير :

« ضباط الاركان أعلمونى أن جميع قطاعات الشعب هى الآن ضدنا بعنف ، نتيجة للأحداث فى قنال السويس (مذبحة الاسماعيلية) وكذلك ضد أى شعارات معادية للحكومة (المصرية). وأن حيدر أو الملك كانا بالامس عرضة لانتقاد الشعب ، لفشلهما فى توظيف الجيش ضدنا ، وعدم استخدامهما القوة بعنف أكثر . لقد خرجت بانطباع أن الجيش يشعر بمرارة شديدة ازاءنا ، وأنه سوف يخوض المعركة بكل قدرته ،اذا نحن تحركنا نحو القاهرة . وبكلمات أخرى ، انهم سوف يبدون تعصبا مثل الذى أبداه رجال بلوك النظام فى الاسماعيلية » .

ثم يقول الملحق العسكرى فى مقطع خاص من تقريره :

« لقد كانوا — ضباط الاركان — مقتنعين بانه لا الملك ولا أى شخص آخر يمكنه أن يطرد حكومة الوفد التى تحظى بمساندة دولية » ..

وفى ختام التقرير ، يؤكد على كراهية الجيش للبريطانيين ، فيقول :

« انطباعى الرئيسى هو أن الشعور المعادى للبريطانيين بين هيئة الضباط قد تزايد بشكل ملحوظ . ان كل التصريحات التى أدلى بها الضباط كانت اجابات على أسئلة منى ، ولم تلتقط من اجاباتهم اى معلومات عدا تلك التى ذكرها السفير فى برقيته المفتوحة » (١١) ....

* * *

---

(١١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ١٩٣ .

لم تنجح محاولة استثمار حريق القـــاهرة للقيام بتدخل عسكرى بريطانى ، تصل به القوات البريطانية الى القاهرة ، للأسباب المذكورة سابقا .. فعملت السلطات البريطانية من أجـل تحقيق « الحد الادنى » (بالنسبة لتبدل الاحوال طبعا !) .. أى تأمين استقرار جيش الاحتــلال فى منطقة القنــال . والحقيقة أنهم فى ذلك لم يبذلوا جهـدا كبــيرا ، لان هذا الامر كان مشتركا بينهم وبين القصر ..

وهكذا ..

● ـ جاءتهم أول بشرى يوم ٢٧ يناير .. فأبرق السير توماس راب من المكتب البريطانى بفـايد الى وزارة الخارجية يبلغها :

« قنصل صاحب الجلالة فى السويس ابلغ تليفونيا الآن ، أنه تلقى رسالة من محافظ الســويس يخبره فيها أن الاحكام العرفية قد أعلنت ، وأن ٧٥ من العناصر الخارجة على القانون (الفدائيين !) فى المدينة قد تم القبض عليهم . وأن المحافظ على ثقـة أنه يستطيع ضبط الوضع فى السويس . وعلى ذلك فانه طلب عدم تدخل القوات البريطانية . وأضاف القنصل أن الوضع فى السويس هادىء فى الوقت الحاضر .

« وقنصل صاحب الجلالة فى بورسعيد افاد بأن محافظ بورسعيد فى القاهرة منذ ٢٤ يناير وأنه ــ فى حدود علمه ــ لم يرجع بعد . ولم يستطع أن يعرف شيئا حول الاحكام العرفية من المحافظة . الا أنه قال أن كل شىء هادىء فى بورسعيد » (١٢) ...

● وفى ٣ فبراير ، كان الســير رالف ستيفنسون يبلغ الجنرال ارسكين (القائد العام للقوات البريطانية فى مصر) أن :

« وزير صاحب الجلالة (البريطانية) سلم اليوم الى وزير الداخلية (المصرى) قائمة الاجراءات التى على الحكومة المصرية أن تتخذها للمساعدة على اعادة الظروف الطبيعية فى منطقـــة القنــال . وهى تبدأ بـ (أ) و (ب) فى اشارتك لى وتتضمن نقاط اضافية ، مذكورة فى برقية فايد رقم ١٢٠ بتاريخ ٢٩ يناير ، الى :

---

(١٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٢، البرقية رقم ٩٣ ، بفايد .

« وزير الداخلية قال أنه سينظر فى الامر بصورة عاجلة ، ثم يخبرنى . وقد اهتم بالنقطة التى تذكر فيها أنك بحاجة الى ارتباط خاص على مستويين بكل من المحافظين ، والبوليس . وقال أن الحكومة تتخذ اجراءات فعالة لجمع الاسلحة التى بأيدى غـــير المخولين ومكافحة ما يسمى بكتائب التحرير التى كانت تهـــديدا للأمن فى مصر .

ثم ، على طريقة « هات وخد » ، أو « شيلنى وشيلك » ، يقــول السير رالف ستيفنسون للجنرال ارسكين :

« اننى متعاطف جدا مع مبررات الاسترخاء المبـــكر للرقابة على الكيلو ٩٩ كايحاء بالثقـــة فى الحكومة الجـــديدة (حكومة على ماهر) . ان حرية انتقال منتجات البترول والمواد الاخـــــرى على طريق السويس ، سوف تساعد على انقاص تكاليف الحياة هناك (فى مصر) وهى نقطة أســـــاسية فى برنامج الحكومة ، ومن ثم فهى سوف تقوى ساعدها . أن أى شىء يمكن أن نفعله للمساعدة فى هذا الاتجاه ، سوف يكون عظيم القيمة من الناحية السياسية .

وأخيرا ، يطمئن على نوايا الحكومة نحو قواته :

« اننى أقدر أن قرارك سوف يعتمـــد على ما اذا كنت مقتنعا بأن السلطات المصرية قد أنهت الحملات الارهابية (أعمـــــــال الفدائيين الوطنيين !) فى القنـــال . أن الدلائل على ذلك ستتوفر قريبا جـــدا ، وبالرغم من أنه لا تزال تقع بعض الاعمال المتفرقة التى يقوم بها قطاع الطرق غير المحكومين فى كل من منطقة القنال والدلتا ، فاننى مقتنع بأن الحكومة تفعل كل ما فى وسعها لوقف أى شىء على نطاق أوسع . وعليه فكلما أسرعت فى الشـــــعور بأنك قادر على بدء عملية الاسترخاء المتنامية للرقابة على طـــريق السويس ، كلما كان ذلك أفضل » (١٣) ....

● وفى ٦ فبراير استدعى على ماهر السفير لتقـــديم عـــزاء الحكومة المصرية فى وفاة ملك بريطانيا . ولم يفوت ستيفنسون الفرصة ،

---

(١٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٥، البرقية رقم ٢٩٨ .

فتحدث اليه فى الامور التى تهم الامبراطورية وجيوشها . وعكست البرقية التالية ، المرسلة من كبير المستشارين الى وزارة الخارجية يوم ٩ فبراير ، أهم نقاط الحديث :

« قبل كل شيء ، بالنسبة لقنال السويس ، قال رئيس الوزراء أنه قد رأى محافظى القنال والسويس وأعطاهما تعليمات عامة للتعاون معنا فى اعادة النظام والمحافظة عليه . وقال لهم ان هدفه العام هو خلق مناخ افضل ، وعبر عن أمله فى الافراج عن المسجونين من رجال بلوك النظام . قال السفير أن ذلك الامر يمكن أن يترك للترتيبات بين سلطاتنا العسكرية وبين المحافظين » (١٤) ...

● وشيئا فشيئا تطورت الامور ، ولم يعد تأمين استقرار قوات الاحتلال البريطانى فى القنال هو ما يشغل بال السلطات البريطانية ، وتستجيب له سلطات الملك .. وانما أصبح وضع جهاز الادارة المصرى كله ، وتحويله الى جهاز يخدم الحليفين ، هو موضع الاهتمام .. والاجراءات.ولنستمع الىهذه البرقية الخطيرة التى أرسلها كبير مستشارى السفارة يوم ٨ ابريل الى وزارة الخارجية ، لنرى الى أى حد جرى استثمار حريق القاهرة . يقول المستشار :

« حركتان لتنقلات كبار ضباط البوليس والمسئولين فى وزارة الداخلية أعلنتا الاسبوع الماضى .

« الاولى تمت فى ٣٠ مارس وتتعلق بسبعة ضباط بوليس من رتبة لواء . غالبيتهم نقلوا من القاهرة . وكانوا معروفين جيدا بأنهم من المتعاطفين مع الوفد . وسبب نقلهم واضح . وبالرغم من الفائدة التى تعود من ابعادهم عن القاهرة ، الا أنه مع الاسف ، فان ثلاثة منهم نقلوا الى مواقع غير محددة فى منطقة القنال . ونحن نرسل اسماءهم على حدة الى السلطات فى فايد ..

« معظم التنقلات تقررت فى مجلس الوزراء يوم ٢ أبريل . وقد تضمنت تعيين وكيلين لوزير الداخلية ، واحلال محافظين

---

(١٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٢ ، البرقية رقم ١٠١١/١٥/٥٢ .

جـــدد للقاهرة والاسكندرية والقنال ودمياط ، ومدير عام للأمن العام ،وتعيين ١٣ مديرا (محافظا الآن) ،وتعيين عدد من الرتب المهمة فى البوليس ووزارة الداخلية . الغرض من هذه التنقـــلات هو ، جزئيا ، استمرار تطهير الموظفين الوفديين ، وانما أساسيا وضع ــ فى المراكز المؤثرة فى الانتخابات ــ رجال يعدون مخلصين للوزارة الحالية ، وفوق كل شىء لوزير الداخلية شخصيا (!) التعيين الاكثر أهمية ربما يكون تعيين اللواء عبد المنصف محمود باشـــا كوكيل لوزير الداخلية ، وهو منصب له أهمية خاصـــــة فى وقت الانتخابات . انه رجل القصر ، ومعاد للوفد ، وصـــديق للبريطانيين ، وهو حتى الآن متعاون جدا . المحافظون الثـــلاثة الجدد للقاهرة ، والاسكندرية ،والقنـــال ، من المرتبطين ارتباطا وثيقا بوزير الداخلية . ان لدينا سببا للأسف لنقل غزالى بيـــه ، المحافظ السابق للقنال ، الا أن منصبه الجـــديد كمدير للتفتيش والتحقيقات فى وزارة الداخلية ليس تنزيلا لمكانته كما قد يظهر . ان مفتشيه سوف يجوبون كل المحـــافظات والمديريات ، ومهماتهم فى غاية الاهمية اثناء الانتخابات (!) ..

« معظم المديرين الثلاثة عشر الجدد أيضا ، اما من الاصدقاء الوثيقين لوزير الداخلية ، أو من الذين تعاونوا معه فى المـــاضى . وهم أيضا من الواضح أنهم قد اختيروا بتوقع الطاعة الصـــارمة لأى أوامر ربما يتلقونها اثناء الانتخابات .

ثم يختتم كبير مستشارى السفارة البريطانية برقيته بهذه العبـــارة الصارخة :

« وطالما أن الوزير (المراغى) هو نفســـه رجل القصر فان ذلك بالتالى يعنى أن الملك يستطيع الآن ان يعطى أوامر للبـــوليس بدون عـــلم أو موافقـــة رئيس الوزراء (نجيب الهلالى) (!!) (١٥) ....

● وتبدلت الانباء التى كانت تحملها تقارير الســـير توماس راب

---

(١٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٥، البرقية رقم ١٠١٧/١١/٥٢ .

عن الوضع فى منطقة القنال . وتشـــير برقية بتاريخ ٢١ مارس الى ذلك ، اذ تقول :

« القنال ظلت هادئة خلال فترة الملاحظة ..

« فك الحصار . المرحلة الثانية من عملية تحريك المنـــاطق المحاطة بكردون من الاســــلاك الشـــائكة فى الاسماعيلية بدأت الســاعة السادسة اليوم . المســـاحة المفرج عنهـــا كانت من شارع البرلمان الى طريق فؤاد . وقد ســـــارت العملية بدون حوادث .

« سيارتان حمولة ٣ طن تابعتان للادارة الحربية البريطانية اجبرتا على الخروج على طريق المعاهدة شمال البلاح بواسطة عربة مدنية مصرية . ثلاثة مصريين أخـــذوا ، وسلموا للبوليس المدنى المصرى » (!) (١٦) ...

* * *

كان الغــــرض من الاهتمامات والاجــراءات البريطانية ــ الملكية (المشتركة فى هذه المرحلة) ليس مجرد تأمين وجود الاحتلال البريطانى لمصر ، وانما كسر المقـــاومة الشعبية المصرية للسيطرة الاستعمارية ، ولضمان عدم ظهور أى فرصة لنهوض وطنى جديد ..

ولأن الوفد كان لا يزال حتى ذلك الحين ، وبرغم سلبياته وضعفه ، هو الفصيل الوحيد من فصائل الحركة الوطنية القادر على انتزاع أحـــد مواقع السلطة ، من خـــلال الوصــــول الى الحكم ، فقد ركز الانجليز النيران عليه ..

وكانت هذه النـــيران ، فى تلك الفترة ، هى ذاتها نيران حــــريق القاهرة ..

أخذوا يركزون على مسئولية حكومة الوفد ، وبالتحديد مســـئولية فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن ..

---

(١٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٧ ، البرقية رقم ٥٣ / فايد .

● فى البرقية **ذات الطبيعة السرية الخاصة** (لانها تتضمن أ
أخرى هامة) ، يسجل ستيفنسون ما دار بينه وبين على ماهر صــ
يوم ٣٠ يناير . يقول السفير :

« لقد وصفت (لرئيس الوزراء) الشعور فى بريطانيا الاوساط البريطانية فى مصر الذى أثارته حوادث ٢٦ ينـــا والحث على معاتبة أولئك المسئولين سواء عن اقتراف الجر أو عن الاهمال . وشــــددت على مسمولية الوزيرين الســـ للداخلية والشئون الاجتماعية (١٧) ... » .

● ويوم ٥ فبراير أرسل السفير يبلغ حكومته :

« لقد أعددت مذكرة احتجاج (بخصوص حوادث ٢٦ يناير ستسلم يوم ٦ فبراير ، وستأخذ فرصة كاملة للانتشـــار هذ خلال وسائل الإتصال يوم ٧ فبراير . صور منها سترسل الى جميع البعثات الاجنبية فى القاهرة ..

لـــماذا كل هذا .. ؟ السفير يحدد :

« اننى لا أزال اشعر أن حكومة الوفد لم تنل بعـــد والادانة اللتان تستحقهما (١٨) ... » .

● وتصور البرقية التالية مدى الحاح السفير على مارسة الضـ
على هذه النقطة ، الى حد احراج وزير الخارجية نفســـه . تقول البـ
المرسلة من وزارة الخارجية يوم ٦ فبراير الى السفارة فى القاهرة :

١٣٣

« انك قد تلقيت برقيا خلاصـــة لخطبة وزير الخارجـ أمس ، والتى غطت بعض الملاحظات حـــول مصر . اننى آمـ الا نكون قد تمكنا من ان نرتب لان تتضمن خطبة الوزير مثـــ تلك الفقرة التى من الواضح أنك تقصدها فى برقيتك رقم بتـــاريخ ٣١ يناير ، مؤكدا على الشعور بالنقمة فى هذا البـ

---

(١٧) مجمـــوعة وثائق وزارة الخــــارجية البريطانية ــ الملف ٩٦٨٧١ ــ البرقية رقم ٢٥٦ .

(١٨) مجمـــوعة وثائق وزارة الخــــارجية البريطانية ــ الملف ٩٦٨٧٢ ــ البرقية رقم ٣١٧ .

بسبب أعمال الشغب فى القاهرة ، ومسئولية حكومة الوفد عن كل ما حدث . لقــد وضعنا وجهة نظر السفير أمام الوزير ، ولكنــه شعر أنه لا يستطيع أن يضمن خطبته المزيد حــول هذا الموضوع أكثر مما فعل عمليا (١٩) .... » .

وفى نفس اليوم ، تصل البرقية التالية من الخارجية الى السفارة ، لتعكس الشد والجذب حول نفس الموضوع :

« وزير الخارجية درس أمس امكانية تضمين خطبته اشارة الى مسئولية حكومة الوفد عن أعمــال الشــغب . ولكنه قــرر الا يفعل ذلك . انه سيكون من الصعب الآن التعامل مع الموضوع فى بيان منفصل (٢٠) .... » .

● ويلتقى رئيس تحرير الاجيبشان جازيت Eqqpitan Gazzctte (صحيفة انجليزية تصدر فى مصر عندئذ) برئيس الوزراء نجيب الهلالى ، ويتطرق الحديث الى نفس الموضوع .ويسجل ذلك مستشار الســـفارة فى برقية الى وزارة الخارجية يوم ١٠ مارس ، يقول فيها :

« قال الهلالى أنه كان يدرس التقرير الخاص بحـــوادث ٢٦ يناير ، ولكنه لا يعتزم التعــامل مع سراج الدين تحت هذا العنوان . ان دوره (سراج الدين) سوف يأتى لاحقــا كجــزء من التوجه ضد الفساد (٢١) .... » .

● وترسل السفارة تقرير لجنة تحقيقها فى حريق القــاهرة ، فتبعث الادارة الافريقية بوزارة الخارجية ببرقية بملاحظاتها عليـــه . فماذا رأت الخارجية البريطانية من الموضوع كله :

« عزيزى المستشـــــار . شـــــكرا على برقيتك رقم ٤٨ بتاريخ ٢٥ فبراير المتضمنة تقرير لجنتكم للتحقيق فى أعمال الشغب

---

(١٩) مجمــوعة وثائق وزارة الخــارجية البريطانية ـــ الملف رقم ٩٦٨٧١ ـــ البرقية رقم ٣٩ / ١٠١٨ .

(٢٠) مجمــوعة وثائق وزارة الخــارجية البريطانية ـــ الملف رقم ٩٦٨٧٢ ـــ البرقية رقم ٥٧ / ١٠١٨ .

(٢١) مجمــوعة وثائق وزارة الخــارجية البريطانية ـــ الملف رقم البرقية رقم ١٠٧ / ١٠١٨ .

الاخيرة . لقد وجـــدنا أن التقرير ذو أهمية كبرى ، وأن المعلومات التى يتضمنها ، وخاصة حول مسلك البوليس (!) ، ســـــوف تكون ، كما قلت أنت ، مســـــاعدة فى دعم المطالبات البريطانية بالتعويضات (!) .

حتى هنا ، كل ما يهم السلطات البريطانية هو اثبات تقصـــــير البوليس ، وليس تحـــديد المجرم فى حريق القاهرة . ولمـــاذا ؟ لكى يصبح هنضاك مبرر لطلب التعويضات .. ثم تمضى البرقيـــــة ، كاشـــفة عن النوايا التلفيقية التآمرية ذات الهدف السياسى الزاعق :

« يبدو (لاحظ يبدو هذه) أن هنـــاك بعض الشـــــك فى أن فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن ..

ها ... ماذا ؟ .. لم يهملا فقط .. ولم يشـــجعا فقط .. ولم يهيآ الظروف فقط ، وانما :

« .. قد شجعا فكرة التخـــريب باشعال النار (!!) وأنها بعدئذ تطورت بعيـــدا عن نواياهما (!!) . ان ما تتوصـــل اليه النيابة فى هذه المسألة ، سيكون ــ كما تعرف جيدا ــ ذا أهمية خاصـــة . ونحن نود أن نرى ما يتوصلون اليـــه بالتفصـــــيل ، خصوصا بالنسبة لمسئولية وزير الداخلية السابق (٢٢) .... » .

● وظلت السلطات البريطانية تضغط على مسئولية حكومة الوفد، وفـــؤاد سراج الدين وعبد الفتـــــاح حسن ، حتى كان يوم ١٩ مارس سنة ١٩٥٢ حيث أرسل السير رالف ستيفنسون الى رؤســـائه يبشرهم بنجاح الحملة :

« صحف بعد ظهر ١٨ مارس أكدت أن رئيس الوزراء بحكم صلاحيته كحاكم عسكرى أمر سراج الدين وعبد الفتاح حسن أن يلزما (أن يكونا تحت الاقامة الجبرية) ببلبيس (على بعد ٧٠ ميلا شمال شرق القاهرة) وبسيون (مدينــــة صـــغيرة فى اقليم الغـــــربية) . ان عبد الفتـــاح حسن هـــو نائب بســـيون . أما سراج الدين فانه لم ينف الى عزبتـــــه الواقعـــة فى اقليم

(٢٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٢ ، البرقية رقم ٨٦ / ١٠١٨ .

الغربية . ولكنه من المحتمل أن تكون له أملاك فى بلبيس .
« البوليس الحربى تم تعزيزه فى القاهرة ..

« كل شىء هادىء (!!) (٢٣) .... » .

طبعـــا ... كل شىء صار هادئا بالنسبة للامبراطورية البريطـــانية فى مصر ...

❋ ❋ ❋

كانت هذه المعـــركة التى تخوضها السلطات البريطانية لتجـــريم الوفد « كرأس حربة للحركة الوطنية كلها) ، متوازية مع معركة أخرى ، حـــول الوفد أيضــــا ، تخوضـــها السلطات البريطـــانية والملك .. مع على ماهر .. !

كان الملك قد أقال حكومة الوفد ، لكنه لم يحل البرلمان الذى تتكون اغلبية مجلسيه الساحقة من الوفديين ..

وهو قد جاء بحكومة على ماهر لكى تضرب الحركة الوطنيـــة ، وتنهى الثورة ضد الاحتلال البريطانى ، وضـــد أى شىء ، بينمـــا كانت البلاد فى حالة غليان ثورى ، وكان الجيش والبوليس متوترين ..

وجاء على ماهر ليقوم بلعبة سياسية خطيرة . رفع شـــعار الجبهة الوطنية (كتلك التى تشكلت سنة ١٩٣٦) ، ليبدو موحـــدا للصـــفوف ، وليمتص النقمة الشعبية ، ويغـــرى الوفد على التعاون معـــه .. وقد استجاب الوفد بالفعل للشعار ، تحت وطـــأة الحملة الضارية ضـــــده لتحميله مسئولية حريق القاهرة ..

وكان الملك يعرف ابعـــاد اللعبـــة . وهو مقرر أن حكومة على ماهر ليست ســـوى حكومة مؤقتة ،تتلقى صدمة الانقلاب السياسى ، ثم تذهب بكل مشروعاتها وشعاراتها ومنها شعار الجبهة الوطنية هذا ..

وواضح أن الامريكان كانوا متحمسين للفكرة ، يريدون بها « تمرير »

---

(٢٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٤ ، البرقية رقم ٥٥٤ .

الانقـــلاب بهــدوء ، « وتليين » الوفد ثم ضربه على المهــل .. و أبرق المستر جيفرسون كافرى الى واشنطن بذلك . وسجلت وثيقـــ رسلة من الخارجية البريطانية لسفارتها فى القاهرة ،فحــواها ، ع النحو التالى :

« المســـتر بالمر من الســـفارة الامريكية جاء ليرانى اليـــ (٣٠ يناير) ، وليقـــدم محتوى البرقية التى تلقتها سفارة الولايا المتحــدة (فى لنــدن) من سفير الولايات المتحدة فى القاهرة . النقـــاط الاساسية فى برقية المســـتر كافرى كانت :

« أ ــ انه لن يكون مرغوبا فيه بالنسبة للحكومة البريطان أن توحى بشكل علنى أنهـــا توقعت مبادرة تنم عن الصـــــداقة م الحكومة المصرية الجديدة . وفى رأى المستر كافرى أن هذه ستكو « قبلة الموت » لتلك الحكومة .

« ب ــ ان المهمة الاساسية الاولى للحــكومة الجـــــديد ستكون اعادة النظام . وأن حقيقة أنها تلقت دعمـــا فى البرلما قد قوت مركزها بصورة عظيمة . ووضع الحكومة من وجهـــ نظر مستر كافرى ليس سيئا .

« جـ ــ لقد لعب الملك بذكاء بتسليم السلطة لحــكوم من هذا النـــوع . ولو أنه طلب حكومة معارضة ، فان الوفـ كان من الصعب أن يدعمها من البداية . ولان أحــزاب المعارض كانت مبتهجة لطرد الوفد ، فانها لن تتوان فى تاييـــد الحــكوم الجديدة . وسقط الوفد فى الخط .

« د ــ لقد شـــعر النحاس باشا وسراج الدين أن الملك قد لعب بهما باغرائهما على اعلان الاحكام العرفية فى ســـاعة متأخرة من مساء السبت ، بينما هو قد قرر طردهما .

« و ــ على ماهر أشـــار الى المستر كافرى بأن الحكومة الجديدة سوف تحد من الحوادث فى منطقة القنال .... (٤٤) ».

---

(٤٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧١، الوثيقة رقم ٥١ / ١٠١٨ .

● لكن الانجليز لم يكونوا مرتاحين أصلا لشخص على ماهر . وقد تضمن محضر مختصر ضمن الوثائق البريطانية ، تقديرهم له ، فى اطار تقـديرهم للحكومة الجديدة التى تشكلت مساء يوم ٢٧ يناير :

« الحكومة الجديدة ليس بها عناصر مرغوب فيهـا من وجهة نظرنا ، وهى تضم أشخاص أكفاء . اننا ربما نأمل فى أشياء أفضـل من وزير الداخلية الجديد مما كنا نأخذه من سراج الدين، خصوصا بالنسبة لامكانية التعاون فى منطقة القنال ..

« على ماهر شخص انتهازى ، ولديه مقدرة فائقة على تدبير المكائد . وفى نفس الوقت فان لديه كفاءات جيدة . انه منظم جيد ، ولديه المقدرة على القيام باصلاحات ادارية . وفوق ذلك ، فيبدو أنه على صلة طيبة بالأمريكان ... (٢٥) » .

لكل هـذه الاسـباب ، ولانهم ــ كانوا متعجلين فى تحقيـق هـدف محـدد ، يهمهم هم أولا وأخـيرا ، وهو توجيـه ضربة قاضية للوفد ، جزاء ما فعله خلال السنتين الماضيتين .. وأيضا حتى لا يأتى الى الحكم ، ولو بصـورة غير مباشرة أو كاملة .. كانوا منزعجين جدا من حكاية الجبهة الوطنية . والبرقيات الثلاثة التالية ــ وكلها ذات طبيعة سرية خاصة ــ تبين حجم هذه المشكلة بالنسبة لهم ..

● البرقية الاولى أرسلها السفير يوم ٢ فبراير ، قال فيها :

« اننى منزعج بصورة متزايدة خـلال الايام الاخيرة بسبب دلالة مغازلة على ماهر باشا للوفد . ان تشكيل لجنة سـياسية لجبهة وطنية يمثل فيها الوفد ، هى أحد الملامح غير المطمئنـة ، خصوصا وأنه قد ذكر فى الصحف أن صلاح الدين (محمـد صـلاح الدين باشا وزير الخارجية فى حكومة الوفد) وابراهيم فرج (كان وزيرا للبلديات ، ويقوم بعمل وزير الخارجية أثنـاء غيابه) ، سوف يكونا ممثلى الوفد .

« لقد طلبت حافظ عفيفى باشا هذا الصباح ، وحدثتـه

---

(٢٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٠، محضـر

بجدية فى الموضـــــوع . وقد قال أن الملك (وهو نفســـه) كانا منزعجين جدا لهذا الاتجاه من جانب على ماهر ، مثلى تماما . وأنه (الملك) كلفـــه (عفيفى) بتحـــذير رئيس الوزراء حـــول المخاطر التى ينطوى عليها ذلك .انه من الواضح تماما أن الوفديين يحاولون مجرد رد اعتبارهم ، وعلاوة على ذلك ، فان أى مشاركة منهم فى المفاوضات ذاتها سوف يكون أمرا مميتـــا ، خصـــوصا اذا كان لصلاح الدين أى دور فيها . لقد تحدث (عفيفى) مع على ماهر فى هذه المعانى أمس ، وقال له الاخـــير أن اللجنـــة السياسية المقترحة هى مجـــرد « واجهـــة » وأنه يحتفظ بالوفد فى اللعبـــة حتى تحين اللحظة التى يتخطى فيها المرحلة الصعبة ، وتكون قوى النظام قد أعيد تنظيمها وأصبحت قوية بما فيــــه الكفاية . وقد اقر رئيس الوزراء بأنه يجب أن يكون على حـــــذر من المخاطر ، ولكنه واثق من قدرته على التعـــامل معهــــا . وأبلغنى حافظ عفيفى باشا أن رئيس الوزراء سوف يرد قريبـــــا زيارتى الرقيقة ، وحفزنى لتعزيز ما قلته فعــــلا له حول الوفد ، وقد سررت بأن أفعل ذلك ، حيث أننى سيكون سرورى مشكوكا فيــه اذ حاولت التفـــاوض مع صلاح الدين بنفسى .

« نقطة أخـــرى أثرتها مع رئيس الديوان الملكى هى الضرورة المطلقة لتحديد المسئولية عن حوادث ٢٦ يناير بشكل علنى بالنسبة لفؤاد سراج الدين باشا وعبد الفتاح حسن باشـــا . وأنه اذا لم يحـــدث ذلك ، فان الثقـــة لا يمكن أن تستعاد ،وسيكون الوفد قادرا على الافلات من العقاب . عفيفى باشــــا قال أنه موافق تماما ، وأنه ناقش ذلك أيضا مع على ماهر باشـــا ، وأن الاخير أكد له أن تحقيقـــات النيابة تضغط على ذلك بأقصى سرعة ، لتحـــديد المسئولية بوضوح . وأخبرنى عفيفى باشـــا أنه مقتنع بأن ذلك يحدث فعلا .

« وبخصوص استئناف المفاوضات (برقيتى رقم ٢٧٢) ، فقد نبهت عفيفى باشـــا بشـــــأن بيانك فى مجلس العمـــوم يوم ٢٩ يناير الذى يعلن استعدادنا للتفاوض ، وقلت أننى سأغتنم فرصـــة زيارة على ماهر القادمة لى ، لأستطلع أفكاره حـــــول

أفضل طريقة لبدء المحادثات (٢٦) » ...

● البرقية الثانية أرسلها ستيفنسون في اليـــدم التـــالي . وجاء فيها :

« استدعاني الياس اندراوس باشا الليلة الماضية بنـــاء على طلبي . موضوعي في الحديث معـــه كان للتأكد من أن الملك (الذي يبدو أنه يحتفظ معـــه بعلاقة أكثر توثقـــا من أي شخص آخـــر) سوف يمارس الضغط على علي ماهر في موضـــوع مغازلته الخطيرة مع الوفد . لقد أكدت بصـــفة خاصـــة على انعـــدام الامل في محاولة التفاوض مع هيئة مثل اللجنة الســـياسية للجبهـــة الوطنية ، اذا كان لصلاح الدين أي دور فيهـــا . وضغطت على ضرورة تحديد المسئولية عن حوادث ٢٦ ينـــاير على سراج الدين .

« وفيما يتعلق باللجنة السياسية للجبهة الوطنية ، قلت انه اذا كان اساسيا بصـــورة مطلقة اقامتها الآن ، فان ممثلي الوفد فيها يجب ان يختاروا من بين الاعضـــاء المعتدلين (!) في الحزب ، مثل زكي العرابي باشا ، ولكن حتى في تلك الحالة ، فسيكونون تحت تأثير صلاح الدين . علاوة على ذلك ، فانه من المرغـــوب فيه تماما المحافظة على سرية المفاوضات بقدر الامكان (!!) . ان ذلك سوف يكون صعبا بما فيه الكفاية في ظل أي ظروف ، ولكنه سيكون مستبعدا نهائيا اذا كان للجنـــة السياسية حتى مجرد دور استشاري فيها . وعلى ذلك فانني افضـــل كثيرا أن يتأخر تشكيل اللجنة حتى يتحقق تقـــدم كاف يعطي الأمل في اتفاقية نهائية .

« الياس اندراوس ،الذي هو استاذ سابق في فن التـــآمر (وكذاب بارز) ويفتقـــد الى الرؤية السياسية ، ودائما يفشل في القبض على الجوانب المهمة التي تبدو شـــديدة الوضـــوح في الموقف .. في هذه المناسبة على أي حال ظهر متأثرا ، ومنجذبا الى فكرة تأجيل تشكيل اللجنة . ان ذلك ربما لا يكون شـــديد

---

(٢٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧١، البرقية رقم ٢٩١ .

الصعوبة ، حيث أن أحزاب المعارضة (للوفد) تبـــدى علامات نفور من التعاون مع الوفد فيها » (٢٧) ...

● أما البرقية الثالثة التى أرسلها السفير بعد ذلك بيوم واحد ، فكانت أكثر تفاؤلا :

« أبلغنى أندراوس باشـــا شفهيا الليلة أن اللجنة السياسية للجبهة الوطنية المقترحة ، لن تتشكل (أكرر « لن ») . هذه أخبار طيبة .

« وبالنسبة لتحـــديد المسئولية عن حوادث ٢٦ ينـــــاير على فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن (التى أثرتها أيضا معه) قال أندراوس باشا أنه لم يحقق نجاحا كبيرا ، بالرغم من أن الملك موافق . وأنه سيواصل ممارسة ضغطه . وقد نبهت الى أنه ما لم تخرج الجـــريمة من الملفات ، فان المصالح التجـــارية الاجنبية فى مصر لن تكون لديها أى ثقـــة فى استقرار البلد ، وستنسحب حتما . فلا أنا ، ولا أتصـــور أن أى مســـــئول عن بعثة أجنبية فى القاهرة ، سوف يكون لديه المبرر ، فى مثل هـــذه الظروف ، لتشجيع مشروعاتنا التجـــارية الخاصة على البقـــاء هنـــا . وأن الاقتصاد المصرى ســـوف يعانى دمارا يصـــــعب اصلاحه ، ومن ثم ، فانه من صالح مصر أكثر من أى أحـــد آخر ، أن تعمل الحكومة بصرامة ضد الجريمة (جريمة ٢٦ ينـــاير ــ أى ضـــــد الوفد وسراج الدين وعبد الفتـــــاح حســـن) . وقد وافقنى (أندراوس) تماما ، وكرر أنه ســــيتولى الموضـــوع مع رئيس الوزراء » (٢٨) ...

❊ ❊ ❊

لكن الوفد ، والحركة الوطنية ــ برغم أهميتها الخاصة ــ لم يكونا هما كل شىء ...

كانت مصر ذاتها هى المطلوبة . استمرار احتلالها ، وتكبيلها بمعاهدة جديدة تبقيهـــــا تحت السيطرة الاستعمارية ، وفى اطــــــار المخططات

---

(٢٧) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧١، البرقية رقم ٢٩٦ .

الاستراتيجية للمعسكر الغربى . ومواصلة استنزاف ثرواتهـا ومواردها الطبيعيـة وخاصة القطن ودخل قناة السويس ..

ولذلك ، كانت العملية البريطانية لاستثمار حريق القاهرة تستهدف مصر نفسها ..

اتبعت الدبلوماسية الانجليزية تكتيك الحرب النفسية ، لاشـعار المصريين بعقدة الذنب ازاء البريطانيين ، مثلما تم مع الالمان بالنسـبة لليهود .. وسارت فى سبيل تحقيق ذلك على خطين متكاملين :

ـ كان الخط الاول ، هو شن حملة اعلامية واسعة للتشـهير بمصر . البلد التى يعيش فيها شعب يقوم بمثل هذه الاعمال البربرية (حوادث ٢٦ يناير) ، أو على الاقل يتخـذ موقفـا سلبيا ازاءها . والذى تنظم حكومته الفوضى . ويتواطأ بوليسه فى تخريب عاصمته ... الخ الخ . والبرقيات ، وما تتضمنه من خطط وأعمال توضح الكثير ..

● يوم ٣١ يناير أرسل ستيفنسون الى ايدن يقول له :

« ... برغم أن معظم المصريين يشعرون بالخزى العميـق ازاء ما حدث ، فانهم ليس لديهم أى معلومات من جهة رسمية تمثل حكومة صاحب الجلالة (البريطانية) ، مع أن جهاز الاستعلامات لدى يفعل كل ما فى وسعه ..

« .. انه الامر بالغ الاهمية أن ينطبع الرأى العام ، سواء هنا أم فى الخارج بقـوة بالحالة المرعبة التى كانت تقـاد اليهـا تلك البلد بواسطة حكومة الوفد ..

« فاذا نحن واصلنا هذا الخط بقوة ، فانه ربما يسـاعد على ماهر بصورة طيبة لكى يواجه اى خطط لابد أن الوفد يعدها بالتاكيد لكى يعود الى الحكم ، ويدنا سـوف تكون ايضـا أكثر قوة فى تقـديم المطالبات بالتعويضات .

« .. أن بياننا منك فى مجلس العموم سيكون خير ما نتعلق به

---

(٢٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧١، البرقية رقم ٣٠٦ .

للنشر هنا . وكلمات اضافية منك فى المجلس على الاساس الذى اقترحه سوف تكون لها قيمة عظمى ، وسوف تعطى أقصى انتشار بواسطة الاذاعة البريطانية ، وسوف تكون هناك بلا شك أسئلة برلمانية (فى مصر) ..

ثم يحيل ستيفنسون ايدن الى برقيته التى لخص فيها الحوادث مركزا على مسئولية الحكومة ، ورسالة المستشار التى أجرى فيها أول تقويم للحوادث على النحو المضطرب الذى ناقشناه فى الفصل السابق .. لتكون هى مصدر مادة البيان والكلمات التى يدلى بها وزير الخارجية (٢٩) ...

● وفى هذا الاتجاه ينقل السير توماس راب الى الخارجية نص مقال كتبه محمد التابعى فى آخر لحظة بتاريخ ٣ يناير . بينما يتولى السفير بنفسه تلخيص المقال على النحو التالى :

« وفى وصف — التابعى — ٢٦ يناير بالسبت الاسود . وأنه صفحة مظلمة فى تاريخ مصر . وتحدى الحكومة المصرية أن تقول الحقيقة حول ما حدث . وأن أعمال التخريب كشفت عن حكومة شارع حاقدة وفوضوية متواجدة جنبا الى جنب مع الحكومة الشرعية . وأن الفوضى لم تكن راجعة — كما قال النحاس — للهياج . ففعليا فان أغلبية المخربين كانوا مجرمين محترفين ، برهنوا للعالم على أن مصر غير قادرة على حفظ النظام فى عاصمتها . وأن البوليس المصرى لا يستطيع باستمرار المحافظة على النظام وحماية المصالح الاجنبية . ان الانسان يمكن ان يرغم نفسه على فهم أن التخريب قد انحصر فى الممتلكات البريطانية ، ولكنه امتد الى الدول الصديقة مثل سويسرا وفرنسا والولايات المتحدة ،و فوق ذلك كله الى الممتلكات والارواح المصرية . ويخلص المقال الى المطالبة بتحقيق حول الفشل فى السيطرة على الاضطرابات ، والتأخر فى استدعاء الجيش (٣٠) ... » .

---

(٢٩) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧١ ، البرقية رقم ٢٧٠ .

(٣٠) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧١ ، البرقية رقم ٢٦٤ .

وواضح من الاهتمام بهذا المقال بالذات ، أنه سيكون مادة خصبة للحملة الدعائية البريطانية للتشهير بمصر ..

● وتذكر برقية أخرى سبق أن أشرنا اليها (رقم ١٠١٨/٣٩ بتاريخ ٦ فبراير) بعض ملامح هـــذه الحملة ، فتقـول فى الفقـــرة رقم ٢ :

« .. لقد أخذنا بالخط الذى اقترحه (السفير) فى برنامج الاذاعة البريطانية والخدمات المشابهة الاخرى . وأعتقد أنه يمكن القول أن صحافة المملكة المتحدة قد قدمت تغطية جيدة الى حد ما خلال العشرة أيام التى أعقبت حوادث ٢٦ يناير ، والتفاصـــيل الرهيبة التى نتجت عنها (٣١) ... » .

● ونختتم بهذه البرقية المرسلة من الادارة الافريقية الى مستشار السفارة يوم ٩ فبراير:

« برقيتك رقم ٣١٨ بتاريخ ٥ فبراير توضح أنك جمعت بالفعل الادلة التى سوف نحتاج اليها لتثبيت المسئولية الدولية للحكومة المصرية (٣٢) » ...

* * *

أما الخط الثانى الذى اتبعته الدبلوماسية البريطانية لاستثمار حـريق القاهرة بغرض تثبيت سيطرتها على مصر ، فكان مسألة التعويضات ..

وقد لاحظنا فيما استعرضناه حتى الآن كم كان حضور هذه المســألة كثيفا ، حتى أنها ترددت فى كل لقاء وكل برقية تقريبا . فكيف لعبت بريطانيا

ورقة التعويضات ... ؟

xx برغم أن حجم الخسائر البريطانية فى أحداث ٢٦ يناير كان هـــو

---

(٣١) مجموعة وثائق وزارة الخــارجية البريطــانية — ملف رقم ٩٦٨٧١ ، البرقية رقم ١٠١٨/٣٩ .

(٣٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ملف رقم ٩٦٨٧١، البرقية رقم ١٠١٨/٤٦ .

الاقل ، كما ذكرنا نحن فى دراستنا السابقة استنادا الى ما نشرته روزاليوسف فى حينـــه . وهو نفسه ما اكده السفير البريطانى فى برقية له يوم ٢٨ يناير (البرقية رقم ٢٠٨) ، اذ كتب لوزارة الخارجية :

« انه سيمضى بعض الوقت قبل الحصول على تقرير تفصيلى عن الخسائر فى المصالح البريطانية ، ولكن ربما يمكن تقـــديرها بما يقرب من ٥ مليون جنيه . المراقبون العليمون يقدرون جمـلة الممتلكات التى أصابها التخريب فى القاهرة بحوالى ٢٠ مليـــون استرلينى » ..

اى ان الخسائر البريطانية تشكل ٢٥ ٪ من جملة خســـائر ذلك ذلك اليوم .. الا ان بريطانيا اثارت اكبر ضجة حول هذه المســـألة ، حتى كادت تصبح أهم مسألة مترتبة على حريق القاهرة ..

● وبينما قدرها ستيفنسون بخمسة ملايين بالنســـبة للانجليز ، وعشرين بالنسبة للكل (حسب تقدير الخبراء العليمين) اذا به يرفع تقريرا الى ايدن ، بتاريخ ٥ فبراير ، يقول فى الفقرة التاسعة منه :

« لسوء حظ الحكومة المصرية (حكومة على ماهر) انهـا ستواجه المطالبات الضخمة بتعويضات تقدر بـــ ٥٠ مليـــون استرلينى ، التى تعدل ما يقرب من ربع الدخل القومى المقـــدر لمصر هذا العـــام (حوالى ٢١٧ استرلينى) (٣٣) » .. اى ان حجمها تضاعف مرة ونصف !

● هذا بينما كانت السفارة قد تشكل لجنة بالقسم القنصلى لحصر وتقدير الخسائر ، وقامت هذه اللجنة بتقديم تقرير الى وزارة الخارجية ، ... تقديراتها باتفصيل عى النحو التالى :

البات التى سجلت بالقسم القنصلى ، عددها ٧٣ ، وقيمتها سترلينى .

بات سجلت لكن قيمتها لم تحدد ، عددها ١٦ .
بات تحت التقدير ، عددها ١٧ هى (سينما ريفولى — ا
— مبنى شملا — الشرقية لقطع غيار السيارات .. استاعات

جموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٦٩٥٧، ١٠١١١/١١٨/٥ .

الكيمـــــاوية الامبرياليـــة ــ الخطوط ابريطانية لمــا وراء البحـــار ــ شـركة شـــل) وذكرت اللجنـــة أن قيمـــة البندين الثـــانى والثالث ، وكل المطالبات افردية ، لن تزيد عن ٢ مليون استرلينى (٣٤) ....

● فاذا أضفنا الى ذلك ما طلبته السفارة تعويضا عن حيـــــاة البريطانيين الذين ماتوا أو جرحوا ، وأيضا الذين طردوا من العمــــل فى افترة الاخــــيرة (!) ، وبالاضـــافة الى التعويض عن حيـــاة الملحق التجارى الكندى)(اذى اعتبروه ضمن مطالباتهم لان كنـــــدا فى اطــار دستورى مع بريطانيا (!) ...) ، وقد حدده السفير فى مســـودة رد على السؤال ابرلمانى رقم ٥٦ ، بمبلغ ٣٠٠٫٠٠٠ استرينى ، كانت جمــــلة تقديرات الخسائر البريطانية ، من واقع تقاريرهم،فىحدود ٢٫٨٢٠٫٠٠٠ ، اى أكثر بقليل من نصف المبلغ الذى قدره السفير فى البداية ، وهـــو يعدل ١/٨ مجمــوع الخســـائر حسب تقـــدير الخرباء العليمين ، و ١/١٦ مما حـــدده ستيفنسون فى تقريره لوزير خارجيته ..

وفضلا عن هذا التفاوت البين فى التقديرات .. أى ضجة قامت بها الدبلوماسية البريطانية حول الموضوع .. ؟

لنرى ونسمع ..

●● لقد ركزوا على ضرورة أن تدفع الحكومة المصرية التعويضات .. وهكذا :

فاما أن تدفع مصر ربع دخلها القومى كما قال السفير .. يعنى تعلن الافلاس ...

● **البرقية السرية ، الموجهـــة من وزارة الخـــزانة الى المستر واجستاف فى وزارة الحرب ، تشـــير الى ذلك :**
« ربما ترغب فى أن تعرف أننا الآن أعددنا مسودات سلسلة من اوامر الدفع ، واتجاهين بالنسبة لمصر يفطيان الاحتمالات العديدة . وبالتحديد :

(أ) قرار باتخاذ اجراءات مالية معينة ضد مصر كلها ...

---

(٣٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٦٩٧٠٢٤ ، البرقية رقم ١٤٨١/١٩ ــ ٣٢ قنصلية .

(ب) قــــرار باقامة حــكومة عســـــكرية فى منطقـــــة القنال .. » (٣٥) ....

أو استنزاف رصيد مصر ...

● **فالفقــرة الثالثــة من مسودة الرد على السؤال البرلمانى (مجلس العموم) رقم ٥٦ ، تشـــير الى اقتراح بريطـــانى بأن تدفع التعويضات من أرصدة مصر الاسترلينية (وهى ديون لمصر على بريطانيا نظير مشترياتها من القطن ، ومقابل الخدمات التى كانت تؤدى للقوات البريطانية فى القنـــال . وقد جمـــدت الحكومة البريطانية هذه الارصدة وحرمت مصر من استخدامها) ، ولم يقف عقبـــة فى سبيل تنفيـــذ هذا الاقتراح الا أنه كان يحتاج لقـــرار من مجلس العمـــــوم البريطانى ، وما يعنيـــه ذلك من مشاكل سياسية (٣٦) ..**

● **والفقــرة الرابعة من البرقية رقم ٧٩٧ (سنذكر ما فيها) بتفصيل فيما بعـــد) تتحدث عن دفع التعويضات من أرباح حساب مشـــــتريات بريطانيا من القطن المصرى ، المودعة فى البنك الاهلى المصرى ، والمقدرة حينئذ بـــ ٨٩٥ر٠٠٠ استرلينى ، والتى وان كانت لا تفى بالمطالبات البريطانية ، الا أنه تســـد جزءا من هذه المطالبات ، طالما أن الحـــكومة المصرية ليس لديها مصـــدر آخـــر جاهز للدفع .. !**

●● لم يقتصر الامر على المبالغة فى قيمـــة الخسائر والتـــلاعب فى أرقامها .. ولا على استخدام المطالبة بدفعها لتعجيز الحكومة والهاب ظهرها .. وانما امتد الى التـــآمر الســـياسى الذى بلغ حـــــد العمـــــل عى اتدخل فى شئون مصر الادارية ، بما يذكر بقصة صندوق الدين ...

● البرقية الخاصة التى بعث بها المستر كروسويل ، الشـــخصية المهمـــة فى السفارة ابريطانية فى القاهرة الى وزارة الخارجية يوم أول مايو ، تبين ذلك . يقول السيد كروسويل :

---

(٣٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٦٧، الوثيقة رقم ١٠١٦/٥٨ .

(٣٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ــ ملف رقم ٨٧٠٢٦، السؤال البرلمانى رقم ٥٦ .

« غالبية البعثات الاخرى المعنية تمت استشارتها . انهم ربما كانوا راغبين فى القيام بعمـــل متواز بالصـــورة المقترحة فى ٣ ــ أ ، ٣ ــ ب من برقيتكم العاجلة رقم ١٠٨ ، على أن أحـــدا منهم لم يكن حريصا بصفة خاصة على اقيام بعمـــل مشترك ، أو اقامة مكتب مشترك (النقطـــة ٣ ــ ج) . رأيى الخاص ، أن أى اقتراح يقدم لحكومة المصرية بأن الجهـــاز المصرى غير كاف ، وأنه يجب أن يعزز بمكتب جديد نوعا تمثـــل فيه القـــوى الاجنبية ، سوف يواجه بامتعاض عميق ، وسيجعلهم أقل ميـــلا عن أى وقت ســـــابق للموافقـــة على دفع فورى للمطالبات » .

« وجهة النظر العامة لبعثات الدبلوماسية هنا أن هـــذه المسألة يجب أن يرجع فيهـــا الى حكوماتهم ، قبـــل اعطـــاء جواب محدد .

« محاولات الحكومة المصرية ، حتى الآن ، لمعالجة المسألة، لم تؤد الى أى نتائج ملموسة .موقفهم العام من هذه المســـألة ، ومن المسألتين الاخريين المذكورتين فى برقيتى رقم ٧٨٤ ، يعتمد ، كما أعتقـــد ، على أى الوسائل للمزيد من الضغط ، متاحة لنـــا . فى وقت من الاوقات طرح اللجوء الى محكمة العدل الدولية بواسطة الوزير السويسرى ، لكن يبدو أنه من المحتمل أن يكون ذلك أقل نفعا فى حالة المطالبات الناشئة عن أعمال الشغب يوم ٢٦ يناير ، مما يمكن أن يكون بالنسبة لحقوق التعويض للموظفين البريطانيين المطرودين ... (٣٧) ! .

× × لكن ، ما الهدف الحقيقى الذى أرادت الدبلوماسية البريطانية تحقيقـــه من خلال اثارة كل هذه الضجة حـــول مسألة التعويضات عن خسائر مسألة حريق القاهرة ؟

السير رالف ستيفنسون يحدد ذلك ..

● فيوم ٥ فبراير بعث برســـالة مطولة الى المســـتر ايدن ، قال فيها :

---

(٣٧) مجموعة وثائق وزارة الخـــارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٧٠٢٦ ، البرقية رقم ٧٩٧ .

« أعتقـد أننا فى هذه المسـألة ، يجب أن نميز فى التجـارة البريطانية بين :

(أ) كونها مصدرا لزيادة دخل المملكة المتحدة .

(ب) وكونها جزءا من **مكانتنـا** ، سواء أكانت مجزية أم لا » .

ـــ الفقرة / ٥ ، ص ٢ .

ثم قال :

« وعندما أدرس القائمة (قائمة المطالبات بالتعويضت) من هـذه الزاوية ، فان عد المنشـآت البريطانية ذات القيمة المباشرة للملـكة المتحدة ، هى:

ـــ بنك باركليز ، فرع القاهرة (الرئيسى)

ـــ شركة الخطوط البريطانية لمـا وراء البحار

ـــ توماس كوك

ـــ سينما ريفولى

ـــ و . هـ . سميث وولده

ـــ جون ديكنسون .... »

ـــ الفقرة رقم ٦ ، ص ٢ (٣٨) ....

أى أن مسألة التعويضات كلها هى مسألة مكانة بريطانيا فى مصر .. وهى مسـألة تتصل بهيبة الامبراطورية ، وليست مجـرد مسـألة مالية أو حتى اقتصادية ..

● وهو فى برقيته ذات الطبيعة السرية الخاصـة الى وزارة الخارجية يوم ١٣ مايو ، يقـول :

« اذا اردنا أن نمنع تكرار احداث ٢٦ يناير ، وان نؤمن

---

(٣٨) مجموعة وثائق وزارة الخـارجية البريطانية ـــ ملف رقم ٩١٩٥٧ ، الوثيقة رقم ١٠١١١/١١٨/٥٢ .

حمـــاية الارواح البريطانية فى الدلتا ، فاننـــــا ينبغى أن نكون مستعدين للقيـــام بعمل ايجابى ، لمواجهة التصور (الذى لا أزال أعتقد انه لدى عدد من المصريين) باننا اذا هددنا بالعنف ، فاننا سوف نرحل . ومن ثم ، فانه من الضرورى أن نبين للمصريين أن العنف من جانبهم سيقابل بالقـــوة من جانبنا ، والاقتراحات الموجودة فى برقيتكم السرية للغـــاية رقم ٧٦٩ و ٧٧٠ ســـــوف ترد فى الحال . وسيكون من المهم جدا على اية حال ، فى أى عمل قد نتخذه الا نكون نحن الذين نبـــدأ حملة الارهاب المتبـــادل ، أو يدفعون الامور الى الحد الذى يثير ردود فعـــل هســـتيرية لدى المصريين (مثلما حدث فى مذبحة الاسماعيلية !) .

« على أساس وجهة النظر هذه ، فاننى أرى أيضا كل المزية فى أولويات سياستنا تجاه مصر ، فى الاصرار على الحصـــــول الكلى واعاجل للتعويضات عن الارواح ، والممتلكات التى فقدت فى يناير ...

« .. لانه بدون تلك التعويضات ، التى يجب أن تأخـــــذ حقها من النشر بشكل كاف ، فان رجل الشارع المصرى ، ســـوف يستمر فى الاعتقاد بانه يستطيع أن يفعل ما يشاء ضد المصــــالح البريطانية هنا ، وهو مفلت من عقوبة رادعة (٣٩) » ...

وهكذا حدد السفير الوجه الســـياسى الآخـــر لمسألة التعويضات عن خســـائر حريق القاهرة : انها وسيلة لتـــأديب المصريين ... حتى لا يتطاولوا على أسيادهم المستعمرين .. ولا يتعرضوا لمكانة الامبراطورية البريطانية فى مصر !

* * *

استثمر الانجليز حريق القاهرة على هذا النحو . فحـــاولوا اعتباره فرصة للتدخل العسكرى . وضغطوا به لتحقيق تحسين خطير فى وضع قوات احتلالهم . وضمان ضرب وتصفية حركة الكفاح المسلح . ومطاردة الوفد وقياداته النشطة . والتشهير بمصر وشعبها وأجهزتها . والضغط على حكومتها وتهديدها بالافلاس ...

---

(٣٩) مجموعة وثائق وزارة الخـــارجية البريطانية — ملف رقم ٩٧٠٢٦ ، البرقية رقم ٨٤٦ .

وباختصار ــ كما حدد الســـــير رالف ستيفنسون ــ لاعلاء مكانة الامبراطورية والحفاظ على هيبتها ، وتأييد الشعب المصرى ..

أما البحث عن الفاعل الحقيقى فى جريمة ٢٦ يناير .. فلم يكن همهم ، الا لخدمة التكتيكات السابقة ...

لكننا سنظل وراءهم .. نسعى وراء الحقـــــائق .. لنجيب على السؤال الذى لابد من الاجابة عليه :

من الذى خطط ودبر ونفذ حريق القاهرة ؟

الفصل الخامس

مرة أخرى.. من الفاعل؟

ها نحن قد اجمعنـــا على أن حريق القاهرة جريمة مدبرة ، ومنفـــذة وفق خطة مسبقة ..

فالحركة الوطنية المصرية ، بجميع فصائلها قالت بذلك منذ اللحظـــة الاولى . ورئيس الحكومة التى وقع الحريق فى آخر يوم من حكمهـــــا (مصطفى النحـــاس) أعلن ذلك ليلة احوادث . ورئيس الحكومة التى تولت التحقيق فيها (على ماهر) قرره أمام المحكمة . والملك (كما سيتضح من الوثائق) كان يرى ذات الشىء . والوثائق تبـــين أن ذلك كان رأى الانجليز منذ يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ...

والكل اجمع على ان الحوادث نفذت بواسطة مجموعات خاصة ، أو فرق محددة ، أو عصابات مدربة .. محدودة العدد ..

لكن عند تحديد : من الذى بعث بهـــذه المجموعات أو الفـــرق او العصابات الى العاصمة لتحرق قلبها ، بهـــذا الاصرار .. اختلفت الآراء .. وتبودلت الاتهامات ..

الحركة الوطنية اتهمت المخابرات البريطانية بالتدبير والتنفيــذ .. والملك بالتواطؤ ..

والانجليز اتهموا الحركة الوطنية المصرية ، وركزوا على الوفد ووزير داخليته فؤاد سراج الدين بالذات ..

والملك تبنى وجهة نظر الانجليز . وأضاف اتهاما خاصـــا به .. للسوفيت ..

ورئيس ديوانه (حافظ عفيفى) ووكيله « حسن يوسف) خصا بالاتهام البولنديين ..

أما سلطات الدولة الملكية الرسمية ، فقد ركزت الاتهام على أحمد حسين والحزب الاشتراكى ..

ومع كل هؤلاء اتهم الاخوان المسلمون ، والشيوعيون » ..

ولم يستبعد من دائرة الاتهام حتى الجيش ، ممثلا بتنظيم الضباط الاحررا ، وخاصة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين .. !

فمن هو الفاعل .. فى جريمة حريق القاهرة .. ؟

***

فى الدراسة السابقة ، قمنا بمتابعة جميع الاتهامات التى وجهت الى الى القوى المحلية المصرية . وناقشناها اتهاما اتهاما ، وواقعة واقعة .. سواء ما جاء منها فى قرارات الاتهام الرسمية ، أو ما ظل شائعا ، أو ما ذكر فى الصحف والكتب . واستندنا فى مناقشة هذه الاتهامات الى أوراق قضية حريق القاهرة بجميع تفريعاتها ، فضلا عن عدد من رجال النيابة الذين تولوا التحقيق ، وشهادات كل من لهم صلة بالاحداث عندئذ ..

وقد انتهينا من البحث ، الى تبرئة جميع هذه القوى .. مسقطين اتهامات السلطة الملكية الرسمية ، والشائعات والاوهام التى علقت ببعض هذه القوى لسنوات طويلة ..

وفى الفصل الثالث من هذه الدراسة ، قمنا بتنفيذ اتهامات السلطات البريطانية للقوى المحلية المصرية ، ليتضح أن هذه الاتهامات أقل تماسكا من تلك التى ساقتها سلطات فاروق . وليكون اسقاطها أسهل كثيرا من اسقاط سابقتها ..

والآن ، بعد تفنيد الاتهامات التفصيلية فى التحقيق البريطانى لحريق القاهرة ، لنتقدم نحو تقديم هذا التحقيق ، حتى نتوصل الى الغرض الحقيقى منه ، ومن ثم وظيفته فى الاشارة الى المجرم ..

***

اعتبر الانجليز حوادث ٢٦ يناير من أخطر الاحداث التى وقعت بالنسبة لهم . ولذلك ، فقد اهتموا بها كل هذا الاهتمام الذى تعكسه وثائقهم . وشكلوا لجنة تحقيق خاصة بها ، استمعت الى عشرات الشهود من الانجليز وغيرهم من الاجانب ، وأيضا من المصريين . ووصف السير رالف ستيفنسون نتائج هذا التحقيق بأنها تضاهى — ان لم تكن تفوق — أى جهد مماثل تبذله سلطات تحقيق الدولة المصرية ..

والسؤال الذى لابد أن يطرح نفسه هنا ، هو : هل فعلا اتفقت نتائج التحقيق البريطانى ، مع كل هذه المقدمات ؟ .. هل كانت جدية ؟ ان أبسط اعمال للمنطق يقول لا ..

ولقد أوضحنا فى الفصل الثالث كيف كانت الادلة والقرائن (ان صح أنها ترتقى الى مستوى الادلة والقرائن) التى ساقها تقرير لجنة التحقيق وهو بصدد اتهام القوى الوطنية المصرية ، هزيلة ، ومفتعلة ، ولا تقف على رجلين ..

أكثر من ذلك ..

xx فى التقرير الشامل الاول الذى بعث به كبير مستشارى السفارة الى الادارة الافريقية ، والذى طلب ستيفنسون من ايدن اعتباره المصدر الاساسى عند اعداد بيانه أمام مجلس العموم حول حوادث ٢٦ يناير .. هذاا لتقرير يقول فى فقرة واحدة منه ، هى الفقرة رقم ١١ ، ص ٢ ، ٣ :

١ — ((نحن لا نستطيع أن نحدد حتى الآن من من المشكوك فيهم الظاهرين هو المسئول عن التنظيم (تنظيم عصابات الاحراق) ؟ ..)) .

٢ — ((العديد من المصادر المستقلة ترى أن أحمد حسين زعيم حزب مصر الاشتراكى هو المنظم)) .. أى أن أحمد حسين هو مدبر ومنفذ العملية ..

٣ — ((ومصدر آخر يؤكد ذلك ، لكنه يضيف أن أحمد حسين كان يعمل بمساعدة مباشرة من سراج الدين وزير الداخلية السابق)) .. أى أن سراج الدين هو المدبر ، وأحمد حسين كان أداته للتنفيذ ..

٤ — « بعض كبار ضابط البوليس يؤكدون أن أعضاء حـــركة السلام كانوا هم المنظمون الاول » .. أى أن مدبر ومنظم العملية هم اعضاء حركة السلام ..

٥ — « وعلى العموم ، نحن نعتقـد أن التخطيط ربما جاء من ذلك القسم من الاخـــوان المسلمين الذى يعــترض على السـياسة المعتــدلة لقـــائدهم الحـــالى (الهضيبى) بمساعدة مباشرة أو غير مباشرة من الحـــزب الاشتراكى وحركة السلام » .. أى أن الاخوان ، أو قسم معين منهم هم الذين دبروا الحريق ..

٦ — « واذا كان التنظيم صادرا عن حركة السلام ، فعندئذ (ولان هذه الحركة ليست لديها الكفاءة للقيام بذلك ، مثلها مثل أحمـد حسـين والحزب الاشتراكى) ، فاننـا نعتقد انه — اى التنظيم — لابد جاء ، ليس من احـــد القادة الظاهرين ،وانما من بعض ذوى الخبرة الحقيقية من المنظمين الشيوعيين المختفين فى تلك الحركة » .. اى أن الشيوعيين هم المدبرون لحريق القاهرة ..

وهكذا ، وبرغم عبارة « نحن لا نستطيع أن نحدد من المسئول عن التنظيم » التى يستهل بها المستشار كلامه ، وهو ما كان كافيا للالتزام بالتحفظ والحذر عند توجيه الاتهام .. فانه عمليا اتهم الجميع : أحمـــد حسين والحزب الاشتراكى .. وفؤاد سراج الدين .. وحركة السلام .. والاخوان المسلمين .. والشيوعيين ..

الادهى من ذلك ، انه بعد أن أشاع الاتهام ، اعتبر **كلا منهم على حـــدة** هـــو مدبر ومنظم حوادث ٢٦ يناير . وبرغم معرفته اليقينيـــة بأنه لا صـــلة بين هذه الجماعات ،ولا امكانية للتنسيق بينهـــا ، خاصـــة فى مثل هذه الحالة التى تحتاج لكثير من الاحتياط والسرية .. فانه لم يجد تناقضا منطقيا فى **توجيه الاتهام الاساسى الى كل منها مرة .. واليها مجتمعة مرة أخرى .**

وفعليا ، فقد أخـــذ تقرير لجنة التحقيق بذات الاتجاه ، ربما مع دقة أكثر فى الخلاصة ، مما سبق أن ناقشنا تفصيله ..

× × على أن لجنة التحقيق ، وهى تقـــدم لنتائج عملها ، فى خلاصة تقريرها .. وبعـــد أن قالت بتأكيد الوثائق من سلامة عمله :

« ان اللجنة حرصت على تتبع — فقط — تلك الروايات التى تسلمتها من شـــهود عيان للحوادث الفعلية ، وللمعلومات المتوفرة من خلال مصادر موثوق بها ، خاصة فى الشئون ذات الصلة الوثيقـــة بالاحـــداث التى وقعت يوم ٢٦ يناير . وفى حـــدود ما سبق ، فان الشهادات التى استخدمت هى صحيحة تمـــاما ، وكذلك النتائج التى استخلصتها اللجنة منها ... » .

اذا بها بعـــد ذلك .. تضيف :

« ولكن مجمل الحقـــائق مجهول للجنة . وهى متوافرة فقط عند السلطات المصرية التى يمكن أن تكشف عن القصـــة كاملة فى الوقت المناسب ، ســـواء عن طريق بيان عام ، أو من خـــلال التحقيقات الجنائية ، أو أى تحقيقات أخرى تجرى مع أشـــخاص يعتقد أن لهم مسئولية مباشرة أو غير مباشرة بتلك الاحـــداث الداهمة يوم ٢٦ يناير » .

فاذا اعتبرنا أن ذلك ينسف عمل هذه اللجنة من أساسه ، ويجعله بلا حجية ، واعترافا بانعدام المسئولية... فانه ، فى أحسن الاحـــوال ، احالة على التحقيق الذى اجرته السلطات المصرية الرســـمية للحوادث . وبما أن هذا التحقيق قد تم — الحقيقـــة — بكفاءة أعلى بكثـــير ، ويعمل أكثر التزاما بالاصـــول — على عيب النتائج التى خلص اليها — فان التحقيق الرسمى المصرى يصبح هو المحك ..

وبما أننا قد ناقشنا هذا التحقيق بالتفصـــيل فى الدراسة السابقة ، فان أمره يكون منتهيا ، بالنسبة لنا الآن ..

لكننا ، لابد أن نتساءل : لمـــاذا جاء التحقيق البريطانى ، والنتـــائج التى أسفر عنها ، على هذا النحو من التفكك والهشاشة والارتباك ... واللامعقولية ؟

هل كانت السلطات البريطانية قاصرة عن القيام بتحقيق أكثر جدية وتماسكا .. ؟

الحقيقة أنه لا مبرر لذلك . فبريطانيا كان لها سفارة ضـــخمة فى مصر . كانت هى مركز الحكم الحقيقى فى البلاد عندئذ . وكانت لهـــا شبكة مخابرات واسعة ، تنتشر فى كل مكان ، وفى مواقع حســـاسة

وهامة ، وتعمل بها ألوف والوف من البريطانيين والرعايا البريطانيين ، والمصريين أيضا . وكانت لها جماعة اخوان الحرية ، وكانت جمعيـــة تنتشر فروعها فى كل أنحـــاء مصر تقريبا . وكان لها رجال فى كل مواقع المسئولية فى البلاد من القصر الى وزارة الداخلية . وما أشرنا اليه حتى الآن يوضح مدى العلاقات الخاصة بين السفارة البريطانية وهـــذه الجهات . وكان لها عملاؤها المباشرون فى الاحزاب السياسية (مثـــل فرجانى أو فرغلى بك الذى كان فى موقع رفيع فى جماعة الاخـــوان) . وفى تقرير لجنة التحقيق نفسه اشـــارات واضحة الى موظفين ذوى رتب عاليـــة فى الدولة المصرية يخدمون مصـــالح بريطانيا . حيث يذكر أنه « اعتمادا على شهادة ضابط برتبة قائمقام بالبوليس السرى المصرى ، فان البوليس المصرى لم يكن يشـــعر بالرضا بأى حال عن الاختـــلاف فى المعاملة مقارنة بالجيش فى ناحيتى المرتب والترقية » ... و « ان مصدر ثقـــة قال أنه سمع محادثة تليفونية بين القائم بأعمال المحافظ (محمـــود البدينى ــ وفدى) وبين سراج الدين ، قال فيها الاخير أنه لا يجب على البوليس أن يتدخل » .. و « ان المعاونة الموثوق بها التى قدمها الاشخاص الذين قاموا بابلاغنا (من داخل وزارة الداخلية) جعلت هذه التقارير ليست موضع شك من جانب اللجنـــة » ... وفضلا عن ذلك ، كان التعـــاون وثيقا ، وتبادل المعلومات يجرى يوميا بين السفارة البريطانية والكثـــير من الســـفارات الغـــربية الاخـــرى ، وخاصـــة السفارتين الامريكية والفرنسية ، وكان لهما شأن أيضا فى مصر تلك الايام ..

أى أن السفارة البريطانية كان لديها فرصا أوسع كثـــيرا ، حتى من جهـــاز الادارة المصرى ، للقيام بتحقيق كامل ، يتوصلون فيـــه الى الحقيقة .. ان أرادوا ..

فلماذا لم يفعلوا .. ؟

لانهم فى الواقع ، لم يكونوا يريدون هذه الحقيقة ..

فقد كان لديهم غرضا ..

ما هو هذا الغرض ؟ .. ان أوراقهم تجيب على السؤال ..

* * *

١ ــ تحدث تقرير لجنة التحقيق (الفصل الثالث ، ص ٦ ــ ٨) عن نوعيات زعماء العصابات التى نفذت عمليات الاحراق ، فوصفهم على النحو التالى :

ــ رجل يرتدى بزه رسمية أنيقة كحلية اللون . يضع علامة رتبة على كتفه . أتباعه يعاملون باحترام الى الحد الوقوف بانتباه عند التخاطب معه . من الجائز أن يكون من موظفى شركة مصر للطيران !

ــ رجل فى ملابس أوربية يستثير الناس ..

ــ رجل من النمط الكتائبى ..

ــ رجل يرتدى جلبابا كاكيا وعمامة ..

ــ رجل يرتدى بنطلونا أزرق اللون وقميصا بنصف كم ، ويضع شارة خضراء على ذراعه ...

ــ شخصان من نمط الافندية خرجا من سيارة ستروين وأدارا الحوادث ...

ــ وفى حادثة أخرى رؤيت سيارة من نفس الطراز ..

ــ رجال يستعملون الصفارات ، ولكن طبيعة الاشارات لم تكن واضحة ...

على من تنطبق هذه الاوصاف ؟

الاول ، يراد الايحاء بأنه احد أفراد تنظيم ذى طبيعة عسكرية ، وما عبارة أنه من الجائز أن يكون من موظفى شركة مصر للطيران الا للتخفيف .. لكنه ترك لكى يخمن على أى نحو .. وينسب الى أى تنظيم .. أو جهاز مصرى ..

والثانى ، أفندى من المتعلمين .. يمكن أن يكون وفديا ، أو شيوعيا ، أو من حركة أنصار السلام ..

والثالث ، فرد من كتائب التحرير (الفدائيين) بالتحديد ..
والرابع : من الاخوان المسلمين ..

والخامس ، من الحزب الاشتراكى ..

والاشخاص الذين قيل أنهم كانوا يركبون سـيارة سـتروين الحوادث ، هم أحمد حسين ورجاله ..

أما الذين يستعملون الصـفارات ، فربما يكونون من أفراد ق التحرير .. فهم يضعون اشارات .. وان كانت ـ من باب أمانة الشه ـ لم تكن واضحة . فلم يكن يضع اشارات عندئذ الا أفراد كتائب الت أو أعضاء الحزب الاشتراكى ..

ما الذى يعنيـه ذلك ؟

ببساطة : أن الذين أحرقوا القاهرة هم عصابات منظمـة لها قادة يعـرفون الخطة .. ويقودون عصاباتهم لتنفيذها . وهـ القادة هذه أوصافهم .. « والناس دعوة » !

أى أن الانجليز يريدون أن يؤكدوا أن العصابات كانت تحت قي من الاشتراكيين ، والاخوان المسلمين ، والفـدائيين ، والشـيو أو أنصـار السـلام ، وربما الوفديين أيضا .. أكثر من ذلك ربما منهم من ينتمى الى جهاز عسكرى رسمى .. البوليس مثلا ، باعتبـ فؤاد سراج الدين ضالع فى المؤامرة ..

يحدث هذا ، بينما هم يقرون فى خلاصة تقرير لجنة تحقيقهم ليس لديهم أى دليل ملموس ضد هؤلاء جميعا ..

صحيح أنهم ـ ونحن أيضا ـ قالوا ـ وقلنـا ـ أنه ليس د ما يمنع أن يكون أفراد من كل هذه القـوى قد اشترك فى الحـوادث لكن اشتراك أفراد ، وجدوا فى الشارع ، فأخذهم الحماس ، أو الجنو فساهموا فى العملية ، التى نظمها ونفذها آخرون ، هـو شىء مخ تماما عن أن يوحى بأن أفرادا من هذه القوى كانوا هم زعماء العصابات اى المدبرون والمنفذون الاصليون . والا لكان من الضرورى ان يكون ال مختلفا بالكامل ..

لكنه الغرض ...

٢ ــ يذكر التقــرير (الفصل الثالث ص ٦ ــ ٨) :

x « فى فترة بعد الظهر (يوم ٢٦ يناير) ، طلب ثلاثة أشـــــخاص يركبون سيارة سكودا ، من مدير محطة خدمة فى الجيزة ٦ جالونات فقط . ولما كان هناك نقص فى الوقود ، فقد عرض المدير ان يعطيهم جالونين فقط. عندئذ اظهر الافندية لمدير المحطة مدفع تومى وأسلحة أخرى كانت فى مؤخرة السيارة . وقالوا أنهم من كتائب الفــدائيين وأنهم فى عجلة ، يريدون أن يذهبوا بسرعة ليساعدوا زملاءهم فى القاهرة . وقام المدير ــ من خــوفه ــ باعطائهم الست جالونات » ...

x « بعد الظهر وصـــلت سيارة بهـــا ثلاث رجال يرتدون بزات كاكيـــة وكابات خضراء (التى يلبسها رجال كتائب التحرير خلافا للجيش) ، وصمموا على التزود بأحد عشر جالونا من البنزين ، ورفضوا دفع ثمنـــه، وكانت العربة نصف النقل مليئة بالجلاليب ولقد أخذ مدير محطة البنزين رقم العربة وأعطاها للسطات » ..

x « أن الاشارة فى تقرير تال الى عربة مليئة بالجلاليب يمكن ان تعنى أن تلك الملابس كان المقصود بها أن تستعمل للتنــكر ، لاخفـــــاء هويات بعض المشاركين فى الهجمات » ..

هذه الفقرات الثلاث من التقرير ابريطانى ، تشير الى ثلاثة أمور :

الاول : هو حدوث اعتداءات على محطات بنزين ، لاخـــذ البنزين عنوة ، واستخدامه فى الاحراق . ومن الثابت أنه فى يوم ٢٦ يناير لم تحدث حادثة واحـــدة تتصل بمحطة بنزين . هذا ما أكده البوليس وقتها (وقد اهتم بهذه النقطة الاستاذ محمـــد صبيح فى كتابه أيام وأيام) . كما لم أعثر على أى أثر لمثل هذه الحادثة فى جميع تحقيقات النيابة . والمنطق يقول أنه لو حدث ذلك ، لكان تطور الأمر الى اشعال احريق فى واحـــدة من محطات البنزين ، وهو ما لم يحدث . طبعا لان هذه المحطات كانت كـهـــا لشركات بريطانية وأمريكية ..

والثانى : هو ظهور سيارات كبيرة (نقل ونصف نقل) فى ميـــــدان الحوادث ، ســـواء تابعة للجيش ، أو كتائب التحرير . وقد تتبعنـــــا فى دراستنا السابقة كل الوقائع المتصـــلة بالسيارات ، وثبت من واقـــع تحقيقات النيابة ، التى شملت هذه الوقائع فعلا ، أنه ولا ســـيارة (نقل و نصف نقـــــل) اشتركت فى الحوادث ..

والثالث : هو حكاية لابسى زى الكتائب ، والبيريهات والاشـــارات الخضراء . ومرة أخرى ذكرت مثل هذه الاتهامات فى أوراق قضــية حريق القاهرة . وحققت جميعها ، وثبت أنها كلها عبارة عن شهادات مزورة ، أدلى بها بعض عملاء الانجليز والبوليس السياسى ، وانتهت الى لا شىء ..
لكن ، ما المقصود بذلك ؟

المقصود هو اثبـــات أن الذى أحرق القاهرة هم أفراد كتائب التحرير . وأنهم كانوا يفعلون ذلك أحيانا بالزى الرسمى .. وأحيانا متنكرين بلبس الجلابيب ..
مرة اخرى انه الغرض .

***

٣ — ركزت كل الوثائق البريطانية ، ومنها تقرير لجنة التحقيــق ، على ادانة موقف البوليس المصرى يوم ٢٦ يناير .. ابتداء من التقصــير فى أداء مهمتــــه فى حفظ الامن والتصدى للمخــربين .. الى التواطؤ ، بل والمشاركة فى الحوادث ..

× وتقول الفقــــرة الثالثة من الفصــل السـابع من التقـــرير (ص ١٤ — ١٦) : « ان اللجنة تؤكد وجهة نظرها ، أنه الى حد كبير، فان النتــائج المروعة لاعمال الشغب يوم ٢٦ ينــــاير يجب أن ترجع الى الانهيار الكامل لتحكم البوليس المؤثر فى الموقف من بداياته المبكرة » ...

× لكن الجديد الذى أضافه تقرير هذه اللجنة ، والذى لم يذكره أحد من قبل ، هو ما ورد فى الفقرة الثانية من الفصــل الخامس (ص ١١) : « وتلاحظ اللجنة من الروايات الصحفية أن الوزير الجديد للداخلية (أحمــد مرتضى المراغى) أعطى تعليمات بأن يتم البحث الواسع لاستعادة أكثر ما يمكن من المسروقات . وأن كميات معتبرة من المنهوبات قد وجــدت فعــلا . **وقد قيــل للجنة من مصادر ثقــة أن الكثير من تلك المنهــوبات كانت قد سرقت بواسطة رجال البوليس » ..!!**

الى هذا الحد ، بلغ حقــد السفارة البريطانية على بوليس مصر ، الى درجة اتهام رجاله بأنهم لصوص !

طبعا معروفة الاسباب . فقد كان هذا البوليس هو الذى تصدى لهم مع الفدائيين الوطنيين فى منطقة القنال . وخاصة معركة الاسماعيلية ضد دباباتهم ومدافعهم ببســــالة وشرف يوم ٢٥ ينــاير . فلزم التشــهير به بكل الوسائل ..

ورغم أننا أيضا حققنا موقف البوليس يوم ٢٦ يناير ، وأثبتنا من خلال الوثائع ، أن البوليس هو الذى قاوم المخربين . وأنه لم يقتل يومها فــرد الا برصاص البوليس (فيما عدا ضحايا الحرائق طبعا) .. بالمقــارنة بالجيش الذى أطلق الرصاص فى الهواء ،ولم يقتل أى شخص فى فترة نزوله المدينة . الا أن السلطات البريطانية كانت حريصة وملحة جدا على اثبــات تقصير البوليس .. لمــاذا ؟

* * *

٤ ـ ثم تأتى مسألة وصف حوادث يوم ٢٦ يناير ..

أصر الانجليز على وصف تلك الاحداث ليس « بحريق القاهرة » ، كما اصطلحنا نحن على وصفها .. وانما « بأعمال الشغب » .. فلمــاذا اختيرت هذه التسمية ؟

بديهى أن وصف الاحداث « بحــريق القاهرة » كان ينطوى من اللحظة الاولى ، على فكرة « المؤامرة المدبرة » . وهو وصف يســـتدعى بالضرورة الأحداث المماثلة التى وقعت فى التاريخ .. من احــراق نيرون لروما ، حتى جريمة حرق الرايخستاج فى ألمانيا على يد النازيين ..

والامر بهذه الصــورة ، يثير التســاؤلات .. ويقتضى البحث عن المجرم ..

أما أن يوصف ما حدث بأنه « أعمال شغب » ، فى جو من التوتر السياسى ، والغضب الوطنى .. والمظاهرات التى تملأ الشــوارع .. فان ذلك يعنى أن الجو والغضب زادوا بعض الشىء ، فانقلب التظاهر والهتاف ، الى عنف .. وقعت فيه « أعمال شغب » ..

والتسمية بذلك توحى بأن ما حــدث يوم ٢٦ ينــاير ، هو عمل تلقــائى ، وقع صدفة ، وقامت به الجماهير الغاضبة ..

لكن الانجليز رأيهم غير ذلك !

ألا يعتبرون ما حدث « جريمة مدبرة » ، « نفذت وفق خطة وضــعت مسبقا قبل يوم ٢٦ يناير » ؟ ..

ألم يبرئوا المظاهرات السياسية ، وحتى مظاهرة بلوك النظام .. والغوغاء أيضا ، من جريمة ارتكابها .. ؟ .. بل ، ألم يذكروا فى تقـــريرهم أن الجماهير بشكل عام كانت متفرجة .. وأنها لم تشـــارك الا بمجـــرد السكوت ، أو الابتهاج والتشجيع .. وأن الذين ارتكبوا جرائم الاحراق كانوا عصابات محدودة العدد ، مدربة ومعـــدة للقيام بالمهمة .. من خارج هؤلاء جميعا .. ! ؟

ما هذا التناقض ؟

للمرة الرابعة : انه الغرض ..

* * *

فما حكاية « الغرض » هذه .. ؟

قبل أن نجيب ، لابد من مواجهة قضية منطقية فى هذا الموضوع .. فقد يقول قائل : ان كل انســـــان ، وكل جهة وكل دولة ، له غرض فى أى شىء يقوله ، أو يفعـــــله .. ومن الطبيعى أن يكون للانجــليز « غرضهم » . ان هذا حق لهم .. فهل أنت من السذاجة ، بحيث تتصور أنهم لم يكن لهم غرض فى كل شىء .. أو ، تستكثر أن يكون لهم غرض ؟.. فما أهمية الالحاح على هذه المسألة .. ؟

كلام منطقى .. وصحيح . ونحن لا نعترض على أن يكون للانجليز — أو أى كان — غرض .. انما المهم هو تحـــديد طبيعـــة الغـــرض : هل هو مع المنطق ، وحركة التاريخ ، ومبرر بالحقائق والوقائع الامنية .. وفى هذه الحالة ، يكون غرضا مشروعا ، يعتز به أصحابه ، ويدافعون عنه ، ويعلنونه بوضوح ...

أم أنه غرض ذاتى ، يستهدف مصالح ضيقة على حساب الآخرين ، مؤسس على الخداع ، والاكاذيب ، فيخفى ، ويجرى التآمر لدسه بين الثنـــايا ، بل ويعلن نقيضه .. ؟

هذه هى المسألة . وعلى أساس ذلك ، سنحلل غرض الانجليز ، مما أوردناه ..

● تسمية أو وصف ما حدث يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ « بأعمـــال الشغب » ، فيها تأكيد لحالة الفوضى ، التى تحدثوا عنها طويلا فى تلك الفترة . وهى بذلك تنطوى على تشهير بتلك الحالة ، بكل ملابســـاتها ..

وهذا الوصف « يشيع » الجريمة ، ويجعلها ملتصقة بالجموع ، أو الجماهير .. أى بالشعب ..

وكلا الامرين يفيدان فى الاساءة الى الشعب المصرى ، وحكومته ..

وهو أحد الاهداف الهامة التى كانت السلطات البريطانية تسعى لتحقيقها فى هذه الفترة ، بعد أن تصاعد كفـــاح الشعب المصرى ضـــد الوجود الاستعمارى البريطانى ، واشــــتد نضاله من أجل التحـــرر والاستقلال الوطنى ، ونال تقـــدير العــــالم كله .. وبعـــد أن وقفت حكومة (حكومة الوفد) مع قضاياه ، ورفضت الضغوط الاستعمارية ، واتجهت للمواجهة الدولية للامبراطورية البريطانية ..

فالإساءة اليها(الشعب بصفةعامة ، والحكومةبصفة خاصة)تم الانجليز، فى محو آثار النضال الوطنى المصرى ، وايهام العالم ، بأن هذا الشعب ليس فى المستوى الذى يجعله قادرا على حكم نفسه ، وأن حكومة غير قادرة على صيانة الامن والنظام ..

ومن ثم ، فان استمرار وجود بريطانيا وقوات بريطانيا فى مصر هو ضرورة حتمية ..

● لكن الانجليز فى نفس الوقت الذى وصفوا فيه الحـــــوادث على هذا النحو ، وأشـــاعوا الجريمـــة ، نادوا بنظرية « التـــدبير » . الا أنهم عندما فعلوا ذلك ، حاولوا أن يحصروا هذا التدبير — رغم اشاعة أيضا بين القوى المختلفة — فى الحركة الوطنية المصرية على بعضها .. وهكذا يكونون أصابوا عصفورين بحجر واحد . اتهام عام للشعب كله من ناحيـــة ، واتهام خاص للقوى الوطنية لهذا الشعب . والتداخل بين الاثنين — الشعب وقواه الوطنية — هو تداخل مطلوب بالنسبة لهم ، لان هذه القوى الوطنية هى التى أرقت مضاجعهم طوال السنين الماضية . وهو من ناحية أخـــرى مقبـــول منطقيا ، لان الحديث عن أعمال شـــغب، ثم نسبتها الى القـــوى الســـياسية الموجودة فى الشارع ، هـــو شىء محتمل ...

ومن هنا كان حرصهم على ايراد أوصاف مصممة خصيصا لكى تلبس فى هذه القوى .. وليكون التشهير بهذه القوى مبررا ، الى حـــد المطالبة برقبتها...

والهـدف هذا وأضح . وهو ضرب الحركة الوطنية المصرية بجميع فصائلها وعلى اختلاف اتجاهاتها . لكى يستقر الوجـود الاستعمارى فى مصر . . بدون مشاكل . .

. . وبرغم أن أوراق التحقيق كانت تؤكد خلاف ذلك . . !

● والوقائع المذكور فيها اتهامات لكتائب التحرير ، مقصود بها التشهير بالتحديد بالفدائيين من شباب مصر الوطنى ، الذى حمـل السـلاح ، وخاصة فى منطقة القنال حرب التحـرير ضـد قوات الاحتلال البريطانية . هؤلاء الفدائيين — كما سبقت الاشارة — كانوا قد صاروا خطرا حقيقيا على جيش الامبراطورية فى مصر .ونتيجة لاعمالهم الشجاعة ، وتنـامى عملياتهم ، اكتسـبوا تقديرا متزايدا ، ليس فى مصر فقط ، وانما فى صفوف الرأى العام البريطانى .

فكان من المهم التركيز عليهم بوصفهم « مخربين » و « فوضويين » ، ومرتكبى حوادث الاحراق وقتل المدنيين العزل فى القاهرة . .

وهدف السلطات البريطانية هنا ، هو طمس الصورة المشرقة للكفاح الوطنى المصرى المسلح ، وتجريده من العطف العالمى الذى ناله فى الشهور السابقة . وتأمين القوات البريطانية المحتلة فى منطقة قنال السويس .

● أما اتهام البوليس المصرى بالتقصـير فى أداء مهمتـه يوم ٢٦ يناير ، فكان يهدف الى عدة أمور :

أولها : اثبات عجز الدولة المصرية ، وجهـاز الادارة المصرية عن حماية أرواح الاجانب وممتلكاتهم . . وهو أمر يفيـد الخطة البريطانيـة فى تبرير الوجود البريطانى ، وفى تجميع الدول الاخـرى ضد السلطة المصرية . .

وثانيها : أنه يؤكد مسئولية الحكومة المصرية الدولية عن الحوادث، مما يستخدم فى الحملة ضد هذه الحكومة ، وفى اثارة ضجة حول ما سمى بمسألة التعويضات . . .

وثالثها : أنه يبرر للانجليز فعلتهم الشنعاء ضد قوات بلوك النظام فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير . . بالحديث عن أن الذى أدبناه فى الاسماعيلية ليس بوليسا بالمعنى الذى يعرفه العالم . . انه يتظاهر . . ويشترك

فى الفـــــوضى .. ويتخلى عن واجب حمـــــاية الامن .. بل ويسرق أيضا .. !

ورابعها : أنه الجهاز الذى ارتبط بحكومة الوفد ، ووزير داخليتها فؤاد سراج الدين .. وكل ضرب فيه هو ضرب فى هذه الحكومة ، وفى وزيرا داخليتها ...

وباختصار ، كان الغرض البريطانى هو الاساءة الى سمعة شعب مصر ، والتشهير بقواه الوطنية ، ومكافحيه ، وبوليســـــه ، وحكومته الشعبية ...

وهى أغراض سياسية بحتة ؛ تستهدف تحقيق مصالح الامبراطورية البريطانية ، فى عكس حركة التاريخ .. وبغير ما سند موضوعى من التحقيقات التى اجرتها السلطات البريطانية ذاتها ..

ومن هنا ، فهى أهداف شريرة ٥.. يتوجب، فضحها ، كجزء لا يتجزأ من عملية نقض الموقف البريطانى كله من أحداث حريق القـــاهرة . لانها ، بهذه الصورة ، تكون اداة من الادوات التى استخدمت فى تضليل الرأى العام ، وابعاده عن الوصول الى الحقائق المجردة ، غير المغرضـــة ، حول هذه الاحداث ... وأيضا ، أصبح علينا أن ننظر اليها بوصـــفها **وسائل لتغيير طبيعة الجريمة ، وتقديم فاعلين وهميين ، والتســـتر على المجرم الحقيقى ..**

وكل ذلك ، يجعلنا نتساءل :لماذا ... ؟

لماذا لجـــأت السلطات البريطانية الى هذه الاساليب .. ما مصلحتها فى ذلك ، فيما يخص القضية الاصلية .. ؟

* * *

قبل أن نمضى أكثر ، سنتوقف مرة أخرى عند قضية منطقيـــة قد تطرح نفسها . فقد يقول قائل : .. وما أهمية ذلك كله اصـــــلا ؟ .. ان هذا التقــرير ،و كل الوثائق المرتبطة بحريق القاهرة ،لم يكن لهـــا

دور مؤثر فى الاحداث على النحو الذى تحاولون ــ بطريقة تعســـــفية ، ومبالغ فيها ــ أن تستخلصوا منها . انها جميعها مراســـــلات وأوراق داخلية ، تخص السلطات البريطانية فيما بينها . أكثر من ذلك ... وباعترافكم ... فانها بقيت مغلقة طول السنين الماضية .. لم يفـــــرج عنها الى هذا العام .. فلماذا كل هذا التأويل .. وهل تحاكمون الانجليز على الطريقة التى فكروا بها بينهم وبين أنفسهم .. ! ؟

كلام وجيه . وكان يمكن أن ينسف كل هذه المحاولة لدراسة حريق القاهرة على ضوء الوثائق البريطانية .. لولا أمرين ، تبيناهما من خـــلال دراستنا الشاملة للموضوع ..

الامر الاول : هو أننا ربما ننظر الآن الى هذه الاوراق وما يتضمنه باعتبارها « وثائق تاريخية ».. أو مجرد أوراق محفوظة فى دار الوثائق البريطانية ، لا حول لها ولا قوة . ولكنها فى زمنها لم تكن كذلك . فهـــذه المراســـلات الداخلية بين أجهزة الامبراطورية كانت تعنى : معلومات ، وآراء ، واقتراحات ، وتحليلات ، تنتهى الى مواقف عملية ، اما فى صورة أعمـــال ســـياسية ، أو اجراءات اقتصــــادية وعسكرية وغيرها ..

وكانت هذه الاوراق هى المـــادة الاصلية لنشاط أجهـــزة الدعاية والاعلام البريطانية فى العالم كله ..

وكانت المصدر الذى يمد الدول الصـــديقة لبريطانيا بما يتصـــل بالموضوع ، وعلى أساس ذلك تحدد تلك الدول رؤيتها للأحداث ...

وقد اتضح ذلك تماما من القدر الذى استعرضناه من الوثائق ..

الامر الثانى : هو أن التوجيهات التى تضمنتها هذه التقـــارير والاوراق حول حريق القاهرة ، لم تكن شأنا بريطانيا صرفا . فضـــلا عن أن تكون شأنا بريطانيا داخليا ...

لقد كانت شديدة التأثير فى مثيلتها على صعيد السلطة الملكيـــة المصرية . وتتبع التحقيق البريطانى ، والرسمى المصرى ، يوضـــح أنهما يسيران فى نفس الاتجاه ، الى حـــد التطـابق ، مع هامش من الخصوصية لا يتعلق بالجوهر ، مثل تركيز الانجليز أكثر على الوفد ، بسبب احتدام المعركة بينهم وبين حكومته الاخيرة ، وتركيز القصر على أحمـد حسـين والحزب الاشتراكى ، بسبب طول لسان أحمد حسين على « ذات الملك المصونة » ...

وبعـــد دراسة التحقيق ، المصرى والبريطانى ، نستطيع القول ، ونحن مطمئنين ، أنهما وجهان لعملة واحـــدة . أو أن التحقيق البريطانى كان هو نفسه التحقيق الملكى السرى ، وكان جهـــد النائب العـــام ورئيس نيابة الصحافة حينئذ ، هو التحقيق البريطانى العلنى ..

ثم نتقـــدم نحو ملاحظات أخرى ..

***

فحتى هنـــا دار بحثنا حـــول نقد الاتهـــامات البريطانية للقـــوى الوطنية المصرية .. مع اثبات عدم جدية هذه الاتهامات .. بل وعـــدم جدية التحقيق ذاته .. ونزوعه الصارخ نحو الاغراض ..

لكن .. لقد وجهت اتهامات الى قوى أخرى بأنها هى التى دبرت ونفـــذت حـــريق القاهرة . وأى تحقيق جـــدى لابد أن يشمل جميع المتهمين ..

فقد اتهم الملك بأنه كانت له يد فى الحريق ..

واتهم الجيش .. أو بالذات الضباط الاحرار فيه ، بأنهم هم الذين قاموا بالعملية ..

واتهمت المخابرات البريطانية ذاتها ..

فماذا كان عليه موقف التحقيق البريطانى من هذه الاطراف .. ؟

● بالنسبة للملك ، لم يرد ذكر ، ولا حتى اشارة فى الوثائق ، على سريتها ، واحتوائها أحيانا على انتقادات شديدة للملك .. ولم يوثق هذا الاتهام ولو فى قالب خبرى ..

لمـــاذا تجاهل التحقيق البريطانى هذا الاتهام ، رغم وجـــوده ، ورغم علمهم به بكل تأكيد .. ؟ ربما نعرف الاجابة ، الى حد ما ، من بعض الوثائق التى سنأتى اليها فيما بعد ..

● أما الجيش فكانت الوقائع الخاصة به وفيرة ، ومهمة . فذكر أن سيارات جيش كانت تتحرك على مسرح الحوادث . ودار جـــدل طويل حول الصورة التى التقطت لضابط أثنـــاء حريق كازينو أوبرا . وجرى تحقيق مدنى وآخـر عسكرى مع الضابط الوحيد الذى اشـــترك فى المظاهرات بزيه الرسمى (محمد حلمى عبد الخالق) .. ثم كتب فى ذلك الاتهام فيما بعـد مركزا على جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ومحمد أحمـد من الضباط الاحـرار .. وهو ما سبق أن بحثناه بالتفصـــيل فى الدراسة السابقة ..

فلماذا تجاهل التحقيق البريطانى نهائيا موضـوع اتهام الجيش ، وعلى فرض أن اتهام تنظيم الضـــباط الاحـرار جاء لاحقا ، بعـــد ٢٣ يوليو ؟ .

هل لأن « التكتيك » والسياسة كانا يقتضيان استبعاد الجيش ، فقيادته مضمونة ، ويكفى التركيز على البوليس .. ؟

ربما .. وربما اعتبر الانجليز ــ بالمقاييس السائدة حتى ذلك التاريخ، لأن الامور سوف تتغير بسرعة بعد ذلك ــ ان الجيش جزء من القصر ، وأجهزة الملك ؟

● وماذا عن اتهام المخابرات البريطانية .. ؟

ان الحركة الوطنية المصرية ، والصحافة الوطنية المصرية ، وخاصة روزاليوسف ، تبنت هذا الاتهام منذ البداية . وسجله فؤاد سراج الدين فى محضر تحقيق النائب العام ..

كما ورد ذكره فى الوثائق البريطانية ذاتها مرتين ..

×× المرة الاولى كانت ضمن محضر لقـــاء مستشـــار السفارة البريطانية مع المدعو « فرجانى » بك . حيث قال المستشار فى الفقـرة السادسة من برقيته رقم (١٠١٢/١٥/٥٢ ، بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٥٢ السابق ، السابق الاشارة اليها) :

« قال فرجانى : ان كلا من الشيوعيين والوفد يفعـــلون كل ما يستطيعون لكى يروجوا قصة أن الانجليز هم المنظمـون

الفعليون لاحداث ٢٦ يناير بغرض الاطاحة بالوفد ، الى درجة أن كثيرا من الناس أصبحوا يصدقونها » ..

×× أما المرة الثانية فكانت، أخطر ، لانها جاءت من بريطانيا .. تقول السفارة البريطانية فى القاهرة فى برقية لها بتاريخ ١ يوليو ١٩٥٢ ، موجهة الى المستر انتونى ايدن نفسه :

« ربما التفت نظركم بالفعل نحو مقال حديث بقلم ر.م.بالمدات القائد النظرى للحزب الشيوعى البريطانى تحت عنوان « نضال مصر يتصاعد » والمرفقة صورة منه مع هذه البرقية .

« ان صورا من هذا المقال ، تقع فى أربع صفحات، على قطع عريض ، مع ملاحظة توضيحية بأن المقال ظهر فى الاصل فى مجلة « أخبار وآراء العالم » عدد ٢٢ مارس ١٩٥٢ ، قد وصلت مؤخرا بالبريد الى كل الصحف المصرية الهامة .

« انه لامر مثير للدهشة أن يكون بالم دات على اعتقاد فعلا بأن اضطرابات ٢٦ يناير كانت منظمة بواسطة « عملاء مخابرات .... سرية » . على أنه من ناحية أخرى فان التحليل يبدو لنا تقديرا حقيقيا للوضع هنا ، كما يراه ستالينى متعصب .

« ان النقاط ذات الاهمية الخاصة (فى المقال) هى ، الاقرار بأن حركة التحرير الوطنى قبل ٢٦ يناير كانت تهدد الامبريالية ، كما كانت « تشكل خطورة على وضع كبار ملاك الارض الاقطاعيين المصريين والبرجوازية الكبيرة » أيضا ، النقد للوفد والاخوان المسلمين ، مع الايحاء ضمنيا بأن الجبهة المتحدة ضد الامبريالية سوف يتم تشكيلها بدونهما ، الاشارة الى أن « الظرف ناضج ، بل وأكثر من ناضج من أجل التقدم نحو جبهة وطنية متحدة عريضة » ، التشجيع المقدم للمجموعات الشيوعية المتعددة ، لكى تشكل حزبا شيوعيا موحدا .

« فى برقية السفير العاجلة رقم ١١١ بتاريخ ٢٨ أبريل ، فانه خمن : اذا المكتب السياسى (للحزب الشيوعى) على اعتقاد حقيقة بأن مستوى حركة ذات « طابع جماهيرى » قد تحقق فى مصر أم لا . فاذا كانوا يرون أنها كذلك . فانه يبدو أن أمامهم

الفرصة لكى يقرروا أن الوقت قد حان لمزيد من العمل الفعـــال من جانبهم . وعلى أى حال فلا يمكن الحديث عن أى قدر من التفكير المتفائل يتضمن مقال بالم دات ، لكن عموما فانه يمكن التخمــين بأن الجمــاعات الشيوعية من المنطقى أن تكون راضية بالآفاق المتضمنة هنا .

((اننا نعتزم القيام بمعالجة حذرة لهذا المقال محليا ، بفرض كشف وزعزعة الثقة بتكتيكات الشيوعيين (١) ..)) .

ثم ألحقت السفارة ببرقيتها صورة من مقال بام دات ، الذى نقتطف منه المقاطع التالية ذات الصلة المباشرة بالموضوع :

ـ ((وفى ٢٥ يناير وجهت الامبريالية وعملاؤها مع العسكريين البريطانيين ضربة هجوم وقاموا بمذبحة ضـــد البوليس الوطنى المصرى فى الاسماعيلية . وفى جو التوتر الشديد للشعور العــام والمظاهرات التى نتجت عنه ، قام كل هؤلاء من خلال عمـــلاء المخــابرات السرية والعمــلاء الفاشيين ، بالاحراق المتعمـــد والنهب فى القـــاهرة كذريعة لفرض الاحكام العــرفية واقالة حكومة الوفد)) .

الفقرة الرابعة ، العمود الاول ، الصفحة الثانية .

ـ ((الاعداد للانقــلاب بواسطة الســفارتين البريطانية والامريكية والملك فاروق وجهاز القصر والسلطات العليا فى الجيش كان قد تم منذ زمن طويل قبل اضطرابات القاهرة فى ٢٦ ينـــاير التى اتخذت ذريعة . واقد ظهر ذلك بالفعل من خلال تعيين الملك لاثنين من أشهر الموالين لبريطانيا (حافظ عفيفى وعبد الفتـــاح عمرو) فى جهاز القصر . وفى ٨ يناير كتبت آخر لحظة اليمينيـــة ((قابل النحاس على ماهر فى حفل خطوبة بنت سراج الدين ، وحياه قائلا ((مرحبا بخليفتى)) .وابتسم على ماهر ولم يجب)) .

ـ ((ان على ماهر كان من المعروفين بالتعاون مع المحــور منذ ١٩٣٦ وحتى انتصار الحلفاء . وكان السفير الامريكى على اتصال وثيق بالملك فاروق وبعلى ماهر خلال الايام الســـابقة على الانقلاب)) .

---

(١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـ ملف رقم ٩٦٨٨٤ ، البرقية رقم ١٦١ .

— « ان عملية الانقلاب سارت على نمط مألوف . الاثارة البريطانية فى الاسماعيلية باستخدام المدرعات والمدفعية ضـــــد البوليس الاحتياطى الوطنى المصرى ، المعزول وغير المســلح ، الذى رفض التسليم حتى قتــل منه ٤٦ وجرح ٧٠ . كانت تلك هى الشرارة التى أشعلت النار . « وبدون شك فان المخــربين قد أطلقوا للحركة بواسطة فعل بريطانى » — (الايكونوميست ٢ فبراير) . ســـــخط عام ومظاهرات منظمة ترتبت على ذلك صباح ٢٦ يناير . وبعد الظهر كانت مجموعات صغيرة منتقـــاة (ليست عمالا ولا طلبة) تبدأ الاحراق والنهب ، جاذبة اليهـــا العناصر الفاســـــدة ، مع موقف سلبى عام من السلطات ، حتى وصول الجيش قرب المساء . هذا العمل حمل كل بصمات وكالات المخابرات السرية . وكانت الاداة الرئيسية هى المهيج أحمـــــد حسين زعيم الحزب الاشتراكى المصرى » ان « الاشــتراكيين » المصريين يشبهون الاشتراكيين الوطنيين الالمان أكثر مما يشـــبهون الاشتراكيين الديمقراطيين .وقد بدأ أحمد حسين حياته السياسية كفاشى صريح . وفى الثلاثينيات أقام حزبا سمى « مصر الفتاة » كان نسخة من حركة موسولينى . وكان معروفا بأنه يلقى دعمــا ايطاليا ألمانيا . ان الاشتراكيين كانوا المنظمين الرئيسيين للتخريب الضخم فى القاهرة » (المانشستر جارديان — ٤ فبراير) .

— « ان أحمد حسين ، كما ذكر فى حينــه ، يحصل على تمويل من على ماهر ومن مصادر أمريكية .. » .

— « ان أحداث القاهرة كانت بمثابة « حريق الرايخستاج » بالنسبة للانقلاب الرجعى . وعلى هذه الاسس استخدمت حكومة الوفد فى اعلان الاحكام العرفية ، ثم أقيلت ، واقتيـــد المعتقلين (وفقـــا لتقارير غير رسمية أكثر من ألف فى القاهرة وحـــدها) بينهم معظم قادة حـــركة الســـلم والنقـــابات والمنظمات الديمقراطية (٢) » — الفقرة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ العمـــود الثانى ، الصفحة الثانية .

ورغم أن مقال بالم دات قد وقع فى براثن الدعاية الاســـــتعمارية — الملكية فيما يتعلق بدور أحمد حســـين والحزب الاشتراكى ، الا أننا نلاحظ الفزع الذى أصاب السفارة البريطانية من هذا المقال . لمـــاذا ؟..

---

(٢) نفس المرجع السابق ..

لانه تحدث بوضوح عن أن المخابرات البريطانية هى مدبرة حـــريق القاهرة .. وأن السفارتين البريطانية والامريكية مع القصر هم الذين رتبـــوا المؤامرة فى وقت سابق على يوم ٢٦ يناير .. وأنه ربط بين عملية الاسماعيلية وبين حريق القاهرة ..

وفضلا عن ذلك لانه بريطانى ، على رأس حزب له صحيفة يومية وأخرى أسبوعية .. وله تأثيره فى الاوساط البريطانية ..

وأيضا ، لانه فضح الابعـــاد السياسية للمؤامرة ..

لكن السلطات البريطانية لم ترد على هـــذه الاتهامات ، ولم تصدر بيـــانا ـــ مثـــلا ـــ ضد « الدعايات المسمومة » التى « يروج لهـــا الشـــيوعيون » حـــول « تدبير المخابرات البريطانية لاعمال الشـــغب فى القاهرة » .. وانما عالجت الامر ، بالجرى الى وزير الخارجيـــة لكى يبحث له عن حل مع الســـيد بالم دات وحزبه الشيوعى البريطانى .. ولكى تنبهه الى خطورة التحليل الســـياسى الذى ورد فى المقال ، ومدى انطباقه على الواقع فى مصر . ولكى تبلغه أنها ستعالج الموضوع بحـــذر على المستوى المحلى .. مع شن حملة ضد الشيوعية والشيوعيين .. !

وان كان لنا أن نستخلص نتيجة من هذه الملاحظات ، فهى :

أن السلطات البريطانية ، فى تحقيقها لحوادث ٢٦ يناير ، حصرت اتهامها منذ البداية وحتى النهاية فى الشعب المصرى وقواه الوطنيـــة . ولم تبحث ـــ مجـــرد بحث ـــ أى اتهـــامات ، لاى جهـــات أخـــرى (الملك ـــ الجيش ـــ المخابرات البريطانية) ، برغم ورود تلك الاتاهامات ، وشيوعها ، ومعرفة السلطات البريطانية بها ..

وهو فى حـــد ذاته مسلك غير موضوعى ، يخل بنزاهة التحقيـــق ، ويجعله محدد النتيجة مسبقا .. بما يتفق مع الغرض السياسى البريطانى .. بغض النظر عن حقائق الاشياء ..

على أن ذلك كله شىء .. واثبات الاتهـــام ضـــد المخـــابرات البريطانية شىء آخر ..

فما هى عناصر الاثبات التى تؤكد اتهامنا ضد بريطانيا .. ؟
قبل الاجابة على هذا السؤال ، سنناقش نقطة أخرى هامة ..

* * *

الذين يبرئون الانجليز من تهمـــة حرق القاهرة يقـــولون بأنه اذا كان الانجليز هم الذين فعلوها ، فان ذلك لابد كان جزءا من خطة لاحتلال مصر ...

قال لى حسن يوسف (باشا) وكيل ديوان الملك عنـــدئذ ، وأبرز المدافعين عن هذه الفكرة (٣) :

« اذا كان الانجليز هم الذين فعلوا ذلك فلأى غرض ؟ .. ان الانجليز لا يعملون شيئا الا وفق خطة .. فماذا كانت خطتهم ؟.. القضـــاء على الوضع الذى كان قائما كما تقول ؟ .. فلمـــاذا لم يقـــدموا على عمل يحقق لهم ذلك .. مثل احتلال القـــاهرة وفرض شروطهم ؟ .. ان هذا يؤكد أن الانجليز ليســـوا هم الذين دبروا ونفذوا حريق القاهرة » ..

ثم أكد حسن يوسف نظـــرته مرة أخرى فى مذكراته التى أصـــدرها عام ١٩٨٢ ، حيث قال :

« قال بعض الكتاب والمؤرخين أن للانجليز ضلعا فى حـــريق القاهرة تمهيدا للعـــودة الى احتلالها . ولعل فيما سبق بيـــانه ما ينهض لتفنيـــد هذا القـــول ، وخاصـــة بعد أن تبين أن الجالية البريطانية فى مصر كانت أشـــد الجاليات خســـارة فى الارواح والممتلكات ، ويكفى أن نذكر ما حدث لنزلاء « الترف كلوب » ولشركة الخطوط الجـــوية البريطانية ولبنك باركليز .. ثم ان القـــوات البريطانية كانت فى التل الكبير على مقـــربة من العاصمة منـــذ منتصف يناير ١٩٥٢ ، ولو كان فى نيتهم احتلالها لمـــا بادروا قبل الحـــريق بأيام والى تحـــذير الحكومة المصرية ضـــد الاضطرابات وسؤالها عما اذا كانت قادرة على حماية القاهرة (كما ورد فى شهادة وزير الدولة الأستاذ عبد المجيد عبد الحق فى قضية التحريض على حوادث ٢٦ يناير) وفوق ذلك كله ، فان الانجليز كانوا يعلمـــون ان قوات كبيرة من الجيش المصرى كانت ترابط فى القـــاهرة .. وكانت قادرة على صـــد اى هجوم أجنبى » (٤) ...

---

(٣) شهادة حسن يوسف باشا ــ حريق القاهرة ، قرار اتهـــام جديد ، ص ٨٢١ ــ ٨٢٥ .

(٤) حسن يوســـف ــ « القصر ودوره فى الســـياسة المصرية ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ » ، ص ٣٢٦ ــ ٣٢٧ .

وقد سبق أن ناقشنا هذه الحجة ، ورددنا عليها بأن الانجليز فعلا كانوا سيحتلون القاهرة ، ثم تراجعوا عن ذلك .. كما قال أنتونى ايدن فى مذكراته ..

أما الآن ، فتحت أيدينا كل الوثائق التى تكشف الحقيقة حول هذه المسألة . فماذا تقول الوثائق البريطانية .. ؟

● يوم ٢٨ يناير اجتمع مجلس الوزراء البريطانى . وجاء بمحضر الاجتماع ما يلى :

« وزير الخارجية أحاط الوزارة علما بآخر التطورات فى الوضع المصرى ..

« وكما سبق أن احيطت الوزارة علما يوم ٢٥ يناير ، فان القسمين اللذين تتشكل منهما « عملية روديو » قد وضعا موضع التنفيذ فى ٤٨ ساعة ، بسبب الاخطار الناجمة عن عملية نزع سلاح البوليس الاحتياطى المصرى فى الاسماعيلية ..

« وأن وزير الخارجية قد أبلغ يوم ٢٦ يناير بأن السلطات العسكرية البريطانية كانت مع الرأى القائل بأن موقف الجيش المصرى جعل من الضرورى اعادة النظر فى طبيعة هذه العمليات ، والظروف التى تتم فيها . فعندما وضعت الخطط لتحرك القوات البريطانية نحو القاهرة لحماية البريطانيين وغيرهم من المقيمين هناك ، فانه قد افترض أن الجيش المصرى لن يكون معاديا . لكنه فى الايام القليلة الاخيرة تنامى التعصب فى مصر ، وأصبح من المحتمل أن يقاتل الجيش المصرى فى حالة تنفيذ « عملية روديو » . ومن حيث تنظيم القوات المصرية ، فان هذا التغيير جعل وضعنا فى قنال السويس — فى حالة قيامنا بعمليات ضد القاهرة — محاطا بقدر من القلق . وفضلا عن ذلك ، فان القوات البريطانية سوف تأخذ وقتا أطول عما كان متوقعا حتى تصل الى القاهرة ، وخلال هذه الفترة فان المقيمين البريطانيين سيكونون فى خطر شديد ، خصوصا وأن القوات المصرية الآن تنتظر أمرا فى القاهرة ربما للتحرك لمقاومة تقدمنا ، تاركة الاختلال فى المدينة بدون سيطرة . وبالنسبة لعملية الاسكندرية (القسم الثانى من « عملية روديو ») ، فان القائد العام يرى الآن أنه فى حالة تنفيذها فانه يجب تغيير طبيعتها ، لتصبح

عملية اجــلاء للمقيمين البريطانيين تحت اشراف عســكرى .
وعندما يتم ذلك ، فان علينـــا أن نترك الاسكندرية ،لتســتخدم
قواتنا الرئيسية فى تعزيز وضعنا فى منطقة القنـــال ، ولتســـهيل
العمليات المحتملة ضد القاهرة ..

« انه من حسن الحظ أنه لم يكن من الضرورى خلال نهاية
الاسبوع الماضى أن يتقرر خلال الظروف المتغيرة تنفيذ أى من قسمى
عملية روديو ..
« فى الوقت الراهن ، فان الجيش المصرى المصرى أعاد
النظام فى القاهرة .
« ان خطوات قد اتخذت من خلال قنوات الولايات المتحـــدة
لكى يكون واضحا لملك مصر أنه اذا قطع المصريون علاقاتهم بنا ،
أو طردوا على نطاق واسع مشروعات بريطانية ، فانه لن يكون
أمامنا خيـــار الا أن نفرض عقوبات اقتصـــادية صـــارمة .
وفى ذات الوقت ، فان الملك غير حكومته . وليس معروفا ما الذى
سيكون عليه موقف الحكومة الجــــديدة . ربما يكونون راغبـــين
فى التفاوض ، أو ربما يستمرون على اقتراحات قطع العـــلاقات
ويطردون المشروعات البريطانية كما كانت ســـتفعل الوزارة
السابقة . وقد أرســـل وزير الخارجية رســالة الى السفير
فى القاهرة (البرقية رقم ٢٠٩) بما رأته الوزارة وما صـــدقت
عليه . وهده البرقية خولت السفير لكى يؤكد استعدادنا لمباشرة
المحادثات على أساس مقترحات الدول الأربع (بريطانيا وأمريكا وفرنسا
وتركيا) ، (اذا دعت الحكومة المصرية لوقف النشاطات الارهابية
(أعمال الفدائيين) ، وحالت دون المزيد من الاجراءات المضـــادة
للمصالح البريطانية) . والمضى بالعمل للاستعدادات ــ فى اطار
مقترحات الدول الاربع ــ التى سوف تؤدى الى التوالى التدريجى
للقوات المسلحة المصرية لمسئولية الدفاع عن قنال السويس .

« وقد أفاد رئيس هيئة أركان حــــرب الامبراطورية بأنه
فى حالة القيـــام بالمزيد من النشـــــاطات العسكرية فى مصر فانه
بالتأكيد سوف تكون هناك حاجة للمزيد من القـــوات ، علما بأنه
ليست لدينا أى قوات اضافية لنرسلها الى هنـــاك ،حيث أن
الاحتياطى الاستراتيجى ، الذى يبقى عادة فى المملكة المتحـــدة ،

(٥) محضر اجتماع الوزارة البريطانية ، جلسة ٢٨ يناير ١٩٥٢ ــ
أعمال الوزارة البريطانية ، المجلة ١٢٨/٢٤ ، ص ٤٥ .

قد ارسل بالفعل الى مصر . وهذا النقص لدينا فى الاحتياطى ربما يشجع الاضطرابات فى أجزاء أخرى من العالم ، التى لن نكون قادرين على ارسال قوات اليها . ويشعر رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية أن هذا وضع لا يمكن قبوله . وفى رأيه أن الحل الوحيد هو استخدام فرق المشاة الاقليمية ، بالتناوب بقدر الامكان ، لكى يتوفر قدر من الاحتياطى الاستراتيجى للاستخدام فى هذا البلد (مصر) » (٥) .

هذا الكلام يعنى :

١ ــ أنه كان مقررا احتلال ليس فقط القاهرة ، انما الاسكندرية أيضا ، فضلا عن مدن القنال الثلاثة وما حولها ، أى مصر كلها .. وأنه كانت توجد خطط عسكرية جاهزة بذلك (خطة روديو موضوعة منذ زمن طويل) ، وأنه على أثر عملية الاسماعيلية ، كما يقولون ، والارجح أنه قبل تنفيذ عملية الاسماعيلية ، كانت خطة عملية روديو موضوعة للتنفيذ الفعلى والفورى ..

٢ ــ أن الامبراطورية ــ تأكيدا لجدية التنفيذ ــ حشدت كل قواتها الاصلية والاحتياطية من جميع أنحاء العالم ، بحيث شكل ذلك التركيز للقوات فى مصر ، اخلالا بأوضاع القوات البريطانية ، وأصبح يهدد مصالح الامبراطورية الدولية ..

٣ ــ أنه لم يمنع ذلك الا ظهور عوامل جديدة ، هى : تغير المشاعر فى الجيش المصرى ، وتنامى روح العداء لبريطانيا بسبب مذبحة الاسماعيلية . وسيطرة الجيش على الموقف ، أى سيطرة الملك . وذهاب الحكومة الوفدية .

ولسنا ندرى أى سبب يدعو رجلا مثل حسن يوسف ، يفترض أنه ، بحكم موقعه ، أكثر من يعرف أخبار وأسرار القصر وما حوله ، لكى ينفى بهذه الصورة القطعية نية الانجليز لاحتلال القاهرة ، ويقول لنا فى الفقرة السابقة للفقرة التى أوردناها من قبل ، أنه :

« بينما كانت القاهرة تشتعل ٢٦ يناير سرت اشاعة (!) بأن الانجليز يستعدون لاحتلال العاصمة .. ووصلت الاشاعة الى علم الملك ، فأوفد على الفور عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن ــ وكان

---

(٥) محضر اجتماع الوزارة البريطانية (CAB) ، المجلد ١٢٨/٢٤ ، ص ٤٥ .

منتدبا للعمل فى القاهرة (كانت حكومة الوفد قد سحبته ، فعينه الملك مستشارا فى القصر) — لمقابلة السفير البريطانى ليسأل عن صحته الانباء ، **وتلقى منه تكذيبا قاطعا لتلك الاشاعة .. »** .

بينما الذى حدث هو أن الملك علم بنية الانجليز تحريك قواتهم ، فانزعج (بعد أن تذكر حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ عندما حاصرت قصره الدبابات البريطانية ، وفرضت عليه تغيير الحكومة) ، واستدعى السفير الامريكى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ٢٦ يناير ، وكانت النيران على أشدها ، والجيش لم ينزل بعد الى العاصمة ، وأبلغه بما سمعه ، وكان غاضبا جدا من الانجليز . وقد أبلغ جيفرسون كافرى زميله سفير بريطانيا بذلك ، فأرسل الاخير برقية ، أرسلها الى وزارة الخارجية الساعة ٤ر٠٧ ، قال فيها :

« ١ — السفير الامريكى (أكرر « الامريكى ») استدعى لمقابلة الملك فاروق الساعة ٤ بعد الظهر .

٢ — اندفع الملك فى هجوم عنيف ضد البريطانيين . قال أنه قلق تماما بسبب خطورة الوضع . وان الجيش يتحرك الى القاهرة لاعادة النظام . وأنه كانت هناك عناصر سيئة بين المشاغبين . وأن الجيش سوف يطلق النار (٦) ... » .

لم يكن اتجاه الانجليز لاحتلال القاهرة ، والاسكندرية ، اشاعة وانما حقيقة . والتكذيب القطعى الذى نقله عبد الفتاح عمرو عن السفير البريطانى ، ونقله عنه بدوره حسن يوسف ، كان هو ذاته كذب ...

فالسفير البريطانى نفسه (والذى سبق أن تتبعنا تحركاته فى هذا الوضع يوم ٢٦ يناير — الفصل الرابع) يرسل الى وزارة الخارجية ، يوم ٢٧ يناير ، الساعة ٤٧ر٦ مساء ، ببرقية ذات طبيعة سرية خاصة ، يقول فيها أن الجالية البريطانية تقدم وجهة نظر مقنعة ضد تنفيذ عملية روديو ، هى ، أنه ما دام الوضع الحالى « ممسوك » ، وأنه طالما ان الجيش المصرى يتحمل الآن مسئولية الامن ، وأن البوليس لم يعد كما كان من قبل ، فان أى هجوم خارجى يمكن بسرعة أن يؤثر فى وضعها ،

---

(٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ١٧٤ .

بما لا يدع حائلا بين مثيرى الشغب من ناحية والجـــالية البريطانية من ناحية أخرى...

ثم يضيف السفير :

« وعلى أى حال ، اذا اتجه الوضع هنا للتدهور المفاجىء ، بما يجعل الجيش لا يستطيع تأدية مهمته ، فان تدخلا سريعا ، ومفاجئا ، سوف يصبح أمرا أساسيا » (٧) ...

لقد ظلت مسألة تحريك القوات البريطانية لاحتلال القاهرة مطروحة على جدول أعمال السلطات البريطانية ، ليس فقط يوم ٢٦ ويوم ٢٧ يناير.. وانما بعد ذلك أيضا ..

وقد ناقشها السفير البريطانى مع زميله سفير فرنســا فى مصر ، وأرسل تقريرا بذلك . وكان لدى السفير الفــرنسى بعض الملاحظات ، على ضوئها أرسلت الخارجية البريطانية ببرقية جوابيـــة يوم ٢٨ يناير ، تقـــول :

« سير وليام سترانج أعطى اهتماما خاصا الى برقيـــة القاهرة رقم ٢٠٣ (و جهة نظر السفير الفرنسى) ولبرقيـــة السفير رقم ٩١ .

« ان النقاط الاساسية التى يمكن استخلاصها من هـــذه البرقيات ، هى :

(أ) أكبر استثمار لنا فى مصر هو معـــامل تكرير شـــل ، وحقول البترول الانجلو مصرية ..

(ب) مصلحتنا الاساسية هى فى القطن ..

(جـ) وربما لا نكون قادرين على المحـــافظة على استمرار العمل فى المعامل ، اذا حدث تدخل بواسطة القـــوات البريطـــانية ، واذا قطع وصـــول المنتجـــات من الدلتـــا ...

« ســـير وليام سترانج يأمل أن تراجع البرقيات على ضوء

---

(٧) مجمـــــوعة وثائق وزارة الخارجيـــــة البريطانية ، ملف رقم ٩٦٨٦٢ ، البرقية رقم ٢٠٤ .

هذه النقاط ، وأن تؤخذ بعين الاعتبار ، عند بحث مسألة تطبيق اجراءات اقتصادية ضد مصر » (٨) ...

وحتى يوم ١ فبراير ، وكانت الامور تبدلت تماما ، فان الاعداد لمثل هذا الاحتمال كان مستمرا ، حيث يسجل السير توماس فى تقريره من فايد فى ذلك اليوم أن قوات خاصة قد وصلت الى منطقة قنال السويس ، قادمة من مالطا وقبرص (٩) ... وكان ذلك تنفيذا لما ذكر على لسان رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية فى محضر جلسة الوزارة البريطانية يوم ٢٨ يناير ..

أكثر من ذلك ، فانه بعد تصافى الملك والسفير البريطانى ، بعد أن انقشعت الازمة لصالحهما ، دار حديث مباشر بينهما حول موضوع تحريك القوات البريطانية لاحتلال القاهرة يوم ٢٦ يناير ، سجله ستيفنسون فى برقية رقم ٢٥٩ بتاريخ ٣٠ يناير ..

ويبقى بعد كل ذلك أن نسأل السيد حسن يوسف ومن يرى رأيه : اذا كنتم تنفون أن الانجليز هم الذين دبروا حريق القاهرة ، لانهم لو كانوا، لالحقوه بعملية عسكرية لاحتلال القاهرة .. وهو ما لم يحدث ، ولم يكن فى خطط الانجليز . واذا كان قد اتضح من الوثائق البريطانية أن هذا الفرض لم يكن صحيحا . وأن الانجليز — كما رأينا — كانوا يريدون احتلال القاهرة والاسكندرية ،واتخذوا اجراءات تنفيذ ذلك فعلا ، من قبل حدوث حريق القاهرة ،ولم يمنعهم الا ظهور مستجدات جعلت من غير الضرورى تنفيذ خطة الاحتلال العسكرى ، اكتفاء بما حققوه فعلا بدونه ... وقد رأينا حجمه فى الفصل السابق ...

فأى أساس يبقى لهم لتبرئة المخابرات البريطانية من جريمة حريق القاهرة .. ؟

قبل أن نغلق ملف بريطانيا .. لنرى أين كان الملك فاروق ..

* * *

---

(٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٢ ، البرقية رقم ١٨٠ .

(٩) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٦٣ ، البرقية رقم ٢ .

خلال الاسبوعين التاليين لاحداث ٢٦ يناير ، استقبل الملك السفير البريطانى مرتين ... (!) ..

وفى هاتين المقابلتين دارت بين الاثنين احاديث هامة تناولت كل شىء . فما هى مواقف الملك ، كما عبرت عنها مراسلات السفير .. ؟

● **لقـــاء يوم ٣٠ ينـــاير :**

((استقبلنى الملك بعد ظهر اليوم . وكان قد خفف لحد ما من الحالة المزاجية المتعبة التى ظهرت أثناء مقابلته لزميلى سفير الولايات المتحدة يوم ٢٦ يناير . أخبرنى أنه ومصر كلها يشاركون فى الفـــزع والاسف لمـــا عانيناه كنتيجة لاحـــداث ٢٦ ينـــاير . وأن انفجارا مزعجا ضرب مصر . ووافق معى على أن الشيوعيين هم العقول المدبرة ،و أنهم استخدموا الحزب الاشتراكى . أحد الاشياء الملفتـــة من وجهة نظره انه لم تقع انفجارات فى أماكن أخـــرى فى نفس وقت الاحداث . وهو يرجع الى حقيقـــة أن الشـــيوعيين لم يكونوا بالقـــوة العـــددية الكافية ، لكى يهاجموا بأمل النجاح فى أكثر من مكان واحـــد ، فى وقت واحـــد . وأبدى اعجـــابه الشديد بفاعليته واخلاص الجيش .

٢ ــ وقد افهمت أنه قد سمع باستعداداتنا لتحـــريك قوات نحو القـــاهرة . وأخبرته اننى ســـعيد جـــدا لان الاضطرابات لم تستمر ، ومن ثم لم أتخـــذ القـــرار المزعج بتوصيتكم بأن يتم هذا العمـــل بواسطة قواتنا . وأعطانى تأكيدا قطعيا (عنـــدما قال اننى اقدر بصورة مطلقة) بأنه فى حالة استمرار الفـــوضى الى الحد الذى لا يستطيع معه الاستمرار فى معالجتها ، فانه كان سيبلغنى .. ((اننى لن أطلب شيئا)) ، هكذا قال ، وأضـــاف : ((ولكننى أعد بأن ابلغه اذا خـــرج الموقف من يدى . اننى لم اكن لاتردد أن افعل ذلك يوم الاحـــد ، لو أن الامور تطورت بصورة سيئة)) ...

٣ ــ أعدت على الملك ما سبق أن قلته لرئيس الوزراء حـــول قمع الارهاب (العمل الفـــدائى) فى منطقة القنـــال ، وأبلغته أنه اذا اظهرت السلطات المصرية روح التعاون ، فان سلطاتنا العسكرية سوف تبادلها نفس الشىء ..

٤ ــ أكد لى أن اجراءات سوف تتخذ لاخمـــاد الصـــحف

المتطرفة . أما بالنسبة لأحمــــد حســين (قائد الحزب الاشتراكى المتطرف) فقد طلب منى الا انشغل به كثيرا : انه لن يكون أمرا مفيدا تقــديمه للمحاكمة ، لكن « اجراءات أخــرى سوف تتخذ » . وأن عددا لا بأس به من المنقلين قد تم القبض عليهم . لكن القادة، كقــاعدة عامة ، تركوا احرارا . وأن ذلك حدث ، لانه من المرغوب فيه أن يحركوا انصارهم فى اللحظة الاولى . وأن القادة انفســهم سوف يتم التعامل معهم بسرعة .

٥ ــ ووافق على أن كل شيء يجب عمله لتخفيض درجــة الحرارة . ومن وجهة نظره أنه لن يكون من الحكمة ترك الامور طويلا قبل بدء المفاوضات . قلت أن ذلك لن يكون ممكنا حتى يجرى قمع الارهاب فى منطقة القنــال ، واتجــاه الوضع لان يكون طبيعيــا . وقد وافق على ذلك . واستشرته حول امكانية صدور تصريح من جانب حكومة جلالته كتمهيد لافتتــاح المفاوضات . ورأى أن ذلك سوف يكون تحــركا مناسبا جدا ، فى اللحظــة الصحيحة .

٦ ــ لا الملك ولا أنا ذكرنا السودان . اقترحت عليه ، على كل حال ، انه قد يكون من المفيد أن التقى به فى وقت قريب . وافق .

٧ ــ طوال المحادثة أظهر الملك ــ أكثر مما هو معتــاد ــ صداقة شخصية ومودة نحوى » (١٠) ...

● لقــاء يوم ١٣ فبراير :

« استقبلنى الملك فاروق فى مقابلة بنــاء على طلبى . الموضــوع الاساسى الذى طلبت المقابلة من أجله هو متابعــة الموضــوع المذكور الفقرة ٢ من برقيتى رقم ٢٥٩ (التأكيد بأنه سوف يخبرنى اذا خــرج الوضع من يده) ومحاولة اعادة نوع من الارتباط بين سلطاتنا العسكرية والجوية وبين القوات المسلحة المصرية .

٢ ــ قلت أنه بالرغم من أن تأكيده مفيــد جدا ، فانه بما يؤدى

---

(١٠) مجمــوعة وثائق وزارة الخــارجية البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ٢٥٩ .

فى الواقع الى تأخير وصول قواتنا . وأن ذلك كان ممكنا مثلا حيث الاوضاع كان يمكن أن تكون سيئة ، بينما الاتصالات بيننا غير قائمة . فى هذه الظروف فقد كان من الضرورى لقواتنا أن تتخذ مواقع متقدمة أو تقيم خنادق فى الصحراء بأسرع مما كانت تفعل ، لكى تسرع من وصولها الفعلى عند الضرورة . **وأنه من المرغوب فيه جدا ألا ينظر الى ذلك العمل** من قواتنا بوصفه عملا عدائيا من جانب القوات المصرية . ومن ثم فانه من المهم اقامة نوع من الاتصال غير المظهرى بين القوات البرية لكل منا . وأشرت أيضا الى الحادث الاخير فى العريش ، عندما أطلقت احدى طائرات الاستطلاع البريطانية النار على القوات المصرية هناك . وقلت أن ذلك هو النوع من الامور التى نريد أن نتجنبها . وسوف أكون أكثر سعادة اذا أقيم نوع من الارتباط أيضا مع القوات الجوية الملكية المصرية .

٣ — قال الملك أنه قدر الوضع ، ووافق على الرغبة فى اقامة اتصال . واقترحت أن أرسل خلال بضعة أيام ملحقى العسكرى لمناقشة المسألة مع هيئة الاركان . وافق الملك ، ووعد بأن يعطى التعليمات اللازمة . وفيما يتعلق بالارتباط مع القوات الجوية الملكية المصرية ، رأى أن ترتيبه يمكن أن يكون فيه بعض الصعوبة . لم يوضح لماذا ، لكنه أنهى الحديث بقوله ، أن ذلك سيأتى متأخرا قليلا .

٤ — وقال الملك ، مشيرا الى الوضع يومى ٢٦ و ٢٧ يناير ، أنه أرسل واحدا من ضباطه الموثوق فيهم الى موقع الجيش المصرى على طريق السويس ، وذلك ليرى ما اذا كانت أوامر الملك منفذة . وكانت (الاوامر) أن على الجيش أن يقاوم اذا تحركت قواتنا نحو القاهرة قبل الاوان . **وأن لا (أكرر « لا ») يقاوم ، اذا كان الوضع حقيقة خرج تماما من دائرة السيطرة** . وقال الملك أنه لم يكن يفترض أنهم سيعوقون قواتنا طويلا ، لكنه متأكد أنهم اذا كانوا قد طلب منهم أن يفعلوا لكانوا قد فعلوا بكل ما يستطيعون . وهو فى نفس الوقت قدر امكانية جلب بعض القوات من الحدود الفلسطينية ، ولكنه قرر غير ذلك . وأمل فى أنه ان كان ذلك ضروريا ، فاننا لم نكن لنضع عقبات . قلت ، على العكس ، لقد أرسلت ملحقى العسكرى الى القائد العام قبل الاضطرابات ليسأله ان كان رئيس أركان الحرب المصرى يرغب فى اعادة بعض القوات ، مشيرا الى العرض الواضح الذى كان قد قدم وقبل مبكرا فى نوفمبر (!!) . جلالته كان متأكدا أننا لم نكن لنسبب مصاعب أمام اعادة قوات من غزة فى تلك الظروف . شكرنى ، ووافق على أن ذلك كان برهانا آخر فى صالح اعادة اقامة الارتباط .

٥ ــ فى الحديث عن الجيش عموما ، قال (الملك) أنه كان مقتنعا بأن الوفد لم (أكرر « لم ») ينجح فى افســـــاد لا ضــباط ولا أفــراد يذكرون . كان يوجـــد حوالى ١٢ من الضباط غير الاكفــاء ، وأن هؤلاء ســـوف يطردون . واحـــد منهم قد اشترك فعليا فى مظــاهرة التمـــــرد التى قام بها البوليس الاحتياطى صباح يوم ٦ يناير .

٦ ــ فى الختام عبر الملك عن رضـــاه لسرعة استجابتنا لنـــدائه الخاص بالتجهيزات القتالية »(١١) ..

● وعن نفس اللقاء ، ألحق السفير برقيته السابقة ببرقيـــــة أخرى فى ذات اليوم :

١ ــ « قال الملك ، فى حديث عن الوضع الداخلى ، أن تقـــــدما حدث فى التحقيق حول المسئولية عن أحداث ٢٦ يناير . وأن التحقيـــق امتد حتى الى نشاطات مبعوثين معينين تابعين للسوفيت ، لدى الحكومة دليل على صلتهم بتلك الحوادث . **وأن النزاع مع الوفد كان حتميا ، وأنه رأى أنه ربما تحدث اضطرابات نتيجـــــة له ، ليس غير الجيش يمكن أن يتعـــامل معهـــا** . وأن الاخوان المسلمين لن (أكرر « لن ») يتعـــــاونوا مع الوفد . وأن فؤاد سراج الدين ارتكب خطأ جسيما عندما هاجم الجيش فى محـــاولته تبرير أعماله الخاصة . وأن اعادة تنظيم البوليس لن يمكن اتمامها باستعجال ، الا أن رجالا جيـــدين مشـــغولين فيها ، وســــوف يتم ذلك بسرعة بقدر الامكان .

٢ ــ وقال بصراحة تامة أن لديه قدرا معينـــا من الصعوبات مع على ماهر باشـــا وخصوصا حول مسألة التعيينات ، على أنه أوضــح أنه هو الذى تحمـــــل مسئولية اخراج حكومة الوفد ، ومن ثم فانه يجب الاستماع لوجهات نظره فيما يجب أن تفعله الحكومة الجـــــديدة . وأنه لبعض الوقت ، أبدى على ماهر اشارات تدل على أنه فزع من الوفد ، وهذا الموقف على أى حال تغير فى الايام الثـــلاثة أو الاربعـــة الاخيرة . وأنه طالما أيد البرلمان الحكومة فسيبقى عليه ، ولكن اذا حاول الوفد اثارة المتـــاعب فان البرلمان ســـــيحل فورا ، وســـتجرى انتخـــابات جديدة . وأن حكومة على ماهر بتشكيلها الحالى ليست دائمة على أى حال .

---

(١١) مجمـــــوعة وثائق وزارة الخارجيـــة البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧٢ ، البرقية رقم ٣٦٦ .

انها تعتبر حكومة تهدئة واعادة بناء ، وهى — كما أكد (الملك) — حكومة تستطيع معها بريطانيا أن تصل الى أتفاق سريع . وأنه سيكون من الضرورى فى نهاية الامر تشكيل نوع من المجلس الاستشارى للتصديق على أى اتفاقية يمكن التوصل اليها . لكن تشكيل جبهة وطنية الآن سوف ينسف أى أمل فى المفاوضات .

٣ — قلت للملك أننى كنت أنتظر أن أسمع من على ماهر أفكاره حول استئناف المفاوضات ، وأننى جاهز للتحدث معه عندما يريد . عندئذ قال الملك أن رئيس الوزراء لديه الكثير الذى يشغله فى هذه اللحظة ، أجبت بأننى أدرك ذلك ، غير أننى لا أريد أن تستأنف (المفاوضات) بينما نحن متراجعين الى الخلف . وأنه يبدو أن تقدما معقولا يحدث لتقليل درجة الحرارة وتخفيض التوتر فى منطقة قنال السويس ذاتها . عندئذ سألت الملك عما اذا كان لديه أى أفكار حول الاسس التى ستستأنف على أساس المفاوضات . قال أن على ماهر لديه بعض الافكار . ووافق معى على أنه بقدر ما للدفاع من اعتبار ، فان مقترحات الدول الاربع مرضية ومحددة . قلت أن المسألة الاساسية هى « قاعدة » يمكن أن تمتد بسرعة فى حالة الحرب ، مع دفاع جوى ملائم . وأنه لا فائدة من تفكير مصر فى أن تساهم فى دفاع الشرق الاوسط ، طالما أن البلد ربما كانت محمية من أى هجوم جوى فى الساعات القليلة الاولى من الحرب . أن مصر لا يمكن أن تفعل ذلك وحدها ، كما أنه لا يوجد سبب منطقى لان يكون مثل ذلك النظام للدفاع الجوى ليس مصريا فى المظهر . وافق الملك ، وفى هذا الصدد فانه قد يكون ذا مغزى ذكر أنه قدم قصاصة من الصنداى كرونيكل عدد ٣ فبراير والتى توحى بأن جلالته شخصيا ربما يكون القائد العام للدفاع المصرى فى ظل تنظيم قيادة الشرق الاوسط . وقد سرته الفكرة بشكل ملحوظ . سألته عما اذا كان رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية ذكر له ذلك عام ١٩٥٠ . قال الملك « لا » . اذا كان فعل ، فاننى بالتأكيد كنت تذكرت » (١٢) ...

● وكان السفيران الامريكى والبريطانى قد أجريا تقويما مشتركا لموقف فاروق ، تضمن استعراضا لبعض آرائه ، بعث بها ستيفنسون فى برقية بتاريخ ٣١ يناير ، قال فيها :

---

(١٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية — ملف رقم ٩٦٨٧٢ ، البقية رقم ٣٦٧ .

١ — « ناقشت مع زميلى سفير الولايات المتحدة الليلة الماضية ، التغير السريع فى موقف الملك عن ذلك الذى كان قد اتخذه يوم ٢٦ يناير (انظر برقيتى رقم ١٧٤) . وقد توصلنا الى خلاصة أن الملك ربما كان مخلصا حتى فى كلتا المناسبتين . فيوم السبت بعد الظهر ، بمجرد أن عرف بأن الاضطرابات فى القاهرة كانت نتيجة غضب شعبى بسبب حوادث الاسماعيلية فى اليوم السابق ، وبينما كان زميلى سفير الولايات المتحدة يتحدث معه ، كانت طلقات البنادق فى المنطقة المحيطة غزيرة ، كما أن الجموع كانت تهاجم قسم البوليس قرب القصر ، والملكة ومولودها الحديث كانا فى القصر ، وكانت (كما قال لى الملك نفسه أمس) خائفة الى أقصى حد . وشجاعة الملك — حسب رأى زميلى سفير الولايات المتحدة — كانت مثل شجاعتها . الملك أعطى الاوامر للجيش المصرى بالتدخل ، ولكن لم يكن مؤكدا الى أى حد سيمنعهم النفوذ الوفدى من أن يكونوا مؤثرين . لم تكن لديه ثقة فى البوليس . ومرارته ازاء أولئك الذين يظن أنهم كانوا سبب مأزق (الانجليز) ، يمكن فهمها .

٢ — منذ ذلك الحين ، قد اكتشف أن اضطرابات يوم ٢٦ يناير قد خطط لها بوضوح قبل تنفيذها بزمن ، بواسطة الشيوعيين والمتطرفين الآخرين . وأن العمل البريطانى فى الاسماعيلية يوم الجمعة كان مجرد الذريعة ، من أجل وضع هذه الخطط موضع التنفيذ . لقد كان مشمئزا من سلوك البوليس يوم ٢٦ يناير ، وخصوصا سلوك فصائل البوليس الاحتياطى ، ومن ثم فقد كانت عواطفه من ناحية الاخير محبطة (هذا كان واضحا لى عندما ناقشت معه قتال الاسماعيلية ، أمس) . كانت ثقته فى الجيش قد وجدت التعبير عن نفسها ، وكان هو شديد الاعجاب به . وكان سعيدا جدا بنفسه ، اذ استطاع أن يتخلص من الوفد فى اللحظة التى انحدر فيها مركزهم الى الصفر ، وبعد أن أجبروا على اعلان الاحكام العرفية .

٣— وبشكل عام ، فانه كان خائفا ، فى حالة مزاجية سيئة يوم ٢٦ يناير . ويوم ٣٠ يناير كان قد استعاد هدوءه وثقته بنفسه . انه شخصية متقلبة ، ومشاعره ورغباته دائما عمرها قصير . وعلى العموم ، فانه فى هذه المناسبة قد تلقى درسا قاسيا ، ربما يكون من فوائده أن يأخذ فى المستقبل مسئولياته بجدية أكثر .

٤ — اننى لا أبالغ فى قيمة التأكيد المتضمن فى الفقرة ٢ من برقيتى رقم ٢٥٩ ، ولكنه قد يكون مفيدا فى مساعدتنا على اعادة

صـــياغة أفكارنا ، بالنسبة للعمل العسكرى المحتمل فى الدلتا ، فى حالة الضرورة » (١٣) ....

مما تقـــــدم يمكننا أن نستخلص الملامح الاســـاسية لموقف الملك فاروق :

ـــ فهو يوافق السفير البريطـــانى على رأيه (رأى السفير) بأن الشيوعيين كانوا هم العقول المدبرة لحوادث ٢٦ يناير ، وانهم استخدموا الحزب الاشتراكى . ويبلغ السفير أن الحكومة المصرية وضعت يدها على عمـــلاء الســـوفيت الذين لهم صلة بالحوادث . واذا كان رأى الســـفير الذى تبنـــاه الملك كان مجـــرد عملية سياسية ، لم تصمد عنـــدما تحولت الى مجال التحقيق القانونى ، والى ساحة القضاء بالنسبة لأحمـــــد حسين والحزب الاشتراكى ، فان الحديث عن دور للسوفيت فى حوادث ٢٦ ينـــاير لم يخـــرج عن نطاق الحديث المغلق بين السفير والملك ...

ـــ وهو يقدم للسلطات البريطانية كل الاخبـــار التى تطمئنهـــا : الاجراءات تتخذ لتخفيض الحرارة فى منطقة القنـــال ، ويوافق على ضرورة قمع العمـــل الفـــدائى (أو التخـــريبى الارهابى) ، بينما هـــــذا الملك نفسه ،كان قد أطلق على نفسه ــ نفاقا ــ لقب « الفـــدائى الاول » (!). والصحف المتطرفة (الوطنية) ســـوف يبطش بها . وأحمـــــد حســـين لن تجدى محاكمته (!) ، وانما ستتخذ بشأنه اجراءات (أى مؤامرات) أخـــرى ! ، والقيـــادات الوطنية ستترك لحين ، كمصـــيدة ، لالتقـــاط بقيـــة العناصر الوطنية ! .. والاخوان المسلمون لن يتعـــــاونوا مع الوفد ... والبرلمان الوفدى اذا عارض حكومة على ماهر سيحل فورا . ولا جبهة وطنية . والجيش بخير ، فلم ينجح الوفد فى العمل فيـــــه ، والاثنى عشر ضابطا المرتبطين به يجرى طردهم ...

ـــ وهو مشمئز من البوليس ، وقرفان من بلوك النظـــام . وهو يوافق الانجليز فى نظرتهم لمعـــركة الاسماعيلية ، التى يدينون فيهـــــا مقاومة رجال البوليس الاحتياطى المصرى لقواتهم !!

ويرى أن عملية الاسماعيلية ليست السبب المباشر فى غضـــــبة الشعب يوم ٢٦ ولكنهـــا مجـــرد ذريعة استغلها المخـــربون لتنفيـــــذ خططهم المدبرة .. !

---

(١٣) مجمـــوعة وثائق وزارة الخارجيـــة البريطانية ــ ملف رقم ٩٦٨٧١ ، البرقية رقم ٢٦٦ .

ويطمئن السفير الى أن عملية تطهير البوليس من العناصر الوطنيـة جارية بدقة ، بواسطة رجال يضع فيهم ثقته ..

— ويعبر عن سعادته لانه استطاع أن يطرد حكومة الوفد ، بعـد أن اضطرها لاعلان الاحكام العـرفية ، ويقـول للسفير عبـارة خطيرة ، تستحق التأمل ، هى : « أن النزاع معا لوفد كان حتميـا ، وأنه رأى أنه ربما تحدث اضطرابات نتيجة له ، ليس غير الجيش يمكن أن يتعـامل معهـا » .. وكأنه كان يرتب خطة كاملة ، يصطدم فيها مع الوفد . تحـدث اضطرابات . يستدعى الجيش للعمل . وهو ما حدث فعلا !

— وهو يشجع استئناف المفاوضات ، ضاربا عرض الحائط بقـرار الحكومة والبرلمان وتصديقه هو على الغـاء المعاهدة والتمهيد لقطع العلاقات السياسية بسبب الموقف الامبريالى للحكومة البريطانية ، وهى الاحـداث التى تداعت منـذ أكتوبر ١٩٥١ حتى ينـاير ١٩٥٢ . بل ويوافق على مقترحات الدول الاربع التى رفضتها حكومة الوفد والشعب كله ، وأكثر من ذلك يقبل بسرور بالغ — بل ويتهافت لكى يكون قائد الدفاع المصرى فى ظل قيادة الشرق الاوسط المقترحة من الدول الاربع !

— على أن اخطر ما تعكسه الوثائق هى موقف الملك من مسألة تحرك القـوات البريطانية لاحتلال القـاهرة . فهو مرة يقـول للسـفير أنه مقـدر الموقف البريطانى ، ويأخذ المسألة بروح رياضية . ثم لا يلبث أن يؤكد للسفير أنه لم يكن ليتردد فى طلب القوات البريطانية لو أفلت زمام الامور من يده . وفى مرة أخرى يقول له أن أوامره للجيش المصرى هى أن يقاوم اذا تحركت القوات البريطانية مبكرا (بحيث تشكل هى خطرا عليه) . أما اذا كان التحـرك البريطانى عندما تفلت الامور ، فلا مقاومة .. ولتدخل القوات البريطانية عاصمة مصر وتحتلها . نفس موقف جده الخـديو توفيق !

***
***

بعد هذا الاستعراض للموقف بالنسبة للانجليز والملك .. نحـاول تحديد الامور ...

***
***

= أولا ، بالنسبة للملك :

فبعد ما اتضح من اتفاقه الكامل مع الاستعمار البريطانى ، وتنسيقه التام مع السفارة البريطانية ((والامريكية طبعا) ، فى مجمل السياسات والمواقف المعادية للمصالح الوطنية ، وللحركة الوطنية والجماهير المصرية .. الى حد قبول احتلال مصر بواسطة القوات البريطانية فى سبيل الاحتفاظ بعرشه .. مما كشفت عنه الوثائق البريطانية ..

وبعد دراسة جملة مواقفه وتصرفاته ، ومواقف وتصرفات أجهزته على النحو الذى بيناه فى العمل السابق ..

وعلى ضوء ما جاء بالوثائق البريطانية ، والمذكرات السياسية الحديثة ...

نضيف الى اتهامنا السابق له بالتواطؤ ، الوقائع التالية :

١ ــ ان قوله للسفير البريطانى : « ان النزاع مع الوفد كان حتميا ، وأنه رأى أنه ربما تحدث اضطرابات نتيجة لذلك ، ليس الا الجيش يستطيع العامل معها » ويعنى أنه **يعد لانقلاب على حكومة الاغلبية** الشعبية التى جاءت الى الحكم نتيجة الانتخابات . وأنه تحديدا **سيستخدم الجيش فى هذا الغرض .**

وهنا ترد ثلاث وقائع ذات مغزى :

● **الواقعة الاولى :** ذكر السفير البريطانى ، أنه عرض على القيادة المصرية « عرضا واضحا » ، بتسهيل اعادة بعض القوات المصرية من منطقة الحدود الفلسطينية أو غزة . وكان ذلك فى نوفمبر سنة ١٩٥١ .

الآن تبدو هذه الواقعة مهمة فى سياق كلمات الملك . ففى نوفمبر هذا ، كانت المعاهدة قد ألغيت ، واضطر الملك للتصديق على الالغاء . وكانت حركة الكفاح المسلح المصرية ضد قوات الاحتلال قد بدأت . وكانت حكومة الوفد والحركة الشعبية تواصل تحديها للانجليز والقصر ..

لماذا تقدم السلطات البريطانية فى هذه الظروف عرضا بتسهيل

اعادة بعض قـــوات الجيش ، ويقبل ذلك من جانب قيـــادة الجيش ، اى الملك ؟

هل كانت مصر مهددة من قبل ليبيا أو السودان ! ؟ فى أى غـــرض كان يمكن أن تستخدم هذه القوات ؟ هل تم ذلك بمعرفة الحكومة الوفدية ، ووزير حربيتها مصطفى نصرت ؟

لمـــاذا تتفق مصلحة الانجليز والقصر على ذلك .. وضد من ؟

ألا يشـــير ذلك الى نية الاثنين الى احداث انقلاب ســـياسى .. ضـــد الشعب وحكومة الاغلبية .. باستخدام الجيش ؟

● **الواقعـــة الثانية** : أن الملك يومى ٢٤ و ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ ، أقدم على عمل استفزازى بكل المعايير ، وهو تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى ، وعبد الفتاح عمرو مستشارا له .

وحافظ عفيفى كان له رأى معلن ضد الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، ومع التحـــالف مع بريطانيا . فضـــلا عن تعيين رئيس الديوان الملكى يجرى عادة بالتشاور بين الحكومة والقصر ، ويشترط فيه — أدبيا قبول الحكومة ، لخطورة المنصب وأثره فى العلاقة بين الملك والحكومة . أما عبد الفتـــاح عمرو الصـــديق الحميم لبريطانيـــا وسفير مصر فى لندن ، فقـــد كانت الحكومة قد سحبته ، كاشارة الى عدم قبـــول التحـــديات البريطانية للمشاعر الوطنية المصرية فى منطقة القنال . لكن تحـــديا للحكومة ، وارضاء لبريطانيا ، عينه الملك مستشارا عنده .

وقد رد الشعب المصرى على هذا التحدى بمظاهرات عارمة فى كل من القاهرة والاسكندرية ، ارتفع فيها واحد من أروع الشعارات السياسية ، لانه كان ضد الملك مباشرة ، مع صياغة ذكية ، هتفت به الجماهير طوال اليومين ، وهـــو « يسقط عفيفى .. وحافظ عفيفى » اشـــــارة الى أن « حافظ » عفيفى هو الملك ..

وأراد الملك أن يكون تحديه أكثر اثارة . فعين الاول يوم ٢٤ ديسمبر ، فهاجت الدنيـــا .. فعين الثانى يوم ٢٥ ديسمبر . ولم يكن لهـــذين التعيينين من سبب أو ضرورة ، الا تحدى الوفد ، والوصول بالنزاع معه الى نهايته الحتمية .. حتى يحدث الاضطراب .. ويتدخل الجيش ..
وهكذا نتبين الرباط بين الواقعة الاولى ، والواقعة الثانية ..

● **الواقعــة الثالثة** : اشتعلت الحرائق فى قلب القاهرة منـــذ الساعة ١٢،٢٧ . وظلت المـــائدة الملكية تسير وفق ما رسم لهـــا ، حتى تغـــدى الضباط ، وشاهدوا وجه ولى العهد ، وأكلوا الحلوى ، ووقفوا مشدودين ، رافعين أيديهم بالتحية للسلام الملكى .. وخرجوا من القصر بعد الثانية والنصـــف . لينزل الجيش الى المدينة الساعة ٤،١٥ (سبق أن حللنا كل ما يتصـــل بهذه المأدبة الشريرة) ..

واستقبل الملك المستر كافرى السفير الامريكى الســـاعة الرابعـــة بعد ظهر ٢٦ يناير . وبينما الحرائق على أشـــدها . والجيش لم ينزل بعد الى العاصمة . والملك لديه بعض الهواجس من احتمال وجـــــود نفوذ وفدى فى الجيش قد يفســـد ما دبره .. قال الملك للسفير الامريكى عبـــارة هامة ، نقلها السفير البريطانى فى برقيته رقم ١٧٤ السابق الاشارة اليها

« ٣ — قال الملك أنه استدعى ٨٠٠ من ضـــباط الجيش هـــــذا الصباح الى القصر ، وألقى فيهم نطقا ملكيا . **ووصف (الملك) النتيجـــة بأنها مرضية »** .

وقد سبق أن أوردنا النطق الملكى هذا ، الذى قال فيـــه الملك أنه فكر فى الغـــاء هذه المأدبة بسبب أحداث اليوم ؛ الا أنه عدل وفضـــــل أن يحتفظ بجميع الضباط (جيش وبوليس ومطافى ومرور وبلوك نظام « لمـــا لهم فى نفســـــه من مكانة » ، و « لرغبتـــه فى أن يتحـــدث اليهم » .. وقد تحـــدث اليهم عن « الضبط والربط » ، و .. « ان البـــلاد تجتـــاز مرحلة دقيقة ، **وقد تمـــر بهـــا مرحلة أشـــد وأقسى** ؛ فليذكر كل فرد منكم هذه الحقيقـــة ليكون مستعدا دائما لاداء واجبـــه عندما يدعى اليه » .. و « ان ما يحـــدث اليـــوم فى البلاد من شـــغب (نفس مصطلح الانجليز !) فلا يفيـــد الا أعداء الوطن . **ويجب أن تصدر جميع أعمالنا عن تدبر لا عن ارتجـــال ، فلكل شىء وقتـــه ولكل عمـــل مناسبته** . وعندما يطلب من أى ضابط أن يقوم بواجبه فأنا أعرف تمـــاما شـــعوركم وأعلم أن كل ضابط يدخـــر جهـــده للوقت الذى يدعو فيـــه داعى الوطن .

فضلا عن كل ما سبق أن ذكرناه حول سلوك الملك فى هذه الساعات الحرجة ، فانه الآن يتضح أن الملك كان يدخر جهـــد ضباطه (الجيش) لمهمة أخـــرى غير مهمة اخمـــاد مؤامرة حريق القاهرة .. هذه المهمـــة هى مواجهة احتمالات للصـــدام مع الوفد (أى مع الشعب) .. والتى لم تكن واضحة حتى تلك الساعة ..

وقد ارتاح الملك لاستجابة الضباط لنطقه الملكى ، واعتبرها نتيجة مرضية ..

وهذا تأكيد جديد للاتجاه الذى كان يريد الملك أن يستخدم فيه الجيش .. وضد من .. ومتى ... ! ؟

٢ ـ وبالنسبة للمأدبة الملكية لضباط الجيش والبوليس ، وموقعها فى أحداث يوم ٢٦ يناير ، تأتى الوقائع الاضافية على ما سبق أن ذكرناه ، من شاهد ملم ببواطن الامور ، وصفه الانجليز بأنه صديقهم الصدوق ، وأنه رجل الملك . وهو نفسه مدير الامن العام ، ثم محافظ الاسكندرية حتى يوم ٢٦ يناير ووزير الداخلية يوم ٢٧ يناير ، الذى أشرف على كل تحقيقات حريق القاهرة .

ما هى الوقائع التى يضيفها أحمد مرتضى المراغى ؟

« فى يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ وجه الملك فاروق دعوة عاجلة الى قائد الجيش وكبار ضباط حامية القاهرة ، وكبار ضباط بوليسها ، لحضور مأدبة غداء فى قصر عابدين حددت لها الساعة الواحدة والربع بعد ظهر يوم ٢٦ يناير ! (الحضور للقصر الساعة ١٥ر١٢ للتجمع ، وتسجيل الاسماء فى سجل التشريفات ـ والحضور ببدلة التشريفة ، وهذا يعنى أن يتوجه الضباط من مقار عملهم الى منازلهم للاستعداد باللبس الرسمى ثم التوجه الى القصر !) وكان غريبا أن وزير الحربية مصطفى نصرت أو وزير الداخلية فؤاد سراج الدين لم يدعيا الى هذه الوليمة التى أقيمت لضباط الجيش والبوليس ..

« ويستوقف النظر كثيرا أن وليمة ملكية حددت بعد ٢٤ ساعة أو أقل من ارسال الدعوة . وأن الدعوة لم تكن مكتوبة فى بطاقات أرسلت باليد أو بالبريد ، بل أبلغت تليفونيا الى قائد الجيش ، الذى أبلغها بدوره الى قواد الوحدات ، الذين أبلغوها الى الضباط . وأن الوليمة بدأت فى الوقت الذى أخذت القاهرة فيه تحترق ..

« والسؤال الثانى : هل كانت مصادفة بحتة أن يدعى جميع ضباط حامية القاهرة الى وليمة تحترق القاهرة فى اليوم المحدد لها ؟ والجواب على ذلك انه يمكن أن تكون مصادفة ، لو أن الدعوة وجهت قبلها بعشرة أيام أو أسبوع على الاقل ، أو أن يوم ٢٦ يناير هو مناسبة من المناسبات كعيد الجلوس أو عيد الميلاد أو عيد ميلاد ولى العهد . ولكن يوم ٢٦ يناير لم يكن مناسبة من هذه المناسبات ..

« ثم سؤال آخر ، وهو : لماذا اقتصرت الدعوة على حامية القاهرة فقط ، ولم يدع اليها كبار ضباط حامية الاسكندرية أو القنال ؟ . .

« وأخيرا ، أليس من الغريب أن تكون الدعوة الى جميع الضباط من صغار الرتب ، وهو ما لم تجر عليه العادة فى القصر الملكى ؟ .. » .

— مذكرات أحمد مرتضى المراغى ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

٣ — ويضيف أحمد مرتضى المراغى واقعتين هامتين :

● « سمعت أن السلطانة ملك (زوجة السلطان حسين ، وكان فاروق يعتبرها بمثابة أم ويستشيرها فى الكثير من الامور) اتصلت بالملك على أثر حادث الاسماعيلية (يوم ٢٥ يناير وسألته عن تفاصيله . ولما أخبرها قالت أن الحادث خطير ، والبلد سائر الى منزلق خطر . فقال لها فاروق أوافقك يا سيدتى . ولكن لابد من ايصالها الى أخطر منزلق حتى يمكن اصلاحها بعد ذلك » ...

● اتصل بى حافظ عفيفى ذات يوم ، وقال انه يود مقابلتى . فقابلته . وما أن سلمت وجلست حتى قال ضاحكا وغليونه فى فمه :

— أنت تاعب نفسك كثير فى موضوع حريق القاهرة ..

قلت : وهل هذا عجيب ؟ وأى شىء أخطر منه ؟

قال : هذا شىء انتهى وفات . والبلد لها مسائل كثيرة أخرى تستحق النظر أكثر من حريق القاهرة . ان كثيرين من موظفى وزارة الداخلية لا يزالون خائفين من أن تحملهم المسئولية . لقد عاقبت بعضهم ممن ثبتت عليه مسئولية التقصير ويكفى ذلك . أرجو أن تقفل ملف حريق القاهرة . هذا رجاء يا أستاذ مرتضى وأنت حر فيما تقرره ..

قلت : يا حافظ باشا . هل هذا رأى شخصى أم هو رأى الملك ؟

فابتسم وقال : لا تنسى انى رئيس ديوانه » .

— مذكرات أحمد مرتضى المراغى ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

وبعد هذه الوقائع ، يدلى المراغى بشهادته وحكمه على مسئولية الملك فى جريمة حريق القاهرة ، من واقع رؤيته القريبة للأحداث :

« .. وخرجت بنتيجة واحدة ، وهى أن القصر كان يتربص بحكومة الوفد للخلاص منها ، وحانت له الفرصة يوم ٢٥ يناير ، حينما اصطدمت القوات البريطانية بقوات بلوك النظام ، فدعيت حامية القاهرة بجميع ضباطها الى وليمة القصر يوم ٢٦ يناير . وانبث دعاة القصر يحرضون جنود البوليس على الثورة ، ويرسلون جنودا وضباطا من الجيش للاشتراك فى التظاهر . وبذلك أصبحت القاهرة صباح ٢٦ يناير خالية من أية قوة نظامية تحفظ الامن . ولما انتهت مأساة الحريق خرج الجيش ، وبدأ خروجه فى الساعة الخامسة من مساء اليوم المذكور ، ولم يطلق النار حتى الساعة الحادية عشر ، بعد أن تم الخراب والدمار » ..

ـ مذكرات أحمد مرتضى المراغى ، ص ١٢٨ .

هذه هى الوقائع الجديدة بالنسبة للملك ...

* * *

= **ثانيا : وبالنسبة لبريطانيا :**

١ ـ أكد التحقيق البريطانى :

ـ أن الذين قاموا بعمليات الاحراق كانوا جماعات أو عصابات محدودة العدد ..

ـ وأن هذه العصابات كانت منظمة ، وكان تنفيذها لمهماتها يتم « بنظام لم يعرف فى تاريخ الشعب المصرى » (!) ..

ـ وأنه ليس لدى أحمد حسين وحزبه الاشتراكى الكفاءة لمثل ذلك ..

ـ وأنصار السلام حالهم ليس مختلفا عن الاشتراكيين ..

ـ وعندما خمنوا احتمال قيام الشيوعيين المختفين فى حركة السلام بالعملية ، لم يطيلوا التخمين ..

ــ ولما ذكروا الجنـــاح المعارض فى جمـــاعة الاخوان ، كان مجرد ظن ..

ــ وفى اشارتهم لفؤاد سراج الدين ووقوفه وراء أحمـــد حسين ، خلطوا بين مواد وأدوات الحـــريق ، وبين أسلحة وذخائر القتال فى قنال السويس ..

أى أنهم حددوا أن العملية مدبرة ، ومنفذة بواسطة فرق خاصـــة (ليست من المظــــاهرات ، ولا من الرعاع ، ولا من جموع المواطنين ، كما سبق أن أوضحنا من تقـــريرهم) .. ثم فى نفس الوقت ، فانهم ، عمليا ، استبعدوا امكانية أن تكون أى جهة من الجهات التى ذكرناها هى التى دبرت ونفذت العملية .. (وان استمروا فى توجيـــه الاتهامات ، للأسباب التى بيناها ، وهى الاسباب السياسية) ..

ووصف تقـــــرير لجنـــة التحقيـــق البريطـــانية قـــادة العصابات . وقد بينا القصـــد من هذا الوصف ،الذى لا يخرج عن محاولة سلطات الملك ، والتى كشفنا مدى الزيف والتزوير المتعمد فيها ..

لكن ، يلفت النظر فيما ذكره التقرير البريطانى فى وصف هـــؤلاء « القادة » ، أمران :

ــ يقول التقرير ، فى الفصل الثالث ، ص ٦ :

« ان السرعة التى اقتحمت بها بعض المبـــانى ، والتى جمعت بهـــا المواد القـــابلة للاشـــــتعال حتى فى طابقين أو ثلاثة ، والسرعة التى أشعلت بها النيران ، كل ذلك تعتبره اللجنـــة شـــاهدا على أنه ، بالنسبة لبعض العصابات على الاقل ، فانها كانت تضم واحـــــدا أو أكثر على معرفته بالمبنى ، والنقط الحيوية التى ينبغى الهجوم عليها » ...

فمن هم هؤلاء الذين كانت تضمهم عصابات الاحراق ، ويعـــــرفون الاماكن المراد حرقها من الداخل ، وبهذه الصورة الفنية .. ؟

قد يقول قائل : ربما من الخدم .. أو العاملين فى المكان ..
لكن ذلك مستبعد ، لسببين :

الأول : أنه لو كان ذلك واردا ، لذكرته اللجنة . فليس من الغريب أن يكون ضمن الاخوان أو الشيوعيين أو الاشتراكيين أمثال هـــؤلاء .

كما أنه كثيرا ما تعتمد العصابات عند ارتكاب جرائمهـا على أشـخاص يكون تواجدهم فى المكان طبيعيا ، يمدونها بالمعلومات التى تفيـد فى تخطيط الجريمة .

أما السبب الثانى : فان التقرير ملىء بالاشادات بالعاملين والخـدم (وكان معظمهم من النوبيين عندئذ) ، وكيف أنهم كانوا يبذلون جهـودا مضنية لمنع الحرائق ، وانقاذ حيـاة الناس ..

فمن هم اذن ؟

— ويقول التقرير ، فى الفصل الثالث ، ص ٨:

« وفى شارع عدلى عموما ، كان معظم الذين يشاركون فى الهجمات ، أشخاص مهندمون ، يلبسون على الطريقة الأوربية ، وهناك عدد من التقارير تقول أن أولئك الرجال كانوا يتكلمون لغـة انجليزية جديدة » ..

العبارة واضحة فى تحـديد أن الذين كانوا يتكلمون اللغة الانجليزية عددهم غير قليل . وأنهم ليسوا فقط « قادة » ، لأن قائد كل عصـابة لن يتكلم باللغة الانجليزية مع نفسه ، أو مع الرعاع الذين يتجمعون حول عصابته وانما طبعا مع أفراد هذه العصابة .. وقادة وأفراد العصابات الاخرى .. وأيضا فى تأكيده على أن هؤلاء كانوا يتكلمون لغة **انجليزية جيـدة** ، وهو تأكيـد نتج عن عن ملاحظة متميزة ومدققـة لحديث عصابات الاحراق ..

فهل هو أمر طبيعى أن يتحدث الاخوان المسلمون ، والاشتراكيون ، والشيوعيون ، بالانجليزية ، وهم بين ناسهم (على فرض أنهم الذين كانوا يحـرقون !) ، ويعملون — طبعا — فى ظرف بالغ التوتر والعصبية ..؟

وهل هو طبيعى وعادى أنه عنـدما يتكلم اناس من نوع « أحـد موظفى شركة مصر للطيران » ، « رجل فى ملابس أوربية يستثير الناس » و « رجل من نمط كتائبى » و « رجـل يرتدى جلبابا كاكيا وعمـامة » و « رجل يرتدى بنطلونا أزرق اللون وقميصا بنصف كم (فى يناير فى عـز الشتاء !) ويضع اشـارة خضراء على ذراعه » ... الخ . أن يتكلموا باللغة الانجليزية .. وأن تكون انجليزيتهم جيدة ! ؟ ..

٢ — تحدث تقرير لجنة التحقيق البريطانية عن الادوات والمواد

التى توفرت بكثرة فى أيدى عصابات الاحراق وعن نوعيـــة هـــذه المواد والادوات الملفتة للنظر . وقد سبق أن سجلنا هذه الملاحظة نفسها ...

الا أننا سنتوقف عند مادتين فقط من هذه المواد ، كانا أكثر المواد استخداما فى حريق القاهرة :

● **المـــادة الاولى ، هى البـــودرة ..**

أكد التقـــرير على استخدام البودرة الحـــارقة بكثرة ، وتحـــديدا فى حادث سينما ريفولى ، وفى حادث شبرد ، وفى حادث محل سميث وولده — الفصل الرابع ، ص ٩ .

وهذا يعنى أن البودرة الحارقة استخدمت فى حريق القـــاهرة — حسب التقرير البريطانى — منـــذ ثانى حريق أشـــعل بعد أقل من نصف ســـاعة من الحـــريق الأول فى ميدان الاوبرا . وقد ذكر لنـــا الشـــاهد أحمـــد فؤاد ندا ، أنه رأى رجـــلا يحمـــــل « مخلة » بها بودرة حارقة فى حادث كازينو بديعة، وأن هذاا لرجل اتجـــه بعـــــد ذلك نحو سينما ريفولى . والتقرير البريطانى يؤكد أن البودرة التى شوهدت عند سينما ريفولى ، كان يحملها رجل .. مما يرجح أن هذه البودرة قد اســـتخدمت منذ بداية أحداث يوم ٢٦ يناير .. بحريق كازينو بديعـــة .. وشـــــهد عبد الفتـــاح على أحمـــد ، أول ضابط جيش يصل المدينة ، أنه رآها فى ٤ أماكن أخرى . واذا كان ذلك يضيف عنصرا مرجحـــا لفكرة أن حريق القاهرة مدبر منذ أول حريق .. فانه يطرح سؤالا ، هو : أين هذه البودرة .. وبهذه الكميات الكبيرة ؟

لا يعـــرف أنه يوجد بمصر ، خصوصا فى ذلك الوقت ، مكان تباع فيه مثل هذه المادة ..

وقد سألت عنها ضـــــباط الجيش الذين ناقشتهم عام ١٩٧٥ ، فأجابوا بأن هذه المـــادة الفسفورية الحارقة الشـــديدة الاشـــــتعال ، لا توجد حتى لدى الجيش المصرى ..

فمن أين جاءت هذه المـــادة .. وما مصـــدرها — هذا اليـــــوم بالذات — وبتلك الوفرة .. ؟

● **المـــادة الثانية هى بنزين الولاعات ..**

فعلب البنزين الخاصة بالولاعات استخدمت بكثرة يوم ٢٦ يناير ، مما استوقف وكيل النيابة الذى تولى التحقيق فى الجوانب الفنية للحريق (المستشار أحمد فتحى مرسى) ، بعد أن ذكرت تقارير المطافى الكثير عن هذه العلب . وفى تحقيقه مع اليوزباشى عبد الفتاح يوسف العطار (التحقيق مع رجال المطافى ، ص ٤٥ — ٤٦) ، قال الضابط : كنت أشوف البنزين فى أيديهم فى قزايز وعلب بنزين صغيرة من علب بنزين شل التى تستخدم لملء الولاعات . ويسأله المحقق : هل شاهدت هذه العلب مع كل المتجمهرين ، أو مع أشخاص بعينهم ؟ ... فيجيب : أنا شفتها مع كثيرين منهم . وكان بعضهم يربط على وسطه عدة علب « بفتلة دوبارة » أو حزام ، ويستخدمونها الواحدة بعد الاخرى . ويعود المحقق يسأله : هل تستطيع أن تقدر عدد العلب التى شاهدتها على وجه التقريب ؟ فيجيب أنا شاهدت معهم وفى أيديهم حوالى مائة علبة . وهذا ما شاهدته بنفسى ، ولكن ربما كان معهم أكثر .. فان هذه العلب كانت تستخدم بكثرة » ..

المهم أن بنزين علب الولاعات كان أحد المواد الرئيسية فى حريق القاهرة . ومصدر هذه العلب هو شركة شل البريطانية . وقد اضطر المحقق ، ازاء هذا الحضور الكثيف لهذه المادة ،ولانه ثار فى نفسه الشك حول الطريقة التى توفرت بها فى هذا اليوم ومن ثم حول من يمكن أن يكون وراء ذلك ، الى توجيه رسالة رسمية الى ادارة شركة شل يسألها عن ظروف تخزين وتوزيع علب بنزين الولاعات . فأجابت الشركة ، بأن كل شىء يسير بشكل طبيعى ، وأنها لم توزع كميات أكثر من المعتاد فى الفترة الاخيرة . وأكثر ذلك ، أن مخازنها من هذا النوع بالتحديد خالية منذ ستة أسابيع ، قبل يوم ٢٦ يناير ..

وقد تشككنا فى رد شركة شل ، واعتبرناه وسيلة لابعاد الشبهات.. وأنه يتضمن مبالغة مقصودة ، للتضليل ..

لكن المدهش حقا ، أن يأتى تقرير لجنة التحقيق البريطانية ، خاليا نهائيا من اى شىء عن هذه المادة . فلقد أحصى كل شىء ، وبأوصافه واسمائه المختلفة ، الا علب بنزين الولاعات .. !

هل لم يذكرها لهم ولا شاهد ممن استمعوا اليهم ؟

هل لم يصلهم خبرها من دوائر المطافى والبوليس والتحقيق ؟

لماذا تجنبوها تماما ، ولم يذكروها ، ولو عرضا ، فى احدى الشهادات أو الروايات ؟

أهو أمر طبيعى .. أم أن هناك سببا لذلك .. ؟

٣ ــ تقول لجنة التحقيق البريطانية فى تقريرها ــ الفصل الثالث ، ص ٨٠٦ ، الفقرة ٣ :

« ان اللجنة ترى أن منظمى الخطة ، كان فى تخطيطهم اختيار فترة ما بعد ظهر يوم سبت لتنفيذ خطة اشعال النار . وأن المظاهرات التى حدثت صباح يوم ٢٦ يناير ، والتى أشير اليها فى الفقرة العاشرة من الفصل الاول ، أعطت لهم الفرصة لكى ينفذوا غرضهم . ان ذلك الوقت هو بوضوح أنسب وقت . ففى الساعة الواحدة تكون دور السينما ذات العرض الصباحى قد أغلقت أبوابها ، وتكون المحلات الكبيرة ومعظم المكاتب قد اغلقت أبوابها أيضا لعطلة نهاية الاسبوع . وبذلك يكون لدى عصابات اشعال النار حرية فريدة لتنفيذ عملياتها .

« ومن الممكن أيضا أن وجود عدد كبير من ضباط الجيش والبوليس ذوى الرتب الكبيرة فى حفل غداء أقامه لهم جلالة الملك فاروق يوم حوادث الشغب قد استغل من قبل منظمى الخطة عندما قرروا وضعها موضع التنفيذ فى ذلك اليوم » .

بذلك ، تعتبر لجنة التحقيق البريطانية عنصر التوقيت ، واختيار اليوم ، بل والساعات ، مؤشرا هاما فى اثبات التدبيرو التخطيط من ناحية ، ولضمان نجاحه فى التنفيذ من ناحية أخرى ..

وقد اعتبر الانجليز أن اختيار « بعد ظهر يوم سبت » ظرفا مناسبا ، يتيح للمخربين « حرية فريدة لتنفيذ عملياتهم » . وقد سبق أن عالجنا هذه النقطة نفسها ، ولكن من زاوية أخرى ، وهى أن التوقيت « بعد ظهر يوم سبت » كان أحد العناصر المحسوبة ، لان تتم العملية ، بأقل قدر من الخسائر . لانه ، من الطبيعى ، فى ظل الظرف المتوتر يومها ، أن يقدر احتمال أن تتسع العمليات والمعارك ، وأن يشارك ، مع العصابات ، جموع كبيرة من المواطنين ، مما يعرض حياة أفراد الجالية البريطانية وممتلكاتهم لخسائر أضخم بكثير ..

وقد اشارت روزاليوسف فى أعقاب الحوادث الى ذلك ــ وغيره ــ عندما نشرت مجموعة من المعلومات عن استفادة الانجليز من هــــذا الظرف ، وحذرت معظم المسئولين البريطانيين من التواجــــد ابتـــداء من الظهر . وانه حتى بالنسبة للترف كلوب فقد كان يزدحم بالرواد كل يوم ، اما يوم ٢٦ يناير ظهرا فلم يتواجـــد فيه الا عشرة من العجــــائز الذين يبدو انهم لم يحذروا؟ ..

على أن تقرير لجنة التحقيق البريطانية ينتهى الى نفس النتيجــــة التى توقعنا أن تترتب على هذا التوقيت ، حيث يســـجل فى الفقــــرة التالية مباشرة لمــا سبق أن أوردناه ، أنه :

« فيما يتصل بمدى اتساع خطة اشــــعال النيران ، فان اللجنة تلفت الانتباه الى حقيقـــة أن العقارات التى يمتلكها أو يشغلها بريطانيـــون ، لم تكن تمثل الجزء الاكبر من تلك التى دمرت نتيجة لحوادث الشغب » ..

غير أن المسألة المهمة هنــا ، هى : اذ كان عنصر التوقيت له هذا القـــدر من الخطورة .. فان ذلك يستلزم أن نســـال : من الذى حـــدد هذا التوقيت ؟

طبعــا ، لن نتوقف عند الماحكة التى تقـــول أن التوقيت المعنى هنــا هو « بعد ظهر يوم سبت » .. أى : « أى يوم سبت بعـــد الظهر » .. وليس بالضرورة بعد ظهر يوم السبت ٢٦ يناير ..

كما لن نتوقف عند مماحكة أخـــرى بأن الخطة « اســـتفادت » من كذا وكذا .. بما يفكك الارتباط الوثيق والحتمى بين هذه الامور الثلاثة: التوقيت فى ذاته (بمعنى الوقت أو الزمن) .. ووضعه فى الاعتبـــار أو الاستفادة منه .. وتحديده والتحكم فيه ..

فواقع الامر ، أنه فى هذا الــ « بعــد ظهر يوم السبت » الموافق ٢٦ ينـــاير ١٩٥٢ .. تمت مؤامرة حريق القاهرة .. التى أخـــذ بعين الاعتبـــار عنـــد التخطيط لها وتنفيذها ، التوقيت الذى تمت فيـــه ..

فمرة اخرى : من الذى حـــدد هذا التوقيت ، وتحكم فيـــه ، لكى تتم المؤامرة .. وتنجح ؟

بديهى انهم ليســـوا أحمـــد حســـين وحزبه ، او الاخـــوان ،

أو الشيوعيين ، أو أنصـــار السلام ، أو الوفد .. لان هؤلاء ، لم تكن لديهم هذه الدقة فى التحكم فى الامور .. ولم يكن بوسعهم ، بعـــدما علموا بما حدث فى الاسماعيلية بعد ظهر ظهر يوم ٢٥ يناير .. أن يرتبوا كل ذلك ، ليصبح كل شىء جاهزا ظهر يوم ٢٦ يناير .. ولانهم ، حسب تقـــدير الانجليز ، لم تكن لديهم الكفاءة لكى يفعلوا ..

لا يبقى بالمنطق ، والوقائع ، الا :

— أن الذى حدد أن يكون يوم السبب ٢٦ يناير هو يوم الحادث .. هو نفسه الذى فعل يوم الجمعة الشىء الذى لابد أن يخلق غليانا شـــاملا فى اليوم التالى .. والذى قدر أن الغليان سيتصاعد ، يتصـــاعد حتى ظهر يوم ذلك اليوم .. وفى ظهر ذلك اليوم يكون « الوضع أفضـــل » بالنسبة للجالية البريطانية وممتلكاتها .. وبذلك تنطلق النـــار لتصيب غيرنا أكثر .. عدونا .. الحكومة الوفدية وحلفاءها ..

— وأن الذى حـــدد أنه فى ذلك اليوم ، الذى سيبلغ فيه الغضب ذروته .. وتشـــــتد الاضطرابات .. « وتحتاس » الحكومة .. يكون الوقت المناسب تماما لاحتجاز كل ضباط جيش وبوليس البلد .. وحرمان الدولة من أى جهاز أمن .. حتى تنطلق المؤامرة ، وتصـــل الى أقصى مداها..هو الذى قرر أن يقيم المأدبة الملكية يوم ٢٦ يناير الساعة١٫١٥ .. وأن يفعل المستحيل لكى يضبط هذا التوقيت (بالاساليب التى ذكرناها من قبل) .. ويفضـــل ألا يلغيها .. ويمطل الضـــباط فيهـــا أطول وقت ممكن ..

والامران متكاملان : الانجليز نفذوا عملية الاسماعيلية لتحدث آثارها الخطيرة . واختاروا لذلك يوم الجمعة ، لذاته بالنسبة لنجاح عمليـــــة الاسماعيلية نفسها ، ولكى يكون مقـــدمة ليـــوم السبت بعد الظهـــر ، حيث يجرى تنفيذ العملية الثانية ، أو القسم الثانى من الخطة ، وهـــــو حريق القاهرة بكل ما رسم له ..

والملك ، برغم معرفته بما حدث فى الاسماعيلية ، وبنار [illegible] .. وأحـــداث صباح يوم ٢٦ يناير أصر على تنفيذ الجزء الخاص به ، وهـــو اتاحة الفرصة الكاملة أمام المؤامرة ، وعدم اعطاء أى هامش لان يمنع نجاح المؤامرة بسبب البوليس أو الجيش ، فواصل مأدبته الشريرة ..

وبتمام تنفيذ الشقين ، نجحت الخطة . وسقطت حكومة الوفد .

وضربت الحركة الوطنية . وجرى التنسيق على قدم وساق بين الانجليز والملك (كما رأينا من الوثائق) ..

وانتصر الانجليز والملك معا فى هذه المعركة .. القذرة .

٤ — لكن ، قد يقول قائل : مع فرض أن الانجليز والملك هم الذين حددوا التوقيت .. وهم الذين دبروا وخططوا ... الخ تبقى نقطة مهمة : بمن نفذوا .. ؟

هذا السؤال طرح علينا من قبل . وجاوبنا عليه بأن الانجليز كان لهم أجهزة عديدة ، من بينها « جمعية اخوان الحرية » التى كانت تضم مصريين بين صفوفها . هذه الجمعية اتهمتها حكومة الوفد بتدبير وتنفيذ حركة كنيسة السويس ، الذى وصفه عبد الفتاح حسن فى مجلس الوزراء بأنه بروفة لمؤامرة كبرى يدبرها الانجليز (هى مؤامرة حريق القاهرة بعد ذلك !) . وقد اتخذ مجلس الوزراء قرارا بحل هذه الجمعية ..

الآن ، تحت أيدينا وثيقة تشير الى طبيعة هذه الجمعية ودورها ، ونوعية المرتبطين بها . يقول السير رالف ستيفنسون فى برقية له بخصوص هذه الجمعية بتاريخ ١٧ يناير ١٩٥٢ :

● **« تبعا لقرار الحكومة الذى أعلن فى الصحف أمس ، فان هذه الجمعية (اخوان الحرية) قد حظرت . وقد اجتمعت اللجنة المركزية (للجمعية) فى غياب كل من فاى Fay وجاثورن هاردى Gathorntehardy ، وقررت عمل اعلان عام ، انه وفقا للقانون الوطنى المصرى ، فانهم يقبلون قرار الحكومة ، وان الجمعية ستتوقف عن التواجد . أكثر من ذلك ، فان اللجنة توجهت الى فاى ، بأنها سوف تقوم بأعمال أكثر يسرا بالنسبة لهم ، وانهم سيكونون (الاعضاء المصريين فى اللجنة المركزية) أكثر سعادة اذا هو ترك البلاد .**

« اننى أخشى ، بناء على ذلك ، أنه سيكون علينا أن نقبل حقيقة أن هذا التنظيم هو الآن ميت ، أو بأى درجة فى حالة تجميد فى الوقت الراهن .

« اننى أوافق على أن على فاى أن يعود الى الوطن .

لكننى أحاول الابقـاء على جاثورن هاردى (انظـــر برقيتى رقم ٨٤) . لقـد ساعد فى قسم الاســتعلامات منذ منتصــف نوفمبر (!) . ان وزارة الخارجية ربما ، على أى حال ، تقــرر أنه شخص غير مرغوب فيه ، وتسحب تأشيرته . فاذا لم يقبل ، فاننى أقترح أنه يجب أن يرســل الى قســم المعــلومات فى فايد (!) (١٤) ....

* * *

وتبقى نقطة أخيرة بالنسبة لبريطانيا ..

لقد حاولت بريطانيا باستماتة أن تدين الحركة الوطنية المصرية ، وتحملها مسئولية حريق القاهرة ..

وكانت بريطانيا لديها امكانيات هائلة . وكان معهـا الملك (والقصر كله) ، والحكومة (منذ يوم ٢٧ يناير) وقيــادة الجيش ، والبوليس السياسى ، والنيابة ، ووسائل الاعلام ..

وكان كل شيء قد تحول لصالحها ..

بينما كانت الحركة الوطنية مضروبة . قيادتها اما فى الســجون والمعتقلات ، أو فى أقفاص الاتهام ، أو ملاحقين بحمـلات التشــهير القاسية ..

ولم يكن تحت أيديها أى امكانيات لمتابعة التحقيق ..

وكان كل شيء قد أصبح ضد مصر ، وشعب مصر ..

ومع ذلك .. لم تستطع جهود الامبراطورية البريطانية ، ومعهــا السلطة الملكية ، أن تقــدم دليــلا أو برهانا ، يسند اتهاماتها للقـــوى الوطنية .. وبعد اطلاعنا على الوثائق البريطانية ، اتضـــح اكثر مدى سخف وهزلية هذه الاتهامات ..

---

(١٤) مجمــوعة وثائق وزارة الخــارجية البريطانية ، ملف رقم ٩٦٨٧٠ ، البرقية رقم ٨٧ .

أما نحن — الحركة الوطنية — وبفضلا عن كل ما تقــدم .. فقــد ضبطنا بريطانيا « متلبسة » .

ونحن لم نصنع الدليل ضد المخابرات البريطانية . وانما استخرجناه من ملفات تحقيقات السلطة الملكية ذاتها ..

فقد ذكرنا فى الدراسة السابقة (x) : أن شخصا أرسل خطــابا الى على ماهر رئيس الوزراء قال فيه :

« بعــد التحية . أحيط رفعتكم علما بأنى أثناء تجـــوالى بسيارتى يوم ٢٦ يناير الماضى بالقــرب من فندق شبرد وجـــدت سيارة بها سيدة متوسطة القــامة والعمر ، وبجوارها رجـــل متوسط العمــر قصــير القــامة قليلا ، يبــدو عليهما أنهمـــا أجنبيان . ورأيت غلمانا مصريون يحومون حول هذه السيارة . وكانت السيدة والرجل يوزعان نقودا على هؤلاء الغلمان . وكان البعض راكبا دراجة ، والبعض على الاقدام ، الى أن أتت سيارة جيب ، ووقفت بجوار السيارة التى بهــا السيدة والرجل ، وأخذ احــد ركابها الخمسة رزمة أوراق مالية من السيدة .. وانصرفت السيارة الجيب الى شارع فؤاد الاول ، وتلتها السيارة الاخرى ، ثم انحرفت الى شارع الملكة . وقد تبعتهــا بسيارتى فوجدتها ذهبت الى ضاحية مصر الجـــديدة ، ووقفت امام المنزل رقم ٤٣ شارع ســـعيد ، فنزلت السيدة منها ، وصعدت الى الدور العلوى بالفيلا ، وأن الرجــل انصرف بالســيارة فتتبعته . وفى أثنــاء الطريق حاولت أن أعرف رقم السيارة التى كان بها والســـيدة المذكورة فوجدت انه رقم هيئة ســـياسية ومطموس الرقم .. ولم أتمكن للأسف من قراءته .. ولكنه تابع ســيره الى السفارة البريطانية . ورجعت انا بسيارتى ..

« وهذه معلوماتى أردت أن أدلى بها لرفعتكم ، وأرجــو اعفــائى من ذكر اسمى . وتحـــرون رفعتكم بمعرفة السلطة المختصة لتظهر الحقيقة جلية واضحة » .

(x) آسفا أعيد نشر نص هذا الخطاب . من ناحية لاســتكمال منطق هذه الدراسة ، ومن ناحية أخـــرى للتذكرة ، ولمن لم يقـــرأ الدراسة السابقة .

« ملحوظة : سيارة الجيب المذكورة أعلاه بعـد اخذ النقو من السيدة التى بالسيارة الاخرى اندفعت بشـــارع فؤاد ورمه مواد ملتهبة على محلات شيكوريل والعروسة » .

هذا هو الخطاب . وهو يبين أن كاتبـه شخصية مســئولة ذات حس وطنى ويقظة عاليــة . ويبدو أنه برغم عدم ذكر اسمه يحظ باحترام لدى الحكومة . فقد أحال على ماهر الخطــاب على أحمــ مرتضى المراغى فى نفس اليوم ، واحاله المراغى على محمد ابراهيم ام رئيس البوليس السياسى فى نفس اليوم ايضا . ومنذ اليوم التــالى ولمدة ٣٥ يوما وضع المنزل تحت الرقابة . وفى نهاية المدة قدم محمد ابراه أمام تقريرا خطيا دقيقــا عن نتيجة عملية المراقبــة ، وهى حصر شب مخابرات بريطانية مكونة من تسعة أشخاص من جنسيات بريطــانية وايرانية ، وارمنية وثلاث سيارات تستخدمها هذه الشبكة . وحصر الاما التى يترددون عليها وهى : السفارة البريطانية ـ قيادة القوات البريطا فى القنال ـ شركة النقل والهندسة ـ شركة شــل ـ جمعية اخــو الحرية .

هؤلاء هم الذين كانوا يتحركون فى القــاهرة يوم ٢٦ ينـــاير يوزعون النقود .. ويلقون بالمواد الملتهبة ..

وهم الذين يمكن أن يقال عنهم أنهم يعـــرفون الاماكن التى ي حرقها بدقة .. والذين يتكلمون بلغة انجليزية جيدة !

* * *

ها نحن .. وها هم ..

فمن الذى ترجح كفته ... ! ؟

٢٧ فبراير ١٩٨٤

أحـــداث .. وشـــخصيات

احـــــــداث :

● **حريق القاهرة :** يشار اليه أحيانا بحوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وهو اليـوم الذى وقع فيـــه . وأطلق عليه البعض وصف « السبت الاسود » لانه وقع يوم سبت .

بدأ الحريق بحرق كازينو بديعة الســاعة ١٢٫٣٠ ظهرا ، وبعـــد ربع ساعة أحرقت سينما ريفولى ، ثم توالت الحرائق ، حتى الســاعة ١١ مساء . والتهمت ٧٠٠ محل وسينما وكازينو وفندق ومكتب ونادى . أكلت قلب القاهرة ، وامتدت من ميدان الاوبرا الى الاســعاف ، الى ميدان رمسيس ، الى التحــرير .. حتى الظاهر والعباسية .. وشـــارع الهــرم .

ووصفه قائد مطافىء مصر حينئذ بأنه « لم يسبق حصول حرائق مثل هذه فى أى بلد فى العالم .. فى وقت واحد .. ومتعمدة » .

وأسفرت حوادث ذلك اليوم عن ٢٦ قتيلا ، احترق منهم ٢٢ شخصا ، وقتل أربعة برصاص البوليس . وأصيب ٥٥٢ شخصا بجروح وحروق . وتشرد حوالى عشرين ألف شخص . وقدرت الخسائر بأربعين مليون جنيه استرلينى .. أو مائة مليون جنيه مصرى .

وقد حققنا أحداث ذلك اليوم بصورة موسعة فى كتاب (حـــريق القـــاهرة — قرار اتهام جـــديد ، دار الثقافة الجديدة ١٩٧٧) .

● **انتخابات ١٩٥٠ ، والظروف التى صحبتها ، وترتبت عليها :**

جاءت انتخابات ١٩٥٠ (٣ يناير) بعد حوالى سنوات من حكم أحزاب

الاقلية (السعديين والدستوريين) لقى فيها اثنان من رؤساء الوزارات المصرية على التوالى مصرعهما (أحمد ماهر باشا الذى قتل داخل البهو الفرعونى فى « مجلس الشعب » ،ومحمود فهمى النقراشى باشا الذى قتل على باب مصعد وزارة الداخلية) . وفيها أيضا دبر مصرع الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين . وشهدت كبتا شديدا ، وأعمال تعذيب للمسجونين السياسيين لم تعرف من قبل فى تاريخ مصر . وأدت الى تزايد السخط الشعبى .. بعد التصاعد الذى حدث فى الحركة الوطنية الشعبية عام ١٩٤٦ ..

أسفرت الانتخابات عن فوز الوفد بـ ٢٢٨ مقعدا ، مقابل ٣٠ للمستقلين ، و ٢٨ للهيئة السعدية (التى كان يرأسها عندئذ ابراهيم عبد الهادى باشا خليفة أحمد ماهر والنقراشى) و٢٦ لحزب الاحرار الدستوريين الذى كان يرأسه محمد حسين هيكل باشا ، و ٦ للحزب الوطنى الذى كان يرأسه حافظ رمضان باشا ، ومقعد واحد للحزب الاشتراكى (امتداد جمعية مصر الفتاة — وحزب العمل الاشتراكى الآن) .

ومنذ فترة الدعاية الانتخابية (فى ظل حكومة حسين سرى باشا المؤقتة) انطلقت الحركة الشعبية تعبر عن ارادة التغيير ، والرغبة فى انهاء الحكم العرفى وحكم أحزاب الاقلية الوثيقة الصلة بالقصر الملكى ، والتى حكمت مصر فى ظل غياب للدستور ولحرية الصحافة .

وباعلان النتيجة ، وفوز الوفد ، اجتاحت البلاد المظاهرات الشعبية. وأخذت الحركة الشعبية تتبلور ، فى تحالف مع الوفد فى خط الدفاع عن الاستقلال ، واطلاق الحريات ، والصراع مع حكومته فى ترددها فى بعض الاحيان ، وفى عدم جذريتها خصوصا على الصعيد الاقتصادى والاجتماعى .

وقد ألغت الحكومة الوفدية الاحكام العرفية فى مايو ١٩٥٠ . وفى مناخ الديمقراطية بدأ احسان عبد القدوس على صفحات روزاليوسف (٦ يونيو ١٩٥٠) حملته الشهيرة على الاسلحة الفاسدة (التى استخدمها الجيش المصرى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨) ، وكان الاتهام موجها الى الملك وحاشيته . بينما ركزت صحف الحزب الاشتراكى (الاشتراكية) وأحمد حسين الحملة على الملك نفسه . وكثفت « الجمهور المصرى » وأبو الخير نجيب جهدها ضد البوليس السياسى وفضائح التعذيب ، وكشف دور المخابرات البريطانية . بينما أخذت صحف الشيوعيين

وانصار السلام « الملايين » و « الكاتب » تنبه الى الاستعمار الامريكى المتسلل ، وصور الاستغلال الاقطاعى والرأسمالى .

وكانت الحكومة قد دخلت فى مفاوضات مع الانجليز من أجل الجلاء عرفت بمفاوضات النحاس — اندرسون . وقد راوغ الانجليز طويلا ، وعرضوا عروضا غير منطقية مثل جلاء القوات البريطانية من منطقة قناة السويس ، الى قطاع غزة ، لتكون على مقربة من قناة السويس لحمايتها .

وقد ضغطت الحركة الشعبية ، التى كانت قد أخذت فى التبلور من خلال المؤتمرات الموحدة للأحزاب الوطنية ، وأشكال العمل المشتركة، حتى أعلن النحاس باشا فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ الغاء معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا من جانب واحد .

ولم يعترف الانجليز بالغاء المعاهدة . وردوا بتشديد قبضتهم على منطقة القناة وعلى الادارة المصرية بها . ورد الشعب على ذلك بالمقاطعة أولا . فامتنع عمال السكك الحديدية المصريون عن العمل مع الانجليز ، وكذلك عمال الشحن والتفريغ فى الموانى . ثم أضرب عمال المعسكرات عن العمل وتركوها ..

وانتقل النضال المصرى الى العمل الفدائى ، الذى أخذ يتطور بسرعة ليصبح حركة كفاح مسلح أزعجت القوات البريطانية . وكان لبوليس مصر فى منطقة القنال ، وخاصة بلوكات النظام نصيب رائع فى هذا الكفاح .

وعندما فشل الانجليز فى معالجة الموقف ، كانت عملية الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ، وحريق القاهرة يوم ٢٦ يناير .

● « اخوان الحرية » :

هى جمعية أنشأها الانجليز فى مصر مبكرا (يقال عام ١٩٣٢) ، وأعلنوا أن هدفها « نشر تفسيرات واضحة عن الديمقراطية ، وشرح أخطار الديكتاتورية وأخطار الشيوعيين خاصة » . وكانت هذه الجمعية تتمركز فى الشركات البريطانية الهامة مثل شركة شل للبترول ، والمكتب الدولى لتوزيع الشاى .وهى الشركات التى لها فروع ومندوبين فى جميع أنحاء البلاد .

وكانت هذه الجمعية تعمل على استمالة المثقفين والكتاب ، وتقدم لهم التسهيلات فى الطباعة والنشر ، وكان لها مطبعة فى شارع محمد على ، ونشرة دورية تحبذ توثيق العلاقات بين مصر وبريطانيا .

وكان لهذه الجمعية رئيس انجليزى هو المستر « فاى » . كما كان لها رئيس مسلم هو الشيخ الزواوى ، الذى كان الانجليز — فيما يبدو — يعدونه لمواجهة الشيخ حسن البنا .

وفى منتصف مايو شنت مجموعة من محررى الجمهور المصرى بقيادة فتحى الرملى هجوما على مقر الجمعية فى بيت السنانيرى الاثرى بالسيدة زينب ، وتمكنوا من الاستيلاء على ماكينات كتابة وأحبار سرية ، وسجلات أعضاء الجمعية الذين بلغوا ٥٠ ألف شخص .

وعلى أثر هذه العملية ، فر الشيخ الزواوى من مصر ، ليظهر فى احدى البلاد الآسيوية (ماليزيا) ليكون « مفتيا » بها !

وقد حلت الجمعية بقرار من حكومة الوفد عام ١٩٥١ بعد حادث كنيسة السويس .

شـــــخصيات :

● **ســـــير رالف ستيفنسون** : سفير بريطــانيا فى مصر فى فترة الاحـــداث . وقد عاش أزمة بريطانيا فى مصر فى ذروتهـــا ، وحتى وقعت أحـــداث ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وكان ديبلوماسيا قديرا ، ويتضـــــح ذلك من الوثائق التى تبين الدور الخطير الذى كان يلعبه حينئذ ، ســـواء فى تكوين شبكة علاقات واسعة وعميقـــة ، ومتابعة كل ما يجـــرى . . أو فى دفاعه عن مصالح الامبراطورية البريطانية .

● **جنرال جورج ارسكين** : قائدا لقـــوات البريطانية فى منطقـــة قنـــال الســـويس (وفى مصر) الذى واجه ظروف احتـــدام الازمة ، وتصـــاعد حركة الكفاح المسلح المصرية .. وتغير دور البوليس والادارة المصرية فى منطقة قناة السويس من التعاون مع قوات الاحتلال — فى عهـــد حكومات الاقلية — الى العـــداء والحرب ضد هذه القـــوات . وهو الذى أشرف علي ترتيبـــــات عملية الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ضد البـــوليس المصرى .

● **جيفرسون كافرى** : سفير الولايات المتحدة الامريكية فى مصر فى نفس الفترة . لعب دورا خطيرا فى توسيع علاقات أمريكا بالقـــــوى الاقتصادية والسياسية المصرية . كان ينسق تنسيقا كاملا مع الســـــفير البريطانى .. وفى نفس الوقت يعد الظروف لكى تحتل أمريكا مكانة بريطانيا فى مصر ، كانت له عـــلاقات خاصـــة بمراكز الاقتصـــاد الاســــاسية (عبود باشا وغيره) ، وبحركة الضباط الاحـــرار ، وكبار الصحفيين . عاصر أحداث ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وضمن حياة الملك فاروق ، وكان فى وداعه فى الاسكندرية بعد تنازله عن العرش يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ . ولعب دورا كبيرا فى السنوات الاولى من ثورة يوليو ..

* * *

● **النحــاس باشــا** : زعيم الوفد المصرى كان قاضيا عنــدما نشبت ثورة ١٩١٩ ، وكان من قادة الحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل . انضم للوفد المصرى الذى تشكل ليكون ممثلا للأمة فى مطالبــة الانجليز بالجلاء عن مصر ، برئاسة سعد زغلول باشا . وخلف ســعد باشا فى رئاسة الوفد بعد وفاته فى عام ١٩٢٧ ، وظل رئيســا له حتى وفاته فى ٢٣ أغسطس ١٩٦٥ . وقد تحولت جنازته ــ برغم عزله سياسيا وابعــاده عن الحياة العامة منذ عام ١٩٥٢ ــ مظاهرة وطنية كبرى .

تولى رئاسة الوزارة عام ٢٧ ، وعام ٣٠ ،وعام ٣٦ ، وعام ٤٢ ، وعام ١٩٥٠ . وكان آخر عهــد له ــ وللوفد ــ بالحكم يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ بعــد حريق القاهرة ، واعلان الاحكام العرفية لاول مرة على يد حكومة الوفد .

أخطر وزارتين رأسهما ، وزارة ١٩٣٦ وكانت وزارة ائتــلافية أو « قومية » ، تضم كل القيادات السياسية المصرية (على تباين وجهــات نظرها) .. التى وقعت معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا . ووزارة ١٩٤٢ التى الفها بعد حادث ٤ فبراير الشهير الذى حاصرت فيه الدبابات البريطــانية قصر عابدين ، وعرضت على الملك فاروق انذارا : اما ان يكلف النحــاس برئاسة الوزارة .. أو يعزل . وكان الانجليز يتخوفون من اتجــاهات الملك وعلى ماهر نحو المحور (ألمانيا بالذات) ، ويريدون حكومة فى مصر لا تطعنهم من الخلف فى مرحلة دقيقــة من مراحل الحرب العالمية الثانية . أثار قبــول النحاس الوزارة بعد الضغط البريطانى جــدلا عنيفــا حول مدى صواب هذا القبول .

● **فؤاد سراج الدين (باشا)** : سكرتير عام حزب الوفد فى هذه الفترة وأقوى شخصية تنفيذية فيه . كان وزيرا للداخلية فى آخر حكومة وفدية ، وتولى الى جانبها لفترة وزارة المالية . انصب عليه أكبر هجــوم بسبب أحداث ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وشن عليه الانجليز والقصر وصــحفها حملة عنيفــة بغرض تحميله مسئولية الاهمال التى ترتب عليه الحريق ، وقد انتهت الحملة بالفعل الى تحديد اقامته هو وعبد الفتاح حسن كما هو وارد فى الوثائق . لعب دورا أساسيا فى فضح دور الملك وقيادة الجيش أثناء الحوادث بالبيان الذى نشره فى جــريدة المصرى يوم ١١ فبراير وصــودرت بسببه الجريدة ، وقد أكد موقفه اثناء تحقيقات النــائب العام معه .

● **محمد صلاح الدين (باشا)** : وزير الخــارجية فى حكومة الوفد

الاخيرة ، لعب دورا هاما فى تحـديد مطالب مصر فى المفاوضات التى دارت بين حكومة الوفد وبريطانيا . وارتبط اسمه باعلان اتخاذ مصر لسـياسة الحياد الايجابى ، ورفض الدخول فى أحلاف عسكرية ، وبصفة ما عرف وقتهـا بالدفاع عن الشرق الاوسط ، أو المقترحات الرباعيـة ، وهى مقترحات تقدمت بها كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسـا ومعها تركيا لربط مصر بمعاهدة دفاع مشترك ، تحل لهذه الدول ، وللقوات البريطانية استخدام قاعدة قنـاة السويس عندما ترى أن مصالح هذه الدول تقتضى ذلك . كانت هذه العروض شروطا من قبل بريطانيا والغرب ، مقابل الجلاء عن مصر . رفض صلاح الدين باسم الحكومة هذه الشروط ، وأصر على الجلاء غير المشروط .

● **عبد الفتـاح حسن** : كان وزيرا للشئون الاجتماعية والعمل فى حكومة الوفد الاخيرة ، وتولى فى فترة عمل وزير الدفاع بالنيابة . كان من أنشط الوزراء فى أحداث تلك الفترة ، فهو الذى حقق حادث السويس الذى أحرقت فيه كنيستها ، وقدم تقريرا اتهم فيه عملاء المخابرات البريطانية بتدبير الحادث ، واقترح الغـاء جماعة اخوان الحرية . وبوصـفه وزيرا للشئون الاجتماعية والعمل ، فقد كان المسئول الاساسى عن رعاية العمال المصريين الذين يهجرون معسكرات الانجليز . وأشرف على اللجنة التى تولت تنظيم المقاطعة المصرية لقوات الاحتلال البريطانية . كان أول وزير يعمل فى ميدان الاوبرا عندما وقع حريق كازينو بديعـة . وهـو الذى خطب فى شرفة مجلس الوزراء ظهر يوم ٢٦ يناير ، واعتبر النـائب العام خطابه المسئول عن تحريض الجماهير على الاحراق .

● **ابراهيم فرج (باشا)** : وزير الشئون البلدية والقـروية فى حكومة الوفد ، وتولى وزارة الخارجية بالنيابة لفترة . كان من أقرب الشخصيات الى النحاس ، ويتمتع بمكانة خاصة بين الاقباط . تحمـل كوزير للخارجية بالنيـابة جزءا هاما من مسـئولية مواجهة التصرفات البريطانية فى الفترة السابقة مباشرة على حـريق القـاهرة ، ويوم الاحداث .

***

● **الملك فاروق** : آخـر ملوك أسرة محمـد على ، وابن الملك فؤاد . تولى عرش مصر عام ١٩٣٧ وعمره ١٨ سنة . رباه وتولى شئون القصر عمليا فى السنوات الاولى أحمـد حسنين باشا وعلى ماهر باشا ، ولذلك سـاد لفترة انطباع لدى المصريين بالاعجاب بالملك الشاب الذى

يحكم مصر شكليا ، وأصبح الذى يتحمل مسئولية سياسة القصر هم من حول الملك ، أى أحمـــد حسنين وعلى ماهر ، وأخذت تظهر للملك نزعات شاذة . كان عربيدا ، محبا للهـــو ،و المـــال .. وقد أحاط نفســــه فى آخر سنوات حكمه بحاشية أثارت غضب الجميع .

خاض فاروق صراعا مريرا ضد حكومة الوفد الاخيرة بالتنســـيق مع الانجليز والامريكان — كما تبين الوثائق — واتهمناه بالتواطؤ فى أحداث يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ على نحو ما هو مذكور تفصيلا فى كتابنا السابق .

تنازل عن العرش — اجباريا — يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، وغادر البلاد ومات فى ايطاليا سنة ١٩٦٥ .

● **حافظ عفيفى (باشا) :** بدأ طبيبا . وانضم للحزب الوطنى ، ثم الوفد ، ثم انشق عنه عام ١٩٢١ ، وانضم لمؤسسى حزب الاحـــــرار الدستوريين ونائبا لرئيسه . تولى وزارة الخارجية فى وزارة محمـــد محمود التى عرفت بوزارة القبضة الحديدية لمعاداتها للديمقراطية . أصـــــبح وزيرا مفوضـــــا لدى بريطانيا ١٩٣٠ — ١٩٣٤ ، ثم سفيرا فيهـــــا ١٩٣٦ — ١٩٣٨ . كان من كبار الرأسماليين ، فكان عضوا بمجـــالس ادارات ٤١ شركة سنة ١٩٥٠ ، ووكيلا لاتحـــــاد الصناعات الذى كان يرأسه اسماعيل صدقى باشا . وكان من أصدق أصـــدقاء بريطـــانيا . عينـــه الملك رئيسا لديوانه يوم ٢٤ ديســــــمبر ١٩٥١ على غير ارادة الحكومة . وكان ذلك التعيين جزءا من خطة التصعيد التى نفذها الملك والانجليز ، وبلغت ذروتها بعملية الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ .

● **حسن يوسف(باشا) :** وكيل الديوان الملكى لفترة طويلة ، وتولى رئاسة الديوان بالنيابة فى الفترات التى لا يعين فيهـــــا رئيس . له وجهة نظر تدافع عن موقف الملك أثناء الحوادث ، ولا تحمـــل الانجليز مسئوليتها .

● عبد الفتاح عمرو (باشا) : شغل منصب رئيس الغـــــرفة التجارية المصرية ١٩٤٠ — ١٩٤٢ ، وملحق مصر ببريطانيا ، ثم سفيرها لديها من ١٩٤٤ حتى سحبته حكومة الوفد فى ١١ ديسمبر ١٩٥١ احتجاجا على تصرفات القوات البريطانية فى منطقة القنـــاة . كان معروفا بارتباطه الوثيق ببريطانيا . رد الملك على سحبه بتعيينه مستشارا له للشـــــئون الخارجية ، على غير ارادة الحكومة يوم ٢٥ ديسمبر ، بعد يوم من تعيين حافظ عفيفى ، وبرغم المظاهرات الصـــــاخبة استنكارا لتعيين عمـــلاء

الانجليز فى مراكز عليا . لكن ذلك أيضا كان جزءا من خطة التصعيد ضد حكومةا لوفد » .

● **الياس اندراوس (باشا)** : بدأ موظفا بالادارة الانجليزية بالسودان . انتقل للعمل بشركة صباغى البيضا الانجليزية بكفر الدوار ، ثم تولى رئاستها . رفع الانجليز من شأنه حتى أصبح عضوا بمجالس ادارات الكثير من الشركات ، ثم صار ممثلا للحكومة المصرية فى مجلس ادارة شركة قناة السويس ، وعضوا بمجلس الشيوخ ، ومستشارا اقتصاديا للملك ، وصديقا شخصيا له ، وأحد أبرز حاشيته .

● **الفريق محمد حيدر (باشا)** : كان ضابطا ، ثم مديرا لمصلحة السجون ، اشتهر بقسوته فى معاملة الفلاحين . عينه الملك قائدا عاما للجيش المصرى ، مما أثار سخطا واسعا بين ضباط الجيش . كان رجل الملك فى هذا الجهاز الخطير من اجهزة السلطة ، وظل فىمنصبه حتى عزل ضمن قيادات الجيش يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . لعب دورا أساسيا فى عدم ترك الجيش للحيلولة دون استمرار الحرائق يوم ٢٦ يناير ..

● **احمد عبود (باشا)** : بدأ مهندسا مدنيا فى مشروعات مشتركة مع البريطانيين فى العراق ،وشارك فىانشاء خط السكك الحديدية بين مصر وفلسطين . كون بذلك ثروة ، وانشأ وشارك واشترى العديد من الشركات ، من أهمها شركة السكر والتقطير المصرية وشركة السماد وغيرها ، وأصبح من أكبر رجال المال والصناعة ، وعضوا فى مجلس الشيوخ . وثق علاقته بالولايات المتحدة وبسفيرها المستر جيفرسون كافرى . نشأت بينه وبين حكومة الوفد الاخيرة أزمة عنيفة بسبب متأخرات الضرائب عليه ، مما دفعه للتآمر عليها ودفع مبالغ ضخمة فى سبيل ذلك .

محتـــويات الكتـــاب

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٨٥ / ١٥٧٢

مطبعة عـابدين
٩ ش المقاولات ت ٩٠٢٧٧٤

وَثائِق الفَصل الأول

وثيقة (١)

FROM FOREIGN OFFICE TO CAIRO

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on]

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE SECRET AND WHITEHALL SECRET DISTRIBUTION

No. 247
30th January, 1952

D: 2.00 a.m. 31st January, 1952

SECRET

New that the immediate crisis of the last few days is over, I want you to know that I have been particularly impressed by the way in which you have borne the heavy responsibility which has fallen on you. Your foresight in warning me of the possibility of serious disorders in Cairo as a result of the recent military measures in Ismailia and your cool judgment in considering the vital question of RODEO were of invaluable assistance to me and my colleagues. So, too, was the way in which you managed in most difficult circumstances to keep me continually and promptly informed of developments.

2. I appreciate also the heavy strain that must have been imposed on the members of your staff, and wish to convey to them my thanks for their steadfast work.

SECRET

Cairo telegram No. 19 to Foreign Office

-2-

3. As regards support from other interested Powers, you will have seen from Memin Fayid telegram No. o that Greek nationals have already been arrested in the Canal Zone in advance of the actual legislation.

4. As regards the proposal to threaten the Egyptians with the cessation of our cooperation in certain administrative fields, (paragraph 2 of telegram under reference) without more detailed information on the measures which we should be prepared to take I cannot say whether this would be effective in getting the government to call off the campaign against employees of the British forces. My preliminary reaction is that they are unlikely to be moved by any possibility of administrative breakdowns except perhaps in public health; and in my opinion to remove our cooperation with the object of bringing about a breakdown in public health would be a double-edged weapon because:

(a) it might seriously affect the health of our own troops and civilians; and

(b) the Egyptians would make a great fuss about it in propaganda and in the appropriate international organisations and it would be extremely difficult to put up a convincing reply to their accusations.

/LH.

وثيقة (٤)

BRITISH EMBASSY,

CAIRO.

No.435 (10128/19/51)

18th December, 1951.

CONFIDENTIAL.

J.E 1016/10

JE1011/167

Sir,

With reference to my despatch No.416 of 3rd December, I have the honour to report further developments in the organisation of the "liberation squads".

JE 10110/231

2. On the 5th December the Prime Minister announced that the Government had re-affirmed their decision to take the "liberation squads" under Government control and had charged Abdul Maguid Abdul Hakk, the Minister of State, with the responsibility of their organisation and training. As was reported in Chancery letter No.10128/18/51 of the 12th December to African Department, the Minister of State has no particular qualifications other than being a protege of the Minister of the Interior whose instructions he will no doubt execute faithfully. He subsequently announced that he would appoint a military committee to assist him and that it would be composed of senior ex-officers so that the "popular" and unofficial nature of the squads should be preserved. The ex-officers selected proved to be Generals Saleh Harb, Mohamed Fetouh, Hussein Mahmoud Pasha, and Ali el Mawawi Bey. As reported in my despatch under reference all these ex-officers were already notorious for their part in organising or at least publicizing "liberation squads" and their appointments did something to weaken the general belief that the Government intended to control rather than to use the squads. The Minister of State announced at the same time that only those "fit to serve their country" would be enrolled and that in future it would be strictly forbidden to collect subscriptions for any squads other than those under Government control. A credit of £E.100,000 was opened for purposes connected with the squads.

3. The notable omission from the list of ex-officers appointed as advisers is General Aziz el Masri who has secured even more publicity than his fellow ex-officers as a "leader of liberation squads". He had been reported in the press to have objected more firmly than the others to a Government control and it also appeared that he might have been passed over because his opinions were so wild as to bring discredit even upon "liberation squads". Sir Thomas Rapp has, however, recently met El Masri and informs me that he appears to be considerably more sensible than was supposed. He maintained that he had had no intention of forming squads and that the position of leader had been forced upon him. He denied that he was responsible for the manual on guerilla warfare to which I referred in paragraph 8 of my despatch under reference. This is I fear yet another instance of the wide gulf between the language of an Egyptian personality in private conversation and his language when faced with newspaper reporters, but it serves to confirm the improbability of the "liberation squads" reaching any high degree of organisation under their present leadership.

4. Since the Government asserted their control over the squads they seem to have done little or nothing to form them into a properly organised body and the position is probably much as it was 3 weeks ago, the only difference being that the squads are now nominally under the control of the Government whereas they were then nominally under

the/...

The Right Honourable
Anthony Eden, M.C., M.P.,
Foreign Office

the control of certain nebulous political bodies. It still takes only 2 or 3 crooks to form a squad and so many racketeers are exploiting the movement that it is very difficult to estimate the numbers of those squads which deserve the name. The best estimate I have puts the over-all strength of properly enrolled members at no more than 1,000 men of which the contingent of Ahmed Hussein's Socialist Party is perhaps 200 and the Young Men's Moslem Association contingent some 400, but I am not entirely satisfied with these figures. The members of these squads are drawn mostly from the working class led by student members of the Youth Groups of the various political parties.

5. Towards the end of November the police appear to have raided a depot of the Socialist Party squads, although accounts differ whether this was at a place in Cairo or in Sharkiya province some 50 miles from the Capital. It seems certain however that a raid of some kind took place. It may have been intended to blackmail the squads into accepting Government control, but it was nicely calculated to destroy any confidence in the Government's intentions which the leaders of squads may have felt. In consequence of such Government actions one of the effects of their assumption of control has been the opposite of that which they had intended. I understand on normally reliable authority that until the Government's announcement students in Fouad Ist University took little interest in the squads, but that they have since then decided to form their own squads independent of Government control. There is, of course, a stupidity unusual even for this Government in their attempts to control "liberation squads" when they have almost simultaneously announced permission for all Egyptians to carry arms.

6. The more or less regularly formed squads are continuing elementary military training, but they show little inclination to transfer themselves from the training fields in the Delta to the battlefield in the Canal. One of the most accurate accounts yet to appear of the work of organised "liberation squads" in the Canal Zone was published some 2 weeks ago in the normally extremist "Rose el Yussef". A staff reporter wrote that he had searched for a week in Ismailia for some traces of the "liberation squads" whose exploits had been reported with so much prominence, that he had found no trace whatever, and that he concluded that these squads existed only in the imagination of journalists in Cairo.

1

وثيقة (٤)

7. My general conclusion is that though a nominal Government organisation for the military training of youth has come into being and may have the effect of cooling volunteer ardour among the party youth and discouraging the "commercial" side of the liberation movement in Cairo, it will have no effect on the activities of those groups in and on the borders of the Canal Zone who are carrying out individual terrorist acts and are no more likely to submit to the orders of the Minister of State than they were in former times inhibited by respect for the Egyptian police.

8. I am sending copies of this despatch to His Majesty's Representatives at Alexandria and Port Said and to the British Middle East Office.

I have the honour to be,
With the highest respect,
Sir,
Your most obedient, humble Servant,

Ralph Skrine Stevenson

وثيقة (٦)

I have already made serious representations to the Palace on the subject of this law emphasising that it must inevitably provoke counter action by British forces in the Canal Zone, the effects of which on the social, administrative and economic system of Egypt will be incalculable.

2. My United States colleague, who is calling on the new chief of the Royal Cabinet this morning, will speak strongly in the same sense. My French colleague intends to take similar action.

3. As regards paragraph 3 of your telegram under reference, please see my telegram No: 19 to Foreign Office repeated to B.M.E.O. Fayid.

2. It seems to me important to distinguish between -

(a) measures which we are likely to have to impose in immediate future either under authorisation already given in COS(ME)626 or those additional measures mentioned in COL 584 or in my telegram 1240 which Cabinet have not yet approved;

(b) imposition of full military government.

3. I can only usefully comment on the arguments in the draft telegram if it is clear which of these assumptions is being taken. As I see it, the War Office telegram under reply refers to (b): yet I quite understand the necessity to put before H.M.G. many of the points in the draft telegram - which refer to (a) in pursuit of the contention that we should not be deterred from immediately necessary measures for fear of the implications of full military government in the worst case (see Foreign Office telegram 1729 to me). I fully agree with this point of view and with para 11(j) of the draft.

4. If we are dealing with case 2(b) above it seems important not to under-estimate reaction of Egyptian Govern-ment. On present form it must be assumed that the Wafd Government are determined to push the crisis with Great Britain as far as they can in their own interests. It may be argued that in doing this they will be anxious to avoid a crisis arising which will show to the Egyptian people the bankruptcy of their own policy and thus result in their fall. Against this however -

(1) they know that they cannot hold power indefinitely and they are almost equally interested in leaving power at a moment when anti-British fervour will have reached its highest pitch as they are in hanging on a bit longer;

(2) they are a government of irresponsible demagogues and gangsters under a King who is a gambler, and they are therefore likely to go further than would a responsible government on Western lines.

One must therefore assume that they will push the crisis to the uttermost even if that results in chaos or in their own dismissal from power in Cairo.

وثيقـة (١١)

Of the measures decided by the Egyptian Cabinet for "alleviating the situation in the Canal Zone" (see my immediately preceding telegram) the one most likely to cause us trouble in the Zone is the decision "establishing" a system of personal identity cards which may give the Egyptian Police further opportunities to persecute non-Egyptians working for us.

وثيقـة (١٢)

In note received this evening Ministry of Foreign Affairs state that Egyptian Government knew without doubt that British are detaining in their camps a number of "Egyptian patriots, for the most part members of the resistance movement" captured in the course of the engagements with the British forces or independently. The Egyptian authorities have also learned that certain of these patriots have been tortured and beaten in manner worthy of Nazi concentration camps. The British military autherities have even executed some of them after capture. While assembling all the information received the Egyptian Government protests energetically against these savage and inhuman acts.

2. Note continues that these barbarious acts are flagrant isolations of international conventions. It then refers at some length to the articles of the 1949 Geneva Convention about the definition of and treatment of prisoners of war and seeks to show that the convention is applicable to the present situation in the Canal Zone where, in default of a proper military resistance, there is "an organised resistance movement". The members of this movement who have fallen into the hands of "their enemy, in other words, the British forces in the Canal Zone," must therefore be considered as prisoners of war and treated with humanity.

3. Note concludes that in coldly executing and torturing some of the patriots of the resistance movement the British military autherities have disregarded the Geneva Convention and the

وثيقة (١٣)

most elementary principles of humanity, and draws attention to the fact that always and everywhere the following acts against prisoners or wounded are prohibited: murder in all its forms, mutilation, cruel treatment, torture, corporal punishment, humiliating treatment, degradation and passing sentences and carrying out executions without prior trial.

وثيقة (١٤)

If you think it would be of value in countering outrageous charges contained in Egyptian Note summarized in your telegram No. 114 to Foreign Office, military authorities here would be prepared to allow a neutral, say a representative of the Red Crescent, to visit detention camp.

The value of such a visit would of course depend on the possibility of finding a representative of sufficient impartiality and courage to report faithfully what he saw and it is not possible for us here to judge whether such a person could be found or if he could, to what extent his report would carry conviction to the Egyptians. But we thought it nevertheless worth making this suggestion for your consideration.

وثيقة (١٥)

5. It is almost impossible to predict what line the present Ministers may decide to take, though the proposed disarming of the auxiliary police in Ismailia tomorrow, 25th January may prove a test case. The calculation that economic sanctions by both sides may harm Egypt more than us may make them still reluctant to resort to this weapon.

On Friday 4th, as reported in G.H.Q. communiqué No.73 (Middeast telegram No. I2103), a mob in Suez looted and burnt the Coptic church and murdered at least one of the caretakers. Other reliable reports state that two other Copts were also murdered. Their bodies were then attached by the mouth to small anchors dragged through the streets and burned.

2. The immediate reaction of the Egyptian authorities was to attempt to fasten the blame on the British, as recorded in the communiqué. They also forbade any mention of the incident in the Press and the censors cut it out of correspondents' cables.

3. Yesterday the Council of the Coptic Community met under the presidency of the Patriarch. There was a long and stormy meeting at which the Wafdist Copts tried to prevail on the others who were, and are, extremely indignant, to cooperate with the Government in hushing up the incident. It was eventually decided to issue an announcement proclaiming a period of mourning and the cancellation of the usual Christmas celebrations on January 7th. The Government have also announced their decision to allot £E 5000 for the repair of the Church, but it is not yet clear whether the Copts will accept this money.

4. The Government and Wafdist Press are alike attempting to present the incident as due to "British intrigue", and the [illegible] announced by the Copts as a protest against British oppression and a sign of Coptic-Muslim solidarity.

The Wafdist Copts for their part are cooperating by announcing that subscriptions are being collected for the erection of a mosque and clinic in Cairo.

5. If the censorship allow any messages out they will be slanted as in paragraph 4 above. I would suggest, therefore, that maximum publicity be given through the News Department to the correct facts and that particular pains be taken to get it out in Italy and Greece, both of which countries have large Christian communities in Egypt.

وثيقة (١٧)

Press statements from General Headquarters Middle East frequently ascribe acts of terrorism and other misdemeanours to "Arabs". I should be grateful if you would ask Commanders-in-Chief if they could see that the word "Egyptian" or some other suitable adjective is substituted for "Arab", since it is important that we should emphasise the distinction between other Arab states and Egypt.

وثيقة (١٩)

From General Robertson to B.D.C.C. (M.E.).

Reference 589/CCL.

Chiefs of Staff are anxious to have details of your plans for strict control of movement. Please forward these as soon as possible.

Food Commitment

7. (a) If the Egyptian Government do not interfere with the flow of food from the Delta no major maintenance problems can be foreseen.

(b) If the supply of food is stopped, we would have to send in food for an estimated Egyptian population of 360,000 and non Egyptian population of 40,000. A suggested ration scale for the Egyptian population is given at Appendix 'B'. A preliminary examination has shown that it would take approximately six weeks before a week's supply of food based on this scale could be made available in the Suez Canal Zone from British resources. It is therefore clear that a stockpile of food for at least six weeks must be established either in the Canal Zone or in a place from where it can be shipped quickly to the area before we set up Military Government.

Middle East's Comments

8. His Majesty's Ambassador in Cairo and the Commanders-in-Chief, Middle East, made the following comments:-

(a) They confirmed that in all probability Egyptian officials would desert their posts.

(b) His Majesty's Ambassador considered that the Egyptian Government would not stop the supply of food from the Delta. The Commanders-in-Chief observed that, if they did, pressure could be brought to bear on the Egyptian Government through our ability to cut off supplies from the Delta to the Egyptian Army and some 220,000 civilians in Sinai.

(c) Nevertheless, both His Majesty's Ambassador and the Commanders-in-Chief recommended that preparations should be made to send in food in case the Egyptian Government refused to feed their own people.

(d) The Commanders-in-Chief and His Majesty's Ambassador were not in favour of a stockpile being set up in Egypt; the latter suggested that it should be established in the United Kingdom or elsewhere for rapid shipment to the Canal Zone if necessary.

(e) The Commanders-in-Chief stated that neither for administrative nor for security reasons could they consider the entire population of the area remaining under Military Government and many would have to go.

وثيقة (٢١)
Ragentin

SECRET

FROM : G.H.Q., MIDDLE EAST LAND FORCES

TO : MINISTRY OF DEFENCE, LONDON

OPERATIONAL IMMEDIATE

IZ 651
TOO 231222B
(231022Z)
TOR 231458Z

INFO : C.-IN-C. MEDITERRANEAN
EMBASSY, CAIRO

613/CCL

23rd January 1952

From B.D.C.C.(ME) for Chiefs of Staff.

1. G.O.C. B.T.E. has received message from Governor of Port Said to the effect that if we do not cease our operations to clear up Ismailia forcible measures will be takem against us. We understand message originated from Egyptian Prime Minister and Minister of Interior.

2. Further message delivered to G.O.C. B.T.E. by his Egyptian Liaison Officer from Minister of Interior takes same line.

3. Above may mean that Egyptian Authorities intend to order civil police in Ismailia to intervene against us or that Egyptian armed forces may take hostile actions.

4. In his telegram number 71+ of 22nd January to G.O.C. B.T.E. repeated to Foreign Office H.M. Ambassador states that Egyptian Government may be contemplating reprisals against British civilians in Cairo.

5. We feel that there is a remote possibility that retaliation against our own forces might take the form of air attack on the Canal Zone by the Egyptian Air Force without warning. In this unlikely event it would be essential to hit back at once by attacking the Egyptian aircraft at their bases.

6. We shall be grateful for immediate confirmation that you agree with our proposal to retaliate as in our para. 5 above if necessity arises.

وثيقة (٢٢)

SECRET

FROM : MINISTRY OF DEFENCE, LONDON.

TO : G.H.Q. MIDDLE EAST LAND FORCES. (A)

OPERATIONAL IMMEDIATE

OZ 581
TOO 232130Z
TOD 240033Z

INFO : C-IN-C., MEDITERRANEAN.
EMBASSY, CAIRO.
C-IN-C., M.E.A.F.
B.J.S.M., WASHINGTON.

COS(ME)635 23rd January, 1952.

For B.D.C.C. (M.E.) from Chiefs of Staff.

Reference 613/CCL.

We agree that there is a remote possibility of an Egyptian Air Force attack on the Canal Zone without warning. If the attack is an organized one, as opposed to some individual effort by a misguided fanatic, we agree that the only immediately effective counter action is to destroy Egyptian aircraft at their bases.

2. Such counter action may however have very serious repercussions including reprisals against British civilians in the Delta. While we give you authority at your discretion to retaliate against an organized air attack, your action should be limited to that required to prevent the Egyptian Air Force taking further action, and you should avoid damage to civilians or property.

3. We presume that the counter action you have in mind will be confined to ground attack with guns, cannon or rockets, aimed at destroying Egyptian aircraft.

4. We consider however that the Egyptian action given in your para. 4 is much more likely, and we presume therefore that you are considering bringing operations FLAIL and RODEO to shorter notice.

5. If an attack by the Egyptian Air Force does take place you should inform us by Flash message en clair.

وثيقة (٢٣)

SECRET

MEASURES TO MAINTAIN OUR POSITION IN EGYPT

THE COMMITTEE considered a telegram[x] from the British Defence Co-ordination Committee (Middle East) reporting threats of forcible measures by the Egyptians unless British Operations to clear up Ismalia were stopped forthwith.

In discussion the following points were made:-

(a) There was a remote chance that surprise air attacks might be made on the Canal Zone. Since any such attack would originate within the air defence zone itself, there was no prospect of obtaining early warning and it was not practicable to maintain standing air patrols.

(b) The only immediately effective counter was the destruction of Egyptian aircraft at their bases.

(c) Counter attack against Egyptian aircraft would probably have very serious repurcussions in Egypt and elsewhere and might well lead to reprisals against British civilians in the Delta.

(d) Counter attack by us would be justified if the Canal Zone was subjected to an organized attack by the Egyptian Air Forces, but would not be justified if some misguided Egyptian made a fanatical individual effort.

(e) If we have to take retaliatory air action in the face of organized attack by Egyptian air forces, such retaliation should be limited to that necessary to prevent the Egyptian Air Force taking further hostile action.

(f) It was important to avoid killing civilians or damaging property; it was therefore presumed that action would be confined to ground attack with guns, cannon or rockets, and not include bombing.

(g) It was much more likely that Egyptian action would take the form of reprisals against British civilians on the lines outlined in H.M. Ambassador's telegram to the Foreign Office[+]. It was presumed therefore that the Commanders-in-Chief would consider bringing operation Rodeo and Flail to shorter notice.

وثيقة (٢٤)

OUTWARD TELEGRAM

FROM THE SECRETARY OF STATE FOR THE COLONIES

TO KENYA (Sir P. Mitchell)

Cypher (O.T.P.)

Sent 29th December, 1951. 22.15 hrs.

SECRET AND PERSONAL

JE 1016/19

No. 919.

Following from Lloyd. Begins.

Commander-in-Chief, Middle East, has asked whether O'Rorke could be spared to visit Canal Zone for week or ten days to advise on ways and means of dealing with situation resulting from failure of Egyptian Police to control terrorism or to provide British authorities with normal Special Branch intelligence. This may involve making plans for establishment of independent British Special Branch. We very much hope that you will agree to release person named for this mission, if he is willing to undertake it. If so, Robertson would be grateful if he could arrive Canal Zone as soon as possible after Sunday, 6th January. Military authorities will make arrangements for air transport. Ends.

Copies sent to:-

Foreign Office - Mr. C.E. King

وَثائِقُ الفَصلِ الثَانِي

Food Commitment

7. (a) If the Egyptian Government do not interfere with the flow of food from the Delta no major maintenance problems can be foreseen.

(b) If the supply of food is stopped, we would have to send in food for an estimated Egyptian population of 360,000 and non Egyptian population of 40,000. A suggested ration scale for the Egyptian population is given at Appendix 'B'. A preliminary examination has shown that it would take approximately six weeks before a week's supply of food based on this scale could be made available in the Suez Canal Zone from British resources. It is therefore clear that a stockpile of food for at least six weeks must be established either in the Canal Zone or in a place from where it can be shipped quickly to the area before we set up Military Government.

Middle East's Comments

8. His Majesty's Ambassador in Cairo and the Commanders-in-Chief, Middle East, made the following comments:-

(a) They confirmed that in all probability Egyptian officials would desert their posts.

(b) His Majesty's Ambassador considered that the Egyptian Government would not stop the supply of food from the Delta. The Commanders-in-Chief observed that, if they did, pressure could be brought to bear on the Egyptian Government through our ability to cut off supplies from the Delta to the Egyptian Army and some 220,000 civilians in Sinai.

(c) Nevertheless, both His Majesty's Ambassador and the Commanders-in-Chief recommended that preparations should be made to send in food in case the Egyptian Government refused to feed their own people.

(d) The Commanders-in-Chief and His Majesty's Ambassador were not in favour of a stockpile being set up in Egypt; the latter suggested that it should be established in the United Kingdom or elsewhere for rapid shipment to the Canal Zone if necessary.

(e) The Commanders-in-Chief stated that neither for administrative nor for security reasons could they consider the entire population of the area remaining under Military Government and many would have to go.

وثيقة (٣)

There have been two entirely separate sets of incidents in Suez during the last 48 hours. On 3rd and 4th January there was heavy and continuous firing on the filtration plant from houses in the Kafr Abdu neighbourhood, and on the militarily operated railway signal box in the same area from the railway yards. Egyptian police or auxiliaries in uniform reported to have been seen to be taking part in these attacks and hand grenades have been thrown into the filtration plant from the neighbouring Suez Canal Company waterworks. In replying to these attacks tanks went into action and their guns were used to shell buildings from which the snipers were firing. Details of these incidents have been reported in the military Sitreps to Ministry of Defence, repeated to you. Total British casualties were four officers and two other ranks wounded.

وثيقة (٤)

Trouble was started by explosion of time bomb concealed on a barrow parked at Y.M.C.A. bridge. Explosion killed one B.O.R. and wounded five others of whom one has since died.

2. It appears Egyptian police had advance information of plot because traffic policemen at Y.M.C.A. and Suez bridges left their positions about one hour before explosion and policemen at police station are reported to have been looking out of windows for something to happen.

وثيقة (٥)

CONFIDENTIAL

Lieut.-Gen. Sir GEORGE ERSKINE, K.B.E., C.B., D.S.O.
HEADQUARTERS
BRITISH TROOPS IN EGYPT
MIDDLE EAST LAND FORCES, 14.

OPINION OF G.O.C. B.T.E.

The responsibility for starting the incidents at Suez clearly lies with armed Egyptian civilians who made unprovoked attacks on the British troops. This civilian action could have been stopped by Egyptian civil police, but instead of taking measures to restore order they joined in with the armed civilians.

The British troops showed great forbearance and did their utmost to stop the outbreak in the early stages with the minimum use of force. When it was clear that the police and civilians were determined to press their attacks on the British troops no more than the necessary force was used to safeguard British lives and property.

The ambush of Major Rose and his party is a very clear indication of the frame of mind of the Egyptians. This party was doing no harm to anybody. It was moving down an Egyptian highway on a lawful occasion. It was deliberately ambushed. It is very clear that Egyptian police were involved in this ambush.

There is no doubt that the events of 3 Dec reached the stage and intensity which they did because the police officers either made no effort to carry out their duties, or because the police were not willing to obey their officers. The murder of L/Cpl Foxwell R.M.P. is a clear example of police panic and indiscipline.

The word police is used in its widest term. It is clear to me that it was the Auxiliary Police (The Guard Companies) who were mainly involved. These are not strictly speaking police at all but semi-trained conscripts with no discipline or tradition. They are exactly the same type who caused the trouble in Ismailia on 17 and 18 Nov. The high approval shown by the Egyptian Government to the Ismailia Auxiliaries must have been a great incentive to the Suez Auxiliaries to display similar irresponsible behaviour.

The scale of opposition to our convoy to the Filtration plant on 4 Dec is very clear. This incident was the reason for our decision to construct a shorter and easier route to the Filtration plant which would avoid a repetition of this affair. For years we have gone to and fro to this Filtration plant when Law and order existed. But after this incident it was clear to me that in future such moves would be resisted both by civilians and the police Auxiliaries.

I am entirely satisfied with the action taken by my Subordinate Commanders. The British troops acted in a cool and disciplined manner. It is most noticeable that young officers and N.C.Os shouldered heavy responsibility with resolution. They acted under fire and in most difficult circumstances with great credit to their own Regiments and to the British Army.

There were some outstanding acts of leadership which I will deal with separately - all officers and men killed or wounded or injured in the events covered by this report were on duty and were NOT to blame.

George Erskine

13 Dec 1951

Lieutenant General
General Officer Commanding
British Troops in Egypt

وثيقة (٧)

From BDCC(ME) for Chiefs of Staff.

Reference Cairo Telegrams 1240 and 1250 to Foreign Office.

1. We have already received authority from you.

(a) To control movements other than stopping oil and essential supplies.

(b) To disarm the Egyptian Police in the Canal Zone in the last resort.

2. A plan for the strict control of movement into and within the Canal Zone has been prepared by G.O.C. B.T.E. Subject to the comments of the Ambassador on points of detail we propose to enforce this measure immediately following the next serious incident.

3. In view of the authority mentioned in Para 1(b) above we consider that we are free to chose the timing of action to disarm the Egyptian Police and we are aware that the time may come very soon. We shall not fail to use the authority given to us when in our opinion the situation demands it.

4. In deciding upon the timing for both the above measures we have to bear in mind two factors.

(a) That to disarm the Egyptian Police means that we deprive them of any power to deal with the anarchy which is already developing in the towns of the Canal Zone. This would give the Egyptian Governors an excuse for saying that they have been rendered powerless and might thus precipitate a situation in which we had to take over complete control.

(b) That any action which we take must be within our resources at the time.

وثيقة (٨)

1. In view of repeated evidence of participation of Buluk El Nizam or police guard companies in incidents at Tel El Kebir and Ismailia, we consider that the situation is now such that we must use the authority given to us to disarm the Egyptian police to the extent of disarming the Buluk El Nizam in Ismailia.

2. We are accordingly instructing G.O.C. B.T.E. to take the necessary action at his discretion. This will probably take place on 25th January.

وثيقة ××

Ismailia Operations.

In further letter received this evening Minister makes series of wild accusations about conduct of British troops carrying out Ismailia operation (crucifixions, prisoners torn to pieces by dogs, etc.). Letter is however, milder than that of last night in that it contains no threats. I am replying with a sharply worded request that he should restrict complaints in his official communications to me to matters of fact, rather than wild improbabilities.

وثيقة (١)

His Majesty's Consul General Port Said has just informed me by telephone that the Governor of the Canal Zone, on the personal instructions of Nahas Pasha, asked him this evening to transmit a message to General Erskine to the effect that, unless the measures now being taken by the latter in Ismailia against the civilian population cease immediately, instructions will be issued to the local authorities to resist with all the forces at their disposal. Consul General passed this message to General Erskine who replied, that the measures now being taken by him in Ismailia are for the protection of the troops under his command, and of friendly foreign nationals in the town. They are being taken because the Egyptian civil authorities have failed, despite repeated representations, in their task of maintaining order, and they will be continued for as long as may be necessary to achieve their object, whatever counter-action the Egyptian authorities may take.

2. On my instructions Consul General is returning a reply in these terms to the Governor of the Canal Zone.

3. Minister of the Interior did not appear at his nightly press conference this evening, nor was any particularly strong statement made about the situation at Ismailia. It may be therefore that the Egyptian Government have learned a lesson from the Kafr Abdou incident and do not intend to repeat their mistake of publicising their ultimatum and thus increasing the difficulty of their position.

وثيقة (١٠)

BRITISH EMBASSY,

1041/1/30/52.

CAIRO.

19th January, 1952.

(My dear Afifi Pasha),

Your Excellency is doubtless aware of the fact that on the 16th January the British force which was engaged in searching the village of El Hammada, with a view to preventing any repetition of the attacks which had been made against British troops in this area, was fired on by members of the police. This police force subsequently surrendered and proved to consist of about 120 men, which is ten times the normal detachment for the village.

2. Apart from continual sniping, the attacks on the British forces in this area had included a planned attack on the 12th January by about 100 men on a British railway patrol and train near Tel el Kebir, in which we believe members of the police to have taken part, and a deliberate attack by 30 to 40 police on the British road control post at Tel el Kebir on the 13th January. I suggest that His Majesty's urgent attention should be drawn to the fact that these members of the armed police forces of the State, the officers of which hold His Majesty's commission, opened fire on the British forces who were engaged in cleaning up villages from which repeated murderous attacks had been made upon them, and which the Egyptian authorities had many weeks before been asked, without result, to clean up themselves. His Majesty may indeed wish to enquire how it came about that orders were given to these officers to open fire on the British troops, observing that Egypt and the United Kingdom are not at war.

Yours very sincerely,

RALPH STEVENSON

His Excellency,
Hafez Afifi Pasha,
Chief of the Royal Cabinet,
CAIRO.

وثيقة (١١)

G.O.C. has reported receipt of this message and of similar one from Minister of Interior through Egyptian Liaison Officer. In reply to latter, he had referred Minister of Interior to me but had also made statement similar to that given to Consul-General.

2. G.O.C. comments that messages may indicate orders to civil police in Ismailia to break-out and intervene and possibly also hostile action by Egyptian armed forces. See also 613/CCL. I think you should know that G.O.C. is quite prepared to disarm and expel at least auxiliary police companies now in Ismailia. You will remember that Commander-in-Chief has authority for this (see Cosme 610 and 89/CCL. See also my telegram No.1250).— JE 10110/2/8

3. Haidar Pasha, Commander-in-Chief of Egyptian armed forces saw Military Attaché this afternoon on another matter and did not refer to Ismailia situation. This is a favourable sign.

وثيقة (١٢)

I am sure you will agree that it is most important to ensure that world press presents this operation favourably.

2. Embassy spokesman has already drawn attention to rôle of auxiliary police in recent clashes; see Erskine's telegram No: OPS 210 and promised details which we hope to be able to release this evening.

3. On assumption that operation will start early tomorrow, we propose to call press conference for 1000 hours tomorrow 25th January and make on the record statement to the effect that the British authorities have been forced to order this operation by failure of Egyptian authorities to carry out their duty, which Governor of Canal Zone explicitly recognised in his meeting with Erskine in November, to maintain order and security (including security of British forces) in Ismailia.

Spokesman would stress repeated aggression by auxiliary police, particularly at Suez on 3rd/4th December and recently in Ismailia and representations made to Egyptian Government to bring them under control. He would emphasise that operation is not (repeat not) an assumption of military government, and that His Majesty's Government have explicitly given their approval for it.

4. Please therefore telegraph immediately as many details as possible, including

a) time it will start.

b) approximate number of British troops involved

c) number of auxiliary police to be disarmed

d) how arms taken will be disposed of

e) whether any <u>recent</u> request has been made to Egyptian authorities to undertake disarmament themselves.

5. A point of particular interest is our attitude to regular police. I understand that it may be necessary to disarm them as well, but that their arms will be handed back once operation is complete. Please confirm and state whether we may release this point tomorrow.

6. Please confirm no intention of detaining auxiliary police once arms have been removed.

7. Will try to telegraph draft of statement this evening.

وثيقة (١٤)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE.

En Clair

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 155
25th January, 1952

D. 11.33 a.m. 25th January, 1952
R. 12.06 p.m. 25th January, 1952

IMMEDIATE

My immediately preceding telegram.

Following is text.

[Begins].

JE 1016/86

A British spokesman stated today that at about a quarter past six this morning the British Military Authorities were to notify the Sub-Governor of Ismailia that they must insist on the immediate disarming and evacuation from the Canal Zone of the auxiliary police (Buluk Nizam) at present stationed in Ismailia. Normally, it is understood, these men are armed only with staves, but in Ismailia they carry rifles and have been a constant source of trouble ever since they arrived there in October last. If the Sub-Governor fails to meet the British request, British forces would themselves undertake the disarming and evacuation. About 1500 British troops would be involved. The difficulty of distinguishing between auxiliary and regular police would make it necessary to disarm the latter initially as well, but their arms would later be returned to them, provided that the Sub-Governor would agree to carry out normal police duties with regular police only. The spokesman emphasised that there was no intention of detaining the auxiliary police. The British Authorities have been forced to take this action as a result of the long succession of unprovoked attacks committed by the auxiliary police against British forces, their cooperation with the terrorists and the failure of the Egyptian Government, despite repeated requests, to bring them under strict control or remove them from the neighbourhood of British forces.

The record of the auxiliary police in the Canal Zone is indeed a black one. Their activities had been a matter of suspicion ever since they arrived after October 16th and from then on they undoubtedly played a large part in the intimidation of and violence against workers and leaders in the Zone. But their first act of open aggression was in Ismailia on November 17th when they opened fire without provocation on a British patrol. On

(١٨) نسخة

The military authorities report that the operation started with a message to the Sub-Governor of Ismailia to the effect that since the auxiliary police had been sheltering and encouraging terrorists it was necessary to disarm them. To enable this to be done all Egyptian police, therefore, should be ordered to come out of their barracks without arms and directions would be given to the senior police officer at the barrack gates that arms would be restored to regular police who would then be allowed to continue their duties. The Police Station and the Bureau Sanitaire had by this time been surrounded by British troops supported by tanks.

About 6.30 a.m. a similar message was conveyed to the Major General commanding the police who was contacted at his residence. His reply was that the police would resist in accordance with their orders from the Egyptian Government.

2. The police in the Bureau Sanitaire started firing immediatel and indiscriminately. British troops at first did not reply and the period of grace was extended to a total of 45 minutes. Loud speaker vans were also used to call on the police at both places to surrender and the police Major General was again pressed but refused to go the Police Station. As the shooting continued and had also started at the Police Station, a few rounds of blank were fired by the tank guns and troops started firing with small arms. This produced no effect on the police and the firing continued for some time. Two platoons of British troops, supported by tanks, then forced their way into the Bureau Sanitair

//which

consists of a walled compound in which there are a number ldings which were used as barracks by the police. Police ued to resist from the buildings even firing fror the windows and a tower on which there was a sandbsgged ement, even after the lower floor had been cleared. during this fighting that most of the casualties were ed oh both sides. Eventually the police in the surrendered at about 10.30 a.m. It is understood hey were all auxiliary police.

t the Police Station, the police continued to resist igh the news of the surrender of the Bureau Sanitaire nveyed to them by loud speakers and they were called o surrender by 12 noon. At about 12 noon, however, was a further burst of firing from the police which iswered with small arms and heavier fire and shortly rards they surrendered. A few police were out in small elsewhere which were cleared without difficulty.

Although checking of numbers is not yet complete approx-ly 790 Egyptian police have been taken prisoner, of which 100 only are believed to be regulars. General Erskine ot announce to the press the Egyptian casualties butcover gyptian policemen are believed to have been killed and a derable number wounded. British casualties were 3 other killed, one officer and about 12 other ranks wounded. entally, one Cypriot is reported to have been released from olice cells where he had apparently been kept for several without food.

During the afternoon the General commanding 1st division viewed the Sub-Governor of Ismailia and conveyed to him a ge from General Erskine to the effect that he should resume uties and would be given 50 regular police with 2 officers able him to do so. In view of the resistance which the e had offered during the morning these men would have to be ied. But after further screening General Erskine hoped to le to provide him with more regular police. British os would be ready to support them and would remain in ation of parts of the town. Any of the civil inhabitant

CONFIDENTIAL

British Middle East Office (Fayid) telegram No. 86
to Foreign Office

who wished to leave the town would be at liberty to do so.

6. The Sub-Governor apparently reported to Cairo and answered that the Egyptian Government held General Erskine responsible for all that had been done to the town, the police and the inhabitants, and asked for all regular police and their officers to be returned to him. He eventually agreed, however, to resume his office and 50 regular police and 2 officers were returned to him unarmed.

7. In view of the resistance put up by the police from the beginning it is not proposed to release the auxiliary police prisoners immediately and they are being held in a camp at Moascar.

8. It was evident from the condition of the buildings, which were visited by two members of my staff this afternoon, that there had been a fierce struggle at the Bureau Sanitaire. The Police Station was much less damaged and appeared to have suffered mainly from small arms fire, but a fire which had broken out inside it was said to have been brought quickly under control. After their prolonged resistance many of the Police prisoners were reported to have been almost paralysed with fright, or perhaps shock, when they were finally captured. Large stocks of ammunition were reported to have been found, particularly in Bureau Sanitaire.

Foreign Office please pass to Washington and Paris as my telegrams 7 and 4 respectively.

[Repeated to Washington and Paris].

ADVANCE COPIES:-
Sir W. Strang,
Private Secretary,
Mr. Bowker,
Head African Department,
Head News Department.

Egypt.
(Previous Reference: C.C. (52) 2nd Conclusions, Minute 4.)
Situation in Canal Zone.

1. *The Foreign Secretary* informed the Cabinet that the situation in the Canal Zone appeared to be deteriorating seriously. Reuter reports—which might be exaggerated—spoke of considerable fighting in Ismailia that morning in the course of the operation undertaken to disarm the Egyptian police. Late on the previous evening he had discussed with the Chiefs of Staff the situation which would arise if the Egyptians were to take violent reprisals for this operation. The Chiefs of Staff subsequently instructed the Commanders-in-Chief to bring to a high degree of preparedness their measures to protect British and foreign lives and property in Egypt. The Foreign Secretary read to the Cabinet his telegram No. 164 to Cairo instructing the Ambassador in what circumstances he might recommend to His Majesty's Government that these measures should be put into force and asking that the recommendation should be made, if possible, in agreement with his United States colleague. He had also instructed the Ambassador to deliver a suitable warning to the King of Egypt. The Prime Minister had been kept informed of events and was in agreement with the action taken. The Foreign Secretary proposed to inform the Leader of the Opposition of the situation. The Cabinet agreed that the Commonwealth Secretary should also inform the Governments of Canada, Australia, New Zealand and South Africa. The Government of India might also be informed of the deterioration of the situation, but not of the military preparations which were being taken to meet an emergency. The question of economic and financial measures against Egypt might be further considered by the Cabinet in the following week. These would be appropriate if the situation deteriorated still further.

The Cabinet—

Took note of the situation.

وثيقة (٢١)

EGYPT (BRITISH MILITARY ACTION, ISMAILIA)

Mr. Aneurin Bevan (*by Private Notice*) asked the Secretary of State for War whether, arising out of the statement by the Foreign Secretary on Tuesday, he is now in a position to give the House more details concerning the recent clash between British Forces and Egyptian auxiliary police in Ismailia.

The Secretary of State for War (Mr. Antony Head): Yes, Sir, I am arranging for a detailed account of the incidents in Ismailia on 25th January to be published today in the OFFICIAL REPORT.

Following is the statement:

General.

On 16th October, 1951, the Egyptian police failed to control the riots which broke out in Ismailia and British troops had to restore order. After this 600 auxiliary police arrived from Cairo.

Egyptian terrorists had been and continued attacking our troops and convoys while the Egyptian police looked on. In some cases the auxiliary police, alongside the terrorists, attacked our troops. On 17th, 18th and 19th November, 1951, the auxiliary police fired on our patrols in Ismailia. After this General Erskine arranged for the regular and auxiliary Egyptian police to remain in their barracks while our families evacuated the town. After this both regular and auxiliary police in Ismailia were replaced by fresh companies from Cairo.

The normal rôle in Egypt of auxiliary police is to provide a reserve for riot duty armed with staves. Those sent to the Canal Zone on both occasions were armed with rifles.

After the change over had taken place evidence increased that the new auxiliary police were taking part in attacks on our troops and installations. On 3rd and 4th December, 1951, auxiliary police opened fire on our troops near the water filtration plant outside Suez and killed 11. On 18th December, 1951, fire from the police station in Ismailia killed a British officer passing in a jeep.

The Caracol

In operations against the *Caracol* Egyptian casualties did not exceed single figures and ours were none. The Egyptian police opened fire first and subsequently fired repeatedly. The buildings were not damaged.

The Bureau Sanitaire

Twenty auxiliary police and four terrorists in a lorry attacked a road block near Tel-El-Kebir. As a result of this and other attacks in the neighbourhood our troops cleared the area, finding, in the police station compound of El Hammada (a small village), a senior police major-general and 116 armed police, as well as quantities of ammunition and other arms.

The steadily mounting casualties amongst our troops and the attacks upon them caused the Commander-in-Chief, at the end of November, 1951, to recommend the disarming of the auxiliary police. On 7th December, 1951, His Majesty's Government authorised the Commander-in-Chief to take this step if the situation demanded it.

On 23rd January, 1952, when our casualties had reached 33 killed and 69 wounded, the Commander-in-Chief told the Chiefs of Staff that, in view of the repeated evidence of attack by the auxiliary police, he considered that he must disarm those in Ismailia, and that he had ordered General Erskine to do so. His Majesty's Government approved this decision.

Narrative of Events

Location of Egyptian Police on morning of 25th January.

The position in Ismailia on the morning of 25th January was:—

(*a*) About 400 Egyptian police, of whom about 60 were regulars, were in the *Caracol*, the normal regular Police Station and the Governor's Office.

(*b*) Some 600 Egyptian police, almost all auxiliaries, were in the *Bureau Sanitaire* located about 400 yards distant from the *Caracol*. The *Bureau Sanitaire* is normally the health office but was taken over as temporary barracks for the additional auxiliary police.

Message to the Sub-Governor of Ismailia

The operation started with a message to the Sub-Governor of Ismailia to the effect that, since the auxiliary police had been firing on our troops as well as helping the terrorists, it was necessary to disarm them. He was therefore requested to order them to come out of their barracks without arms, and told that arms would be restored to the regular police who would then be allowed to continue their duties.

Message to the Major-General Commanding the Police

A similar message was sent to the major-general commanding the police who was at his residence. He replied that both the regular and auxiliary police would resist in accordance with their orders from the Egyptian Government. In view of this statement the operations against the *Caracol* and the *Bureau Sanitaire* were put in train.

The major operations took place against the *Bureau Sanitaire* of which the occupants were almost all auxiliary police. This building had been substantially fortified since its occupation by the auxiliary police.

At 0614 hours and continuing until 0640 hours broadcasts were made from loudspeaker vans calling upon the police to surrender. At 0656 hours firing by the police started from the *Bureau Sanitaire* and continued with increasing intensity until 0710 hours. We then retaliated by firing one round of blank from a 20-pounder tank gun as a warning. The police continued to fire.

At 0715 hours we returned the fire for the first time, six rounds of 20-pounder tank gun and a few rounds of two-pounder being fired as well as small arms. This produced a very heavy fusillade from the police.

A fresh broadcast was then made, followed by a pause to give them time to surrender. At 0815 hours fire was again opened by us on the same scale, followed by a broadcast with another pause for surrender. All this had no effect on the police and they continued to fire.

At 0900 hours two platoons of our infantry, supported by tanks, forced their way inside the walled compound of the *Bureau Sanitaire* which was used as barracks by the auxiliary police. Our infantry quickly suffered fourteen casualties and were withdrawn.

Final Surrender

At 1000 hours fire was opened again and at 1037 hours surrender started. We suffered three killed and 13 wounded. The Egyptian police casualties were 41 killed, 73 wounded, and 886 surrendered.

Weapons used by British Troops

The weapons used by our troops consisted of small arms, tanks from which 23 rounds of 20-pounder were fired, armoured cars which used a few rounds of two-pounder ammunition. No artillery, aircraft or mortars were used except for one round of 2 in. smoke.

Comments

The operation was planned with the object of avoiding bloodshed. The buildings were surrounded at dawn and every possible effort was then made to persuade the police to surrender, but the responsible officials refused to take any action and the police general in Ismailia steadfastly remained in his quarters throughout the whole proceedings.

The police in the *Bureau Sanitaire* were first called upon to surrender at 0614 hours, but it was not until 0715 hours that British troops opened fire in spite of the fact that they themselves had been under fire from the Egyptians since 0656 hours—nearly 20 minutes earlier.

365 *Business of the House* 31 JANUAI

The first serious attempt to enter the building was made by our infantry nearly two hours later after a series of broadcasts, and this attempt immediately resulted in fourteen casualties to our troops. In order to avoid much greater casualties on both sides it was essential to complete the operation as soon as possible and in any case in daylight.

There were no casualties to civilians. Transport was produced quickly after the surrender and prisoners were taken away for a meal, whilst our doctors gave immediate medical attention to the wounded, some of whom were taken to our hospital and the remainder to the Egyptian hospital.

If the Egyptian Government had maintained proper control over their police forces and, in particular, their auxiliaries, it would never have been necessary to carry out the operation at all.

وثيقة (٢٢)

FROM CAIRO TO FO: IGN OFFICE.

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP. FOREIGN OFFICE SECRET AND WHITEHALL SECRET DISTRIBUTION.

Sir R. Stevenson.
No: 153.
25th January, 1952.

D: 1.02 p.m. 25th January,1952.
R: 1.18 p.m. 25th January,1952.

IMMEDIATE.
TOP SECRET.

Addressed to Foreign Office telegram No: 153 of 25th January

Repeated for information to: Washington.
Memin Fayid.
C.-in-C. Med..

Your telegram No: 164: Operation Rodeo.

I spoke to my United States colleague this morning, explaining to him the necessity of our action against auxiliary police in Ismailia. He had, a few moments before seeing me, received a telegram from London giving the gist of what had been passed by you to United States Ambassador there on whole subject. Mr. Caffery's reaction was good. He did not (repeat not) question the necessity for measures we are taking in the Canal Zone and was glad to hear that I had been authorised to discuss and if possible agree with him any recommendation he might make about putting operation Rodeo into action.

2. It was clear from the telegram Mr. Caffery shewed me, that Admiral Carney was being kept informed.

3. I have arranged to see Chief of Royal Cabinet this evening and will speak as directed in your paragraph 4. (See also in this connexion my telegram No: 150).

Kemin Fayid please pass C.-in-C. Med. as my telegram No: 4. Foreign Office please pass to Washington as my telegram No: 42.

[Repeated to Washington].

ADVANCE COPIES:

Sir W. Strang. Private Secretary. Sir P. Dixon.
Mr. Bowker. Head African Dept.. Head News Dept..
JJJJJ

وَثائِق الفَصِل الثَالِث

وثيقة (١)

Serious rioting has broken out in Cairo and large crowds are on the streets setting fire to cars and buildings. I have confirmed information that the (British) Turf Club, four cinemas and B.O.A.C. building have been burnt and it is feared that British lives may have been lost.

Fire brigades are unable to function as crowds cut their hoses. Police are considering calling in the army.

2. I have been in touch by telephone with the Acting Minister for Foreign Affairs from whom I have received an assurance that the Egyptians are, repeat are, in a position to maintain order and accept responsibility for the protection of British and other foreign lives.

وثيقة (٢)

Egyptian Army have been called out in aid of civil power.

وثيقة (٣)

My telegram No. 174. JE 1018/ 10

A number of buildings have been burnt in the centre of the town including Barclays Bank and places of amusement, cinemas, bars, hotels (including Shepheards) and luxury establishments including Mohamed Ali Club and R.A.C. (particularly associated with the King). Crowd appear to be as much anti Pasha as anti-British and have been shouting slogans against the King, Hafez, Afifi, Haidar etc.

2. Arson is by means of incendiary bombs.

3. Army detachment have reached centre of town.

4. Police state that martial law has been declared by the King at request of the Government.

وثيقة (٦)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

En Clair

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson.

No. 243 D. 5.12 p.m. 29th January, 1952.

29th January, 1952. R. 6.13 p.m. 29th January, 1952.

IMMEDIATE

JE 1018/31

Addressed to Foreign Office telegram No. 243 29th January.
Repeated Immediate to Memin (Fayid).

Our telegram No. 203 (of January 28th).

Following is text of statement given at Embassy press conference this afternoon.

[Begins].

Following upon the attack on the 26th January by an Egyptian mob and the deliberate destruction by fire of the Turf Club, three bodies were discovered during Sunday the 27th. Six more bodies have since been recovered, one of which was that of a woman. Four bodies were quite unidentifiable. This brings the total number of British casualties to 9 dead, one missing assumed dead and four injured and in hospitals. The British casualties were for the most part people no longer young, one of the killed was over 80 and one of injured over 70 years of age. The attack on the Turf Club appears to have been carefully planned and evidence shows that several of those who died were deliberately and brutally murdered, and not overcome by the fire. It will be some time before any detailed assessment can be made of the losses sustained by British interests but they may be provisionally estimated as perhaps of

the order of not less than £5,000,000. These British losses comprise, however, but a comparatively small percentage of the total damage done to the centre of Cairo by the rioters and several other foreign communities, such as the French, Greek, Swedish, Lebanese, Dutch and Swiss, which also suffered heavily. The losses of the Greek community are particular serious. Individual observers estimate that total damage to property is not less than £25,000,000 and may well be as high as £50,000,000.

ADVANCE COPIES:-
Sir W. Strang, Head News Department
Private Secretary,
Sir P. Dixon,
Mr. Bowker,
Head African Department,

kkk

وثيقة (٧)

4. This evening's press publishes text of reply sent to all other Missions who had presented Notes about 26th January. This reply is on same lines as that sent to us but does not mention the question of official connivance and refers only briefly to the demonstrations resulting from the events of 25th January in Ismailia.

Latest reports give British casualties as 4 injured and in hospital and 13 missing. There are strong presumptions that 4 of latter and possibly more are dead including Canadian Trade Commissioner, Mr. Boyer. Main residential quarters Zamalek and Giza have not been affected and garden city is surrounded by police.

2. General impression is of revolutionary outbreak being put down ruthlessly but inefficiently by army in relatively small area in centre of town. Army shooting to kill in spite of some hesitation and shooting in air some hours ago. But evidence about efficiency of army is conflicting. There are certainly no properly organised posts or barricades to stop crowds moving from one part of town to another.

3. Eye witnesses this afternoon are emphatic about degree of organisation and discipline shown by incendiarist in early stages. Squads were led by young men of Effendi class who ordered their followers not to appropriate or loot but to continue on apparently planned programme of destruction of selected targets.

4. No (repeat no) reports of any disturbances in the provinces. All quiet at Alexandria earlier this evening.

وثيقة (٩)

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HER BRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

1018/36

SECRET

Foreign Office and Whitehall Distribution

ARCHIVES

EGYPT
31st January, 1952
Section 1

JE 1018/36

THE RIOTING AND ORGANISED FIRE RAISING IN CAIRO ON 26th JANUARY

Chancery (Cairo) to African Department. (Received 31st January)

(Secret) *Cairo,*
Dear Department, *30th January*, 1952.

We are, of course, making the fullest possible investigation into all aspects of the rioting on 26th January but it will be some time before we can sift the hundreds of individual reports, which we have set up a committee to investigate. Meanwhile we are sending this letter to amplify our telegrams. It has had to be written very hastily and with incomplete information, which, under the present conditions of martial law and a high state of tension, is hard to obtain—and when obtained—to confirm.

2. The first sign and to a considerable extent the cause of the trouble may well have been a demonstration of auxiliary policemen (Buluk al Nizam) in front of Abdin Palace at about half past ten on the morning of 26th January. Other auxiliary police went to one of the universities to incite the students, in which they were successful. The auxiliaries tore off and threw away their uniforms and a demonstration, marching towards the centre, soon developed into a riot. A café nearby was set on fire. (It is reported but not confirmed that the café was burned after an altercation with two Egyptian officers who were seen inside and accused of cowardice for not being in the front rank in Ismailia).

3. Very shortly afterwards, an entirely first buildings to be set on fire and was followed shortly afterwards by the other buildings listed in paragraph 10 below, together with most of the cinemas in Cairo, a number of well-known cafés and restaurants and some of the biggest department stores. The activities of these organised fire-raising gangs continued for several hours. They were, of course, accompanied by general rioting and looting by the Cairo mob which invariably collects on such occasions, but all eye-witnesses make it clear that two entirely different bodies were at work; the uncontrolled mob which was looting and these organised gangs which were deliberately and efficiently destroying without any thought of loot.

4. As far as we know, no British lives were lost except in the Turf Club. Accounts of what happened there are still incomplete but we have at least the following information. The first and one of the most significant facts is that during the morning a police guard outside the Turf Club, which, in view of constant anonymous threats, is normally kept at a strength of about forty, suddenly reduced itself to four policemen. While general mob rioting was taking place at one end of the street in which the club is situated, a gang of some forty or fifty men arrived suddenly from the other end of the street, made straight for the club, broke

different form of violence developed. Gangs apparently numbering between twenty and fifty appeared in various parts of the centre of Cairo and began to set fire to buildings. It is clear from all eye witness accounts that these gangs were excellently organised and were carrying out preparations made well in advance. In most cases they brought with them all the equipment necessary for fire-raising and in one case, for a building (Cairo Motors) where steel shutters had been installed about a month before to protect the Rolls Royces and Bentleys of very considerable value, this equipment even included an oxyacetylene cutter. The Turf Club, which is a purely British institution, was one of the down the very heavy doors with battering rams which they had conveniently brought with them and set fire to the building with bundles soaked with kerosene which they had also brought with them. As you know, the bodies of nine British subjects have been recovered and no hope now remains for one other British subject who was last seen in the building. To confirm our telegrams we enclose a list of the casualties.

5. It seems certain that the gsng which fired the Turf Club intended the murder of British subjects. Mr. C. F. A. Jones of the British Council was deliberately murdered after he had descended from the top floor of the building on knotted sheets. He was

knifed by the mob and we are told that his body was then soaked in petrol and burned. A Greek employee of the club, however, was allowed to pass through the crowd after he had proved that he was Greek, which both shows the unprecedented degree of discipline maintained by the fire-raising gang and implies that he would not have been allowed to pass if he had been British. On the other hand, an elderly British member of the club was also given the equivalent of safe conduct although he was certainly known to be British. While this, of course, in no way affects the legal guilt of those concerned, it seems possible that the intention of the leaders at any rate was to destroy property rather than life. There was certainly no attempt at a general massacre of British subjects throughout the city. In at least one case, however, it is clear that, having set a building on fire those concerned were determined that no one in it should escape. The British manager of the Rivoli Cinema was pursued through the maze of rooms in the burning building for 3½ hours by members of the gang responsible, whose intentions towards his life were in no doubt whatever.

6. Except in the immediate vicinity of this embassy, an area which includes the houses of Nahas and Serag El Dine Pashas, the police proved entirely incapable. Many of the police evidently knew what was to come and kept out of the way. Some, both regular and auxiliary, are known to have given the gangs direct assistance.

cause disorders." This was followed by the promulgation of a royal decree declaring martial law and appointing Nahas as Military Governor and Abdel Fattah Hassan as *Censeur Général.*

9. There was naturally a certain amount of looting in burning buildings during the night and sporadic small-arms fire was heard throughout the city. It appears that the army were firing from time to time in order to keep people in their houses. By Sunday morning the situation, although remaining, as indeed it still does, extremely tense, was temporarily at least under the control of the army. Armoured cars and lorries were and have since been patrolling the streets and army detachments are stationed at all strategic points.

10. The damage to British-owned property and British-controlled businesses is very considerable. Barclays Bank's main Cairo branch, the B.O.A.C. offices, the tourist department of Thomas Cook, W. H. Smith & Sons, the Rivoli Cinema and a number of other premises were either completely destroyed or very severely damaged. Even a full list of these, however, would not give a complete picture of the loss sustained by British commerce. Many of the non-British establishments that were destroyed were either agents for, or dealt in, British goods. Even given the most favourable circumstances, it must be some time before British commerce in Cairo can reach its former level. A further important result of the

7. The army was called in at some time before 4 p.m. and arrived in the centre of the town between 5 p.m. and 6 p.m. At the time this move did not appear to have immediate effect but we now think it probable that the appearance of the army put an immediate stop to the activities of the organised fire-raising gangs and left only a general, but in fact much less formidable, mob for the army to control. By 9 p.m. or thereabouts the army appeared to have the situation in hand and before mid-night many of the fires had either been put out or burned out; nevertheless, the fire brigades were working throughout the night and the next day. While the fire-raising was at its height, the fire brigades had been systematically prevented from working. There is considerable probability in the general impression that if it had not been a windless day most of Cairo to the east of the Nile would have burned.

8. Shortly before midnight Nahas Pasha broadcast a vicious speech against " British unbelievers and aggressors who despoil the countrv " and " traitors in our midst who

damage to commercial interests is that perhaps 10–15,000 people have been sddenly thrown out of work with no immediate prospect of regaining it. (The Commercial Secretariat has already an impressive list of businesses that have been destroyed and is reporting separately on this aspect.)

11. As we have said above the fire-raising was carefully organised and prepared, and the work of gangs which displayed an efficiency and discipline probably without precedent in the history of Egyptian rioting. We cannot tell yet which of the obvious suspects were responsible for this organisation. Several independent sources maintain that Ahmed Hussein, leader of the Socialist Egypt Party, was the organiser and another source confirms this but adds that Ahmed Hussein was working with the direct assistance of Serag El Dine, the then Minister of the Interior. Other reports maintain that at least individual members of the Moslem Brotherhood took part and inspired the many fires started in cinemas, cafés and bars. Members of the Peace Movement certainly played an active part and some senior police officers maintain that they were the primary organisers. All these interpretations are perfectly possible. In fact it seems certain that some members of all three bodies must have been concerned. On the whole, we think that the planning may have come from that part of the Moslem Brotherhood which objects to its present leader's moderate policy with the direct or indirect assistance of the Socialist Party and the Peace Movement. We do not believe Ahmed Hussein capable of so expert a feat of organisation. If the organisation came from the Peace Movement then for similar reasons we believe it must have come not from one of the overt leaders but from some really expert Communist organiser lying hidden in that Movement. This seems quite probable.

12. The new Government is known to be making a very serious search for those responsible. Ahmed Hussein has not yet been arrested, but active measures are being

the cinemas, the Pashas' clubs, the bars and cabarets frequented by the idle rich were attacked more as part of the morality drive begun by the Moslem Brotherhood and the big stores from a general feeling that their prices make them establishments only for such people. We think it certain that among the mixture of motives there was a strong element of plain revolutionary feeling. This is a point which can be legitimately and strongly stressed in our publicity. The classification of this letter as Secret applies only to paragraphs 11 and 12.

14. We apologise for all the " mays " and " mights," but it is impossible at this stage to be more specific.

Yours ever,

CHANCERY.

Enclosure

taken to find him; others caught so far may number 300 to 400, amongst whom are the leading members of the Peace Movement and the most notoriously extreme member of the Nationalist Party. It is as yet far too early to say what is likely to be the result of this wide sweep and the subsequent investigation, but it is satisfactory to know that at least such measures are being taken.

13. It is equally difficult to establish the motive entirely precisely. Anti-British feeling following the Ismailia incident, of course, played a very strong part, but it was almost certainly not the only motive. As we reported in our telegram No. 240, Dr. Hamid Zaki Pasha, the former Minister of National Economy in the Wafd Government, said in the Senate on 28th January that social and economic factors were at least contributory causes. This is surely true. The fire-raising gangs obviously worked with lists of buildings prepared well in advance. Although the first buildings on the list were certainly specifically British, there was just as much premeditation in the attacks on cinemas and department stores which were not British-owned and must have been known not to be British-owned by people as well informed as the organisers of the arson. This could be put down to xenophobia in general as distinct from anti-British feeling, but we think it probable that

Five Persons killed and their bodies identified

Mr. J. I. Craig (ex-Egyptian Ministry of Finance).

Mr. H. A. Kennedy (ex-Public Instructor).

Mr. McLeod Boyer (Caandian Trade Commissioner).

Surgeon Commander W. S. Miller, R.N. (attached to N.A.M.R.U.).

Mr. C. F. A. Jones (British Council).

Five Persons missing, presumed killed

(Only four bodies, all of which are unidentifiable, have been recovered. One of these bodies is a woman's.)

Mr. and Mrs. D. S. Crawford (University Lecturer).

Mr. N. Williar.. on (Cairo manager of Mitchell Cotts Limited).

Mr. E. Waldmayer (British Tabulating Machine Company).

Mr. G. J. J. Thib.. t (British Tabulating Machine Company).

Four Persons injured and in hospitals

Mr. N. Thomas (secretary of Turf Club).

Mr. I. Kilpatrick.

Mrs. C. M. Reid.

Judge Barne (formerly judge in the Mixed Courts).

REPORT

OF THE

BRITISH EMBASSY COMMITTEE OF ENQUIRY INTO THE RIOTS IN CAIRO ON THE 26th JANUARY 1952

Chairman	-	Mr. M.T. AUDSLEY, C.M.G. Counsellor (Labour)
Members	-	Mr. A.H. KING, Consul General, Cairo.
		Mr. MARCUS HILL, O.B.E., representing the British Chamber of Commerce
		Mr. J.B. FLUX, M.B.E., First Secretary (Commercial)
		Mr. C.J.H. FOULKES, Attaché.
Secretary	-	Mr. K.H. C. UCAS, Second Secretary (Labour)
Asst. Secretary	-	Mr. D. KEOWN-BOYD

- 33 -

CHAPTER XII - CONCLUDING SUMMARY

In the preparation of the preceding Chapters, the Committee have been guided only by accounts they have received from eye-witnesses of actual incidents and by information supplied through reliable sources regarding matters closely related to the events on the 26th January. To this extent, the statements used are factually correct and the Committee's conclusions therefrom, where given, are considered to be justified. But the whole of the facts are not known to the Committee; they can only be available to the Egyptian Authorities, who may in due course disclose the full story, either by a public statement or by means of criminal or other proceedings against persons alleged to have been directly or indirectly responsible for the shocking happenings on the 26th January. Up to the present, the Egyptian Government has made no statement about the riots, nor has it allowed any accounts of the day's happenings to be published in the local press.

2. Meanwhile, the Committee draw attention to the following major issues arising out of their study of the documents before them:

(a). For the reasons given in Chapter I, the late Egyptian Government must be held entirely responsible for creating the conditions which made it possible for the fire-raising plan to be put into effect. On this issue, the Committee endorse wholeheartedly the firmness and justification of the relevant paragraph in the Protest sent by the British Embassy to the Egyptian Government on the 6th February, which for convenience of reference is repeated below :-

> "It was evident for some time before the occurrences described above that the Royal Egyptian Government then in power was indifferent to the maintenance of public order and security in the country. Its overt and covert encouragement of criminal elements, the inflammatory speeches by responsible Ministers and others, its indifference to private and public threats to lives of British subjects, its active encouragement of attacks on the British forces, its negligence in permitting the violation of international and municipal law, made the shocking occurrences of 26th January a logical outcome of its policy".

(b) There is little doubt in the minds of the Committee that Ahmed Hussein and his Socialist Egypt Party were the principal designers and executors of the main destruction, and this view is held by many experienced observers, but there is no actual proof available to the Committee. On the other hand, it is known that Ahmed Hussein was kept liberally supplied with money by Fouad Serag El Din, the purposes of which may well have included the satisfaction of the latter's anti-British venom by one means or another; there are strong reasons for believing that on the night of the 25/26th January, Abdul Fattah Hassan Pasha (possibly as the emissary of Foued Serag el Din) entered into clandestine negotiations with Ahmed Hussein to stage an anti-British demonstration of limited scope the following day; it has been confirmed that occupants of several cars and jeeps seen frequently at many of the fire-raising incidents were Ahmed Hussein's followers, some of whom were seen to take part in attacks. In spite of the absence of factual proof, the Committee consider there is no reasonable doubt of the complicity

/of....

of Ahmed Hussein - and his patrons Fouad Serag El Din and Abdul Fattah Hassan. Ahmed Hussein has long been recognised as the most dangerous and clever gang-leader

in the country, and it is not surprising to hear that he has endeavoured to arrange an apparently good alibi for himself for the 26th January. The Committee asked how it came about that Ahmed Hussein's fire-raising plans were not known to the security authorities who normally take measures to frustrate such riotous action and the explanation was that they had been kept completely in the dark by the two ex-Cabinet Ministers mentioned as to the full extent of the financial assistance to, and encouragement of, Ahmed Hussein, and of the supplies of arms, ammunition, and explosives given to him from Government sources.. The good faith of the informants who made those statements is not questioned by the Committee. There have been rumours circulating in Cairo for some time about the financial assistance mentioned and if one or both of the ex-Cabinet Ministers were able to conceal the true facts from the security authorities concerned, it is a tribute to their masterful duplicity.

(c) In view of the prevalence of the theory that the Ikhwan al Muslimeen played an active part in the riots of 26th January, the Committee think it pertinent to put on record that the responsible Egyptian authorities are reliably reported to have obtained no proof of their complicity as an organisation. The Egyptian authorities concede, however, that as individuals many of its members may have exploited the situation as it developed. The nature of the outrages committed on 26th January was in many instances entirely consistent with the known fanatical ideals of the rank and file of the organisation which has a notorious and unsavoury reputation for acts of terrorism.

(d) It is known that since the riots of 26th January and the subsequent change of Government many Communists and supporters of the "Peace" Movement have been arrested by the authorities. This poses the question whether the "Peace" Movement and the local Communist organisations were parties to the outrages. The evidence so far available to the Egyptian security authorities does not indicate that they were collectively responsible for any of the attacks, though it is believed that as individuals they seized the opportunity to put their declared subversive aims into effect. The reason for members of these organisations being arrested en masse is that they have consistently advocated the subversion of public order in their propaganda.

(e) In paragraph 10 of Chapter I, reference is made to the demonstration of the Buluk Al Nizam and University students on the morning of the 26th January. The Committee consider that this demonstration was no part of the pre-conceived fire-raising plan, but that it did provide a visible opportunity for the plan to be put into operation.

(f) The Police Force has come under criticism for apathy as well as inefficiency - see Chapter VII. From the evidence available, it appears that the police may have received orders to allow the initial demonstration by the Bulük Al-Nizam and University students to run its course with an imprudent degree of latitude, but the questions asked in paragraph 17 of Sir Thomas Russell Pasha's memorandum in

/Appendix B...

Appendix B are distinctly pertinent to the period following the first fire in Ibrahim Pasha Midan - see Chapter II. The answers to these questions are not known to the Committee but it is known that the higher authorities of the Government did not take the normal pre-riot precautions to which Sir Thomas refers and did not take effective counter-measures immediately fire-raising first occurred about noon in the Ibrahim Pasha Midan. The Commandant and Assistant Commandant of the Cairo City Police are stated to have given conflicting and contradictory orders, with the result that the full resources of the force were not employed. It has been recorded in Chapter VII that individual policemen looted with the mob and impeded the fire brigade in the discharge of its duties, but there is no evidence to show that the Force was a party to a pre-conceived plan for the fire-raising attacks as they eventually developed. The Committee have been informed that a qualified Egyptian official observer has expressed surprise at the dispositions of the police and auxiliaries on the 26th January and at the total inaccessibility of the Assistant Commandant throughout the disorders - he was an amused spectator when the Rivoli Cinema was burning, as mentioned in paragraph 1(c) of Chapter VII - but in the opinion of the Committee it was not necessarily the dispositions of the Police which were at fault; it was the complete absence of prompt authoritative instructions and the will to carry them out and to see that they were obeyed which enabled the mob to rule the City from noon onwards. It has been said that some 500 determined rioters held Cairo at their mercy for several hours. If they had been challenged at the beginning by an armed and equally determined police force, or had the Army been brought in as soon as the police were known to be unreliable, it is contended that the whole plan would have collapsed almost immediately. In the view of the Committee, the failure by the Government for whatever reason, to ensure that the Army was available and was brought in to restore order when it was apparent that the situation was out of hand, was the major crime.

(g) In spite of the confusion which there seems to have been over orders issued to call out the Army - the first appeal was made about noon, final orders for the Army's intervention did not become effective until 4 p.m., and it was considerably later that it effectively intervened - the Army comes under no suspicion of having taken part in the disorders.

3. The Committee wish to place on record their indebtedness to the many persons who have rendered invaluable assistance to the Enquiry by furnishing at short notice eye-witness accounts of various incidents. Not all of them were British subjects and some had not completely recovered from the shock of their experiences. The Committee consider it appropriate to attach

/to their....

to their Report, four personal accounts in order that the extent of the cooperation they have received may be appreciated. They are Appendices "C", "D", "E", and "F".

A.H. KING

J.B. FLUX

MARCUS HILL

C.J.H. FOULKES

Members

M.T. AUDSLEY
Chairman

DAVID KEOWN-BOYD
Assistant Secretary

K.H. CLUCAS.
Secretary

BRITISH EMBASSY.

CAIRO.

11th February, 1952.

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

n Clair. E 1018/ 114 FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

ir R. Stevenson
o: 551.
8th March, 1952.

D: 11.42 a.m. 18th March,1952.
R: 1.53 p.m. 18th March,1952.

Addressed to Foreign Office telegram No: 551 of 18th March
epeated for information to: Memin Fayid.

Political Situation.

Ahmed Hussein, leader of Socialist Egypt Party, was esterday sentenced to eighteen months imprisonment for ress offences (presumably) lèse majesté. No advance ews of the trial was published.

2. A.H. has been under arrest for some six weeks n connexion with events of 26th January. His sentence or Press offences suggests that it has been impossible o obtain sufficient evidence to support a charge of nstigation to riot.

وثيقـة (١٥)

3. The Minister affirmed that he was fully conscious of the lack of confidence in Egypt's stability resulting from the failure to deal properly with the consequences of the riots on January 26th. This was shown by the amount of Egyptian money /clandestinely

clandestinely leaving the country. This situation must and would be remedied. He assured me that I need have no further qualms about compensation. This would certainly be paid. Moreover, he had high hopes of the death penalty being accorded to Ahmed Hussein and his associates for their instigation of the riots. (He had made it clear some time ago to his senior police officers that if the necessary evidence were not forthcoming, they themselves would be hailed before the courts. It was duly produced.)

وثيقـة (١٧)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 848
13th May 1952

D: 8.29 p.m. 13th May 1952
R: 9.52 p.m. 13th May 1952

CONFIDENTIAL

E 1018 | 153.

Addressed to Foreign Office telegram No. 848 of 13th May
Repeated for information to Memin Fayid

Please see my immediately preceding telegram.

Only one of the four accused not mentioned by name in my telegram under reference is an office bearer of the Socialist (Egypt) Party. Some other leading members are imprisoned but no charges have yet been made against them. There are reports that if the coming trial succeeds the party will be prescribed but the present case is against Ahmed Hussein rather than the party as a whole.

2. The emphasis of the indictment is on instigation and complicity rather than actual participation in the crimes. The published evidence to shew that most of the accused actually directed operations seems reasonably good but it is much too early to count on the death sentence which the Parquet are demanding.

3. The indictment avoids all reference to the Turf Club. It is, however, reasonably satisfactory for our purposes since it contains a certain amount of material exposing the liberation squads and, as supporting evidence of criminal intention, some details of the Socialist Party's attempts to intimidate British businesses.

4. Two Wafdist ex-Ministers, Abdul Fattah Hassan and Abdul Maguid Abdul Haqq, are among the witnesses for the prosecution. This should ensure that the defence retaliates with statements incriminating the Wafd.

وثيقة (١٨)

No. 103
(10111/180/52)

RESTRICTED.

J E 1018/140

BRITISH EMBASSY,

CAIRO.

15th April, 1952.

Sir,

I have the honour to report that for the past month a series of trials have taken place of persons accused of crimes committed during the riots on the 26th January.

2. The Higher Military Court established to try these cases began its hearing of the first of them on the 11th March. Nineteen prisoners were accused of arson, looting, the destruction of goods and demonstrating while carrying firearms. Four of them were reported by the press to be students and the remainder persons of the labouring class. Five were sentenced to terms of between 8 and 10 years penal servitude, others to smaller sentences and eight acquitted.

3. Subsequent trials followed almost precisely the same pattern with approximately one third of the accused in each case receiving sentences of as much as 14 years imprisonment, one third receiving shorter sentences and the remainder being acquitted. It soon became clear that the accused in all cases were not those persons responsible for the organisation of the riots on the 26th January but merely common criminals and looters, many of whom probably gathered after the original attack on each establishment had been made. Few were arrested on the spot and the majority seem to have been traced through the possession of stolen property. Only a very small proportion were in any sense educated persons. For these reasons the trials have been of little interest and I have no reason to report them in detail. The trials which might be of direct concern to us, such as those of persons responsible for the burning of the Turf Club or Barclays Bank, have not yet been held.

4. The police are, I understand, holding only one prisoner suspected of responsibility for the attack on the Turf Club. This is not surprising since that attack was conducted by an organised gang and there was nothing in the Club to attract the common criminals and looters who have appeared as defendants in this series of trials. The police have failed to lay their hands upon any large number of those who were responsible for the organisation of the riots. Where they hold prisoners such as the President and Vice-President of the Socialist (Egypt) Party, who are believed to be responsible, they appear unable to produce sufficient evidence to justify prosecution.

5. Trials of looters and demonstrators still continue. Although noticeably lighter sentences are now being passed, and although the major criminals responsible for instigation and organisation are still unpunished, these trials have at least provided exemplary punishment for some of those who took advantage of the riots to loot and to destroy. Meanwhile, and probably because public interest is rapidly fading, the President of the Higher Military Tribunal, Hussein Tantawi, has thought it necessary to issue a lengthy judgment applicable in general terms, to all the cases which have been brought before him. He said that these criminals would have been partly justified if they had assembled and marched with their arms to face the "usurper" in the Suez Canal Zone, but that their barbarous behaviour in the capital was disastrous to Egypt and would do no harm to the "Imperialist". The Tribunal did not consider it improbable that a "foreign hand" had hired these evil elements for its own ends. Agitators had for long been trying to excite the feelings of a simple people anxious to defend their rights which had been violated "by rich and influential Egyptians and foreign residents". The repeated aggressions of the "despotic Imperialist" had produced fertile soil for this propaganda and agitators had distributed themselves throughout Cairo. The situation was made more dangerous by the failure of many members of the police to carry out their duties and if it had not been for the help of the Army the agitators would have attained their object and destroyed Cairo.

The Right Honourable
Anthony Eden, M.C., M.P.,
Foreign Office,
LONDON, S.W. 1.

6. /...

6. No great attention need be paid to this tendentious judgment. Egyptian judges almost invariably indulge in political statements when trying political cases and Tantawi's remarks are not much more than an echo of those made by Nahas Pasha on the night of January 26th itself. The attribution in a judicial decision of responsibility to the police may even be of assistance to us in the presentation of British claims. But the most curious feature of these legal proceedings is that after two months of investigation and hearing of evidence there still is no precise indication as to the identity of the actual organisers of the riot.

I have the honour to be,
With the highest respect,
Sir,
Your most obedient, humble Servant,

Ralph Skrine Stevenson

وثائق الفصل الرابع

وثيقــة (٢)

FROM FOREIGN OFFICE TO CAIRO

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on]

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

No. 203
27th January 1952

D: 6.40 p.m. 27th January 1952

EMERGENCY
SECRET

Addressed to Cairo telegram No. 203 of 27th January
Repeated for information to Washington
Memin Fayid

Your telegram No. 198.

It is difficult to give you instructions without knowing what the King is likely to say.

2. You are aware of my general attitude towards the possibility of resuming negotiations from my previous telegrams (see in particular my No. 1687 and No. 1726 to you and record of my conversation with Egyptian Minister for Foreign Affairs in November).

3. You should of course do your utmost to prevent the adoption by the Egyptian Government of drastic anti-British measures such as rupture of relations and still more expulsion of British nationals. You should make it perfectly clear that if the latter step were taken, His Majesty's Government would have no alternative but to react strongly - I could hold out no hopes that we should modify this attitude even in return for the prospect of resuming negotiations with a new Egyptian Government at a later stage.

4. For your own information, we should probably be obliged to take economic action.

5. As regards the Sudan, you will have seen Khartoum telegram No. 18 [of 21st January]. You could say that you knew I have been trying hard to find a solution, but recent Egyptian action in regard to the Sudan has caused such difficulties that you can hold out no present hope of any concession on the question of the King's title.

QQQ

وثيقة (٣)

Registry No. 1016 JE 1052/16

F.O. (Date) 27/1

IMMEDIATE

CYPHER

Despatched 3.20 p.m.

OUTFILE

Confidential

Draft.

Telegram to :— WASHINGTON

No. 555

(Date) 27th Jan.

Repeat to :— CAIRO (IMMEDIATE) 194

MEMIN FAYID 145

RECEIVED IN C.E. 28 ...

[Security classification — if any] CONFIDENTIAL

Addressed to WASHINGTON telegram No. 555 (date) 27/1

repeated for information to CAIRO (IMMEDIATE), MEMIN FAYID.

Egypt.

I saw the U. S. Ambassador this morning. I told him that it was to be expected that the Egyptian Government might now sever diplomatic relations and expel British subjects. I told him that in the event of the expulsion of British subjects, H.M.G. would be obliged to retaliate at least to the extent of applying economic sanctions. This would be very harmful

NOTHING TO BE

W.13187/112 75,000 3/48 A.& E.W.Ltd. Gp.398

Cypher.

Distribution :—

F.O.& Whitehall

to Egypt and make still more remote the possibility of an eventual settlement.

5. The Ambassador undertook on my suggestion to telegraph immediately to Washington urging that the U.S. Ambassador at Cairo (who I said had already been most helpful in counselling moderation) should be instructed to do what he could to dissuade the Egyptian Government from resorting to these measures and to ~~point out~~ warn them of the effects of expelling British subjects.

27/1

وثيقة (٥)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 179
26th January, 1952

D. 7.00 p.m. 26th January, 1952
R. 7.28 p.m. 26th January, 1952

IMMEDIATE
SECRET

JE 1018/ 11

Addressed to Foreign Office telegram No. 179 of 26th January.
Repeated for information to Washington and Memin (Fayid)

My telegram No. 174: Attitude of King and Government.

Amr Pasha called on me this evening at his request and told me that this morning Hafez Afifi Pasha was apparently determined to advise the King to change the Government immediately. This afternoon however Afifi Pasha had avoided the subject when discussing the situation with him. He did not wish to imply that Afifi had changed his mind and it might have been that he had learned something more about the King's attitude in the meantime.

2. He is now returning to the palace and will advise Afifi Pasha that as the King received the United States Ambassador today it would distract from the attention which would otherwise be given to an audience for me and thus would not (repeat not) put the King in a difficult position if he were to receive me.

3. In Amr's opinion it would be a good thing if I could bring it home to the King himself that we were deadly serious and were ready to move at short notice if need be to protect British lives.

4. Amr Pasha also undertook to remind Ibrahim Farag Pasha that I was awaiting some further communication from him in regard to the representations I had made to him this afternoon (see my first unnumbered telegram).

5. What Amr Pasha found very disquieting was the underlying belief in the minds of Egyptian leaders that the United States were not (repeat not) whole-heartedly with us in our attitude towards Egypt and that they might again exercise the restraining influence that had been apparent in the case of Persia.

Foreign Office please pass to Washington as my telegram No. 49.

[Repeated to Washington].

ADVANCE COPIES:

Sir W. Strang	Head of African Department
Private Secretary	Head of News Department
Sir P. Dixon	Resident Clerk

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE.

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP.

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION.

Sir R. Stevenson.
No: 198.
27thJanuary, 1952.

D: 12.52 p.m. 27th January,1952.
R: 1.11 p.m. 27th January,1952.

EMERGENCY.
SECRET.

JE 1019/22

Addressed to Foreign Office telegram No: 198 of 27th January

Repeated for information immediate to: Washington.
Memin Fayid.

My telegram No: 188.

Chief of the Royal Cabinet has just telephoned to inform me "very secretly" that there will be "a change for the better very soon probably tonight". He could say no more over the telephone. I asked him about my audience with the King and his reply was that it would take place soon after the change.

2. I find it difficult to believe in view of the King's attitude (my telegram No: 195) yesterday that any change he may make bodes well for Anglo-Egyptian relations but it is certain that no other Government could be more ill-disposed towards us than the present one.

3. If a change does in fact occur and I am summoned by the King I would be grateful for immediate instructions on what I can say to him for his personal information, particularly in regard to the Sudan issue.

Foreign Office please pass immediate to Washington as my telegram No: 60.

[Repeated to Washington].

ADVANCE COPIES:

Private Secretary. Sir W. Strang. Mr. Bowker.
Head African Dept.. Head News Dept.. Sir P. Dixon.
Resident Clerk.

JJJJJ

FROM FOREIGN OFFICE TO CAIRO. وثيقة (٨)

Cypher/OTP. FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION.

No: 190.
27th January, 1952. D: 3.20 a.m. 27th January,1952.

IMMEDIATE.
CONFIDENTIAL.

Addressed to Cairo telegram No: 190 of 27th January
Repeated for information to: Moein Fayid (Immediate).
Washington (Priority).

You have all our support in your anxious situation. We are much impressed by the coolness and resolution of your counsel.

2. Viewed from here it would seem that if the Egyptian Army is unable to restore law and order and will ask our help either through the King or Egyptian Commander-in-Chief, this would be the best condition for an intervention and might lead to a solution we should all welcome.

3. This may not be a very likely development, but should such an authoritative approach be made on terms which you consider satisfactory, you are authorised to respond to it in consultation with our Commanders-in-Chief.

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE.

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP. WAR OFFICE DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson.
No: 193.
27th January, 1952.
EMERGENCY.
SECRET.

D: 11.18 a.m. 27th January, 1952.
R: 11.53 a.m. 27th January, 1952.

JE 1018/ 20

Addressed to Memin Fayid telegram No: 183 of 27th January
Repeated for information to Foreign Office (for War Office).
Egypfor.

Following from Military Attaché for Mideast.

[Begins]:

I had long conversation with Staff Officers in Commander-in-Chief's office this morning. I renewed my offer of assistance from British Army, in particular facilitating possible troop movements through Zone from Sinai, and I asked for information about the situation. I was told categorically that no help was needed from us and that the situation was completely under control I asked whether they could deal with possible outbreaks in suburbs or the provinces and was assured on this point but that, in any case, all trouble was now over.

Under martial law arrests of potential trouble-makers would no [grp. undec.] everywhere. Without their disclosing troops now deployed in Cairo, I have gained the impression from this conversation, and from personal observation, that one Brigade of Infantry (probably newly formed 6 Brigade), one Armoured Car Regiment and some Frontier Corps are in the town and that a reserve is still in hand of three Infantry Battalions (lately service battalions now being formed into new 7 Brigade) and one Armoured Regiment still in reserve.

Staff Officers informed me that all sections of population are now solidly against us as result of events in Canal Zone and that any slogans against Government, Haidar or the King yesterday were due to the people criticising their failure to employ the army against us or use more drastic force. I gained impression that army are very bitter against us and will fight it out to the best of their ability should we move to Cairo. In other words they would show fanaticism like Bulag Nizam in Ismailia. They agreed

that arson squads were probably organised by Socialist Party and stated that initial incendiarism started against British institutions only and spread to some other non-Egyptian buildings because some of the mob were out for loot.

Shepheards Hotel was attacked because many British were staying there.

They were convinced that neither the King nor anybody else could dismiss Wafd Government who now had universal backing.

Military authorities were very confident that they could handle situation and stated that initial firing in the air was part of policy to intimidate rioters. Later troops fired to kill so that there was no question of troops not obeying orders if it was necessary to shoot their own countrymen.

My main impression was that anti-British feeling among staff officers had increased noticeably. All these statements made by officers were in answer to questions by me and were not thought up in answer to any information they may have picked up from Ambassador's en clair telegrams.

[Ends].

Foreign Office please pass War Office.

Fayid please pass emergency Mideast.

ADVANCE COPIES:

Resident Clerk.

Head African Department.

وثيقة (١٣)

2. Minister of Interior said he would look into the matter urgently and would let me know. He took the point that you needed liaison on two levels with Governors and police respectively. He said that government were taking energetic measures to collect arms in unauthorised hands and to cope with so-called liberation squads which were a menace to security in Egypt.

3. Deputy Head of Frontiers District Administration has approached Military Attaché and Mr. Hamilton about Suez road and Shell are also very worried about the road tankers. I am much impressed with the arguments for early relaxation of control at Kilo 99 as a gesture of confidence in new government. Freedom transport for oil products and other materials by Suez road will help in reducing cost of living there which is main item on government's programme and will thus strengthen the government hand. Anything we can do to help in this direction would be very valuable politically.

وثيقة (١٤)

First of all with regard to the Canal Zone the Prime Minister said that he had seen the Governors of the Canal Zone and Suez and had given them general instructions to co-operate with us in the restoration and maintenance of order. He had told them that his general aim was to produce a better atmosphere and had expressed the hope that the imprisoned Bulak el Nizam would be released. The Ambassador said that this certainly could be done provided they were taken away from the Zone and that this matter might be left for arrangement between our military authorities and the Governors.

وثيقـة (١٥)

(1017/11/52)

RESTRICTED

BRITISH EMBASSY,

CAIRO.

8th April, 1952.

JE 1015/139

Dear Department,

Two series of transfers of senior police officers and officials in and under the Ministry of the Interior have been announced in the past week.

2. The first which took place on the 30th March concerned seven police officers of the rank of Lieut-Colonel the majority of whom were transferred from Cairo. They were all known sympathisers of the Wafd and the reasons for their transfer obvious. Although there are advantages in getting them out of Cairo it is unfortunate that three have been transferred to unspecified posts in the Canal Zone. We are reporting their names separately to the authorities in Fayid.

3. The major transfer was decided by the Council of Ministers on the 2nd April. It involved the appointment of two Under-Secretaries of State in the Ministry of the Interior, the replacement of the Governors of Cairo, Alexandria, the Canal and Damietta, a reshuffle in the Directorate-General of Public Security, the appointment of 13 Mudirs and appointments in a number of important posts in the police and Ministry of Interior. The purpose of these transfers is partly a continuation of the purge of Wafdist officials but principally to place in posts from which elections can be controlled, men who are considered loyal to the present Cabinet and above all to the Minister of the Interior in person. The most interesting appointment is perhaps that of Lewa Abdel Monsif Mahmoud Pasha as Under Secretary of the Ministry of the Interior, a post of particular importance at election time. He is a Palace man and anti-Wafd, pro-British and hitherto very helpful. The three new Governors of Cairo, Alexandria and the Canal Zone are all close associates of the Minister of the Interior. We have reason to regret the transfer of Ghazali Bey, the former Governor of the Canal Zone, but his new post of Director-General of Inspection and Investigation in the Ministry of the Interior is not the demotion which it might appear. His inspectors will cover all the Governorates and Mudiriehs and their duties are very important during elections.

4. Most of the 13 new Mudirs are also either close friends of the Minister of the Interior or have co-operated with him in the past. They, too, have clearly been chosen in the expectation of strict obedience to any orders they may receive during elections.

5. Some time before the transfers were announced the Minister of the Interior told the press that the police could expect some pleasant surprises. This promise has been fulfilled by the appointment of several police officers, notably Lewa Mahmoud Pasha, to administrative

/posts....

African Department,
Foreign Office,
London, S.W.1.

posts normally held by civilians. The Minister seems to have succeeded in this attempt to gain popularity with the police and the general effect of the transfers is to place him in a particularly strong position with loyal personal followers at all important levels of the machine. Since the Minister is himself a Palace man there is the further consequence that the King is now able to give orders to the police without the knowledge or approval of the Prime Minister.

6. One minor but encouraging result of the transfers is the secondment to the Directorate of Passports and Nationalities of Ali Hassan Dawiah Bey, a member of the Egyptian Foreign Service and, until his present appointment, Minister in the Egyptian Embassy at Rome. This should bring a more civilised perspective in the hideously parochial atmosphere of that Department.

7. We are sending a copy of this letter to the British Middle East Office at Fayid.

Yours ever,

CHANCERY.

وثيقة (١٧)

2. I described the feeling in Britain and among British subjects in Egypt aroused by the events of 26th January. I urged the punishment of those responsible whether for acts of commission or negligence. I emphasised the responsibility of the former Ministers of the Interior and Social Affairs.

وثيقة (١٨)

I have prepared a note of protest which will be handed in on 6th February and given full publicity here at midday 7th February, copies being sent also to all foreign missions in Cairo. My immediately following telegram contains text of this note.

2. I still feel that the Wafd Government have not yet received the censure and condemnation which they deserve and that the attitude of the world press has been rather lukewarm. I hope therefore that fullest publicity can be given to this protest, supported if possible by a statement in the House of Commons.

3. If, as I am sure is essential, we are to get down to friendly discussion with the new Egyptian Government as soon as possible, we must get this other matter off our chests without delay. I do not mean by this that our expression of indignation should be in any way perfunctory; anything of that kind would be misunderstood both by the British community and by the Egyptians themselves.

وثيقة (١٩) (٢١)

You will have received by telegraph an extract from yesterday's foreign affairs debate covering the Secretary of State's remarks about Egypt. I am afraid that we were unable to arrange for the inclusion in the Secretary of State's speech of the kind of passage which you evidently had in mind in your telegram No. 270 of the 31st January, emphasizing the indignation felt in this country about the Cairo riots and the Wafd Government's responsibility for their having ever happened. We brought the Ambassador's views to the Secretary of State's attention, but on consideration he did not feel that he should include more on this topic than he actually did.

2. Meanwhile we have taken the line you suggest with the British Broadcasting Corporation and similiar agencies, and I think one can say that the United Kingdom Press have given pretty good coverage during the past ten days to the events of the 26th January, and the gruesome details which have since emerged.

وثيقة (٢١)

3. Hilali said that he was at present studying the report on the events of the 26th January but that he did not intend to deal with Serag El Din under this heading. His turn would come later as part of the anti-corruption drive. Hilali had deliberately drafted his letter of acceptance to the King at considerable length in order to commit the King publicly to his programme. He believed that the King honestly intended to back him in his purge.

وثيقة (٢٢)

Dear Chancery,

Thank you for your despatch No. 48 of 25th February, enclosing the Report of your Committee of Enquiry into the recent riots. We found the Report of great interest and the information it contains, in particular about the behaviour of the Egyptian police, will, as you say be helpful in supporting British claims for compensation.

2. There seems little doubt that Fuad Serag el Din and Abdel Fattah Hassan encouraged the idea of a fire-raising riot and that it then developed beyond their intentions. The findings of the Parquet on this issue will, as you well know, be of particular importance and we should like to see their detailed conclusions, especially as to the responsibility of the ex-Minister of the Interior.

Yours ever,

AFRICAN DEPARTMENT.

وثيقة (٢٣)

Afternoon press of 18th March confirms that the Prime Minister in his capacity as Military Governor has ordered Serag el Din and Abdul Fattah Hassan to reside respectively at Belbeir (70 miles North East of Cairo) and Bassioun (a small town in Gharbiya province). Abdul Fattah Hassan is deputy for Bassioun. Serag el Din has not been banished to his main estates which are in Gharbiya province but he probably has property in Belbeir.

2. Military pickets in Cairo have been reinforced.

3. All quiet.

وثيقة (٢٤)

Mr. Palmer of the U.S. Embassy came to see me today to pass on the contents of a telegram which the U.S. Embassy had received from the U.S. Ambassador in Cairo. The main points in Mr. Caffery's telegram were -

(a) It would be undesirable for H.M.G. to suggest publicly that they expected a friendly gesture from the new Egyptian Government. In Mr. Caffery's view this would be the "kiss of death" for that Government.

(b) The new Government's first main task would be the restoration of order. The fact that they had received support in Parliament had greatly strengthened their position. The Government as it stood was in Mr. Caffery's view not a bad one.

(c) The King had acted intelligently in giving power to a Government of this kind. If he had called in an Opposition Government, the Wafd would have been in a difficulty about according it support at the outset. As it was the Opposition parties were so delighted at the dismissal of the Wafd that they had had no qualms about supporting the new Government, and the Wafd had fallen into line.

(d) Nahas Pasha and Serag ed Din felt that the King had played a trick on them, in inducing them to declare martial law late on Saturday night when he must have had it in mind to dismiss them. Even as late as 9 o'clock on Sunday evening Nahas and Serag ed Din did not know how they stood, although throughout Sunday they had been feeling that it was increasingly likely that the King would dismiss them. Shortly after 9 p.m. they telephoned to Mr. Caffery with the news of the Government's dismissal.

(e) The King telephoned to Mr. Caffery after the Government's dismissal to the effect that his views regarding his title as King of the Sudan and his antagonism towards the British were unchanged. The British had wanted the Wafd Government out; well, they were out but it should not be thought that any Egyptian Government could be other than anti-British.

(f) Ali Maher had indicated to Mr. Caffery that the new Government would play down the incidents in the Canal Zone.

Roger Allen

30th January, 1952.

وثيقة (٢٥)

The new Government has no unwelcome elements from our point of view, and includes some competent persons. We may hope for better things from the new Minister of the Interior than we had from Serag ed Din, particularly as regards the possibility of co-operation in the Canal Zone.

Ali Maher is an opportunist and has a great capacity for intrigue. At the same time he has good qualities. He is a good disciplinarian, and has been responsible for introducing administrative reforms. Moreover, he appears to be on good terms with the Americans.

30th January, 1952.

وثيقة (٢٦)

I have been increasingly disturbed these last few days by evidence of flirtation with the Wafd by Ali Maher Pasha. The formation of a national front political committee in which the Wafd would be represented is one of the disquieting features particularly as it is reported in the press that Salah el Dine and Ibrahim Farag will be the Wafd's representatives.

2. I called on Hafez Afifi Pasha this morning and spoke to him seriously on the subject. He said that the King (and he himself) were as much disturbed by this tendency on the part of Ali Maher as I was and had charged him to warn the Prime Minister of the danger involved. It was quite obvious that the Wafd were merely trying to rehabilitate themselves and furthermore that any association of them with the negotiations themselves would be fatal particularly if Salah el Dine had anything to do with it. He had spoken on these lines to Ali Maher yesterday and the latter had said that the proposed political committee was merely a facade and that he was keeping the Wafd in play for the moment in order to get over the present difficult period before the forces of order had been reorganised and sufficiently strengthened. The Prime Minister had professed to be aware of the danger but confident of his ability to deal with it. Hafez Afifi Pasha told me that the Prime Minister would shortly be returning my courtesy visit and encouraged me to reinforce what had already

been said to him about the Wafd. I was well placed for doing so as I had had the doubtful pleasure of trying to negotiate with Salah el Dine myself.

3. Another point which I raised with the Chief of the Royal Cabinet was the absolute necessity of pinning the responsibility for the events of January 26th publicly on Fuad Serag el Dine Pasha and Abdul Fattah Hassan Pasha. If this were not done confidence would never be restored and the Wafd would be able to evade their just deserts. Afifi Pasha said that he fully agreed and had discussed this matter also with Ali Maher Pasha. The latter had assured him that the Parquet enquiries were being pressed on with the utmost speed in order to establish clearly the responsibilities. Afifi Pasha told me that he was satisfied that that was in fact being done.

وثيقة (٢٧)

Elias Andraos Pasha, called on me last night at my request. My object in seeing him was to ensure that the King (with whom he seems to remain on closer terms than anyone else) should bring pressure to bear on Aly Maher in the matter of his dangerous flirtation with the Wafd. I emphasised particularly the hopelessness of trying to negotiate with a body such as the proposed National Front Political Committee, if Salah El Din had anything to do with it. I also stressed the necessity of pinning responsibility for the events of January 26th on Serag El Din.

2. As regards the National Front Political Committee I said that, if it was absolutely essential to establish it now, the Wafdist representatives must be chosen from among the moderate members of the party, such as Zaky Al Oraby Pasha, but even so they would be under the influence of Salah El Din. Moreover it was highly desirable to keep negotiations as secret as possible. This would be difficult enough in any circumstances but quite out of the question if a National Front Political Committee had even an advisory rôle in them. I would therefore much prefer to see the formation of the committee postponed until enough progress had been made to give good hope of final agreement.

3. Elias Andraos though a past-master in the art of intrigue (and a monumental liar) lacks political vision and

often fails to grasp the importance of seemingly obvious aspects of a situation. On this occasion however he appeared to be impressed and was attracted by the idea of postponing the formation of the committee. This may not be too difficult as the opposition parties are showing signs of reluctance to cooperate with the Wafd on it.

وثيقة (٢٨)

Andraos Pasha informed me verbally this evening that the proposed national front political committee will not (repeat not) be formed. This is good news.

2. As regards the pinning of responsibility for the events of January 26th on to Fuad Serag el Din and Abdul Fattah Hassan (which I had also raised with him) Andraos Pasha said that he had not had much success so far although the King was in agreement. He was going to continue his pressure. I pointed out that unless the guilty were brought to book, foreign commercial interests in Egypt would have no further confidence in the stability of the country and would inevitably withdraw. Neither I, nor I should think any head of a foreign mission in Cairo would be justified in such circumstances in encouraging our respective commercial interests to remain here. Egyptian economy would suffer irreparable damage and it was therefore more to the advantage of Egypt than of anyone else that the government should act rigorously against the guilty. He fully agreed and repeated his undertaking to work on the Prime Minister.

وثيقة (٣٤)

I have the honour to refer to my telegram No. 404 of 20th February in which I reported that owing to difficulties of assessment it was not yet possible to give a reliable estimate of the total damage done to British property during the civil disturbances in Cairo on 26th January. The assessment of the larger claims is still proceeding, and the following is the position at the present date:-

73 Claims registered at Consular Section Value £E.520,000.

16 Claims registered but amount of loss not stated

7 Claims under Assessment:-

Rivoli Cinema - Odeon (Cairo) Ltd (a Rank subsidiary)
Turf Club
Chemla Building (Proprietor Mr. Aquilina, a Maltese British subject)
Eastern Automobiles Supplies & Transports Company
Imperial Chemical Industries
British Overseas Airways Corporation
Shell Company of Egypt Ltd.

2. Although the claims which are now under assessment represent the larger individual losses it is not thought that the total of all claims, in respect of property only, will exceed £E.2 million.

وثيقة (٣٧)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Mr. Creswell

No. 797
1st May 1952

D: 7.30 p.m. 1st May 1952
R: 8.58 p.m. 1st May 1952

CONFIDENTIAL

JE 1481/47

My telegram No. 784 paragraph 7: Compensation for Riot Damage.

Majority of other missions concerned have now been consulted. They would probably be willing to take parallel action in manner suggested in 3(A) and 3(B) of your despatch 106, but

none of them was particularly keen to take joint action or to set up a joint bureau (point 3(C)). My own view is that any suggestion to the Egyptian Government that Egyptian machinery was insufficient and should be supplemented by some new bureau in which foreign Powers would be represented, would be deeply resented and would make them less inclined than ever to agree to a prompt settlement of claims.

2. General view of diplomatic missions here was that matter would have to be referred to their respective governments before a definite answer could be given.

3. Egyptian Government's attempts hitherto to deal with the matter have not led to any concrete results. Their general attitude to this question and to the other two questions mentioned in my telegram No. 784 is such that we should, I think, consider what means of further pressure are open to us. Recourse to the International Court at The Hague was at one time mentioned by the Swiss Minister but seems possibly less advantageous in the case of claims arising from January 26th riots than it might be in connexion with the rights to compensation of the dismissed British officials.

4. We have, however, a convenient hostage in the Egyptian Government's application (unsupported by the necessary accounts which they are probably incapable of producing) for payment of the balance of the funds in our special cotton profits account at

/ the National Bank....

the National Bank of Egypt. (See Chancery letter to African Department CS 1239/8/52, of 1st April). N/ R XF101 150/20/

The amount standing in this account is about £E 895,000 and although it is not enough to satisfy all British claims mentioned above it would give us something to distribute to British claimants, if it proves that no early payment will be

forthcoming from Egyptian sources. I would suggest that we should hold on to this amount for the present.

5. Possession of this hostage may prove useful if cases are submitted to International Court and we get a favourable ruling which cannot be enforced in Egypt owing to the fact that she did not sign optional clause.

وثيقة (٣٩)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP	FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION
Sir R. Stevenson	
No. 846	D. 11.44 a.m. 13th May, 1952.
13th May, 1952.	R. 2.42 p.m. 13th May, 1952.

PRIORITY
SECRET

Addressed to Foreign Office telegram No. 846 of 13th May.
Repeated for information Washington,
Momin Fayid,
Khartoum,
Ankara, and Saving to Paris.

My telegrams 835 and 837.

It seems likely that we will now be faced with a situation where any progress towards negotiations will be temporarily impossible. This may lead to a return, though under different circumstances, to the political situation of October-January last. The circumstances differ in that the present Government and any likely successor, though taking up an anti-British attitude, would probably not in fact, make such immediate and open attempts to create chaos as the Wafd did.

2. I am brought to this conclusion by the following reasoning. There are only three possible lines on which the situation can develop:

(a) A settlement with Egypt on such terms as to give us confidence that temporarily at any rate, the defence of the Middle East would be assured if our combatant land forces were withdrawn.

(b) The undermining of Middle East defence by the withdrawal of our forces without alternative defence arrangements.

(c) A return to the situation of October-January last.

The Egyptian Government by their insistence on our recognition of the King's title over the Sudan have made (a) impossible of attainment for the present; (b) is clearly unacceptable and therefore we are left with (c).

3. If we are to prevent a repetition of the events of 26th January and to ensure the protection of British lives in the

/Delta, we

SECRET

<u>Cairo telegram No. 846 to Foreign Office</u>

-2-

Delta, we should be ready to take positive action to counter the belief (still I think held by a number of Egyptians) that if we are threatened with violence we will give way. It is thus necessary to demonstrate to the Egyptians that violence on their part will be met by force on ours and the suggestions made in your top secret telegrams 769 and 770 immediately come to mind. It will however be very important that in any action we may take, we would not ourselves start a campaign of mutual intimidation or push things to such an extreme as to provoke hysterical reactions on the part of the Egyptians.

A 1

4. From this point of view I see also every advantage in putting to the forefront of our policy towards Egypt, insistence on full and immediate compensation for both lives and property lost in January, for without such compensation, which must be adequately publicised, the Egyptian man in the street will continue to think that he can do what he likes with impunity to wreak vengeance on British interests here.

Foreign Office please pass Washington, Khartoum and Ankara as my telegrams 161, 170 and 69 and Saving to Paris as my telegram 115.

[Repeated to Washington, Khartoum, Ankara and Saving to Paris].

ADVANCE COPIES:
Sir W. Strang,
Private Secretary,
Sir J. Bowker,
Head African Department,
Head News Department.

kkk

وثائق الفصل الخامس

وثيقة (١)

BRITISH EMBASSY,

ALEXANDRIA.

No.161.S.

1st July, 1952.

CONFIDENTIAL.

E 1019/5

Sir,

Your attention may already have been drawn to a recent article by R. Palme Dutt, the leading theoretician of the British Communist Party, entitled "Egypt's Fight Goes Forward", a copy of which is enclosed. Copies of this article, in the form of a four-page printed broad-sheet with the explanatory note that the article originally appeared in the "World News and Views" of March 22nd, 1952, have recently been received through the post by all the major Egyptian newspapers.

2. It would be surprising if Palme Dutt really believed that the disorders of the 26th January were organized by "secret service...agents," but otherwise the analysis seems to us a genuine appreciation of the situation here as seen by an orthodox Stalinist.

3. Points of particular interest are; the admission that the movement of national liberation before 26th January, as well as menacing imperialism, was "endangering the position of the Egyptian feudal landlords and the big bourgeoisie"; the criticism of the Wafd and the Ikhwan al Muslimeen, with the implicit suggestion that the united front against imperialism will have to be formed without them; the statement that "the conditions are ripe and more than ripe for the development of a broad united national front"; and the encouragement given to the various communist groups to form a united communist party.

4. In the Ambassador's despatch No.111 "S" of 28th April, he speculated whether or not the Politbureau really believed that the stage of a movement of "a mass character" had been reached in Egypt. If they did, there seemed the chance that they might decide the time had come for more energetic action on their part. It is of course impossible to say how much wishful thinking there is in Palme Dutt's article, but on the whole it would seem to suggest that the Communist pundits are reasonably satisfied with the progress that is being made here.

5. We intend to make discreet use of this article locally in order to expose and discredit communist tactics.

6. I am sending copies of this despatch without the enclosure to the Head of the British Middle East Office at Fayid and to the Head of the Information Division of the British Middle East Office at Beirut.

I have the honour to be,
With the highest respect,
Sir,
Your most obedient, humble Servant,

[signature]

The Right Honourable
Anthony Eden, M.C., M.P.,
Foreign Office,
LONDON, S.W. 1.

وثيقة (٢)

Egypt's Fight Goes Forward

by R. PALME DUTT

nurse the injured and wounded. Student organisation and activity rapidly extended. The auxiliary police (*buloks*) repeatedly refused to attack workers and demonstrations, and joined in the patriotic movement. Even the army began to be affected.

The Egyptian working class played a foremost role in the struggle. Alongside the strike of three-fourths of the 50,000 Egyptian workers in the Canal Zone, seamen and dockers boycotted military ships, and wireless workers refused to handle telecommunications of a military and propaganda nature. Trade union organisation was extended and began to show an increasingly militant character. A Preparatory Committee for the establishment of a General Federation of Trade Unions was formed, with 115 unions affiliated; and the founding Congress was to have been held on January 27. Contact was established with the Sudanese trade union movement.

The international associations of the popular movement in Egypt with the world democratic and peace movement were carried forward by the presence of a delegation of the Egyptian peace movement at the World Peace Council meeting at Vienna, and the contact of a representative of the Egyptian trade unions with the World Federation of Trade Unions.

This advance of the popular democratic movement in Egypt had far-reaching effects throughout the Middle East and North Africa. Steps were undertaken to hold a North African Peace Congress in Cairo in February, which would have had the highest significance for the whole Arab world.

It was at this point that imperialism and its agents struck.

Coup of Imperialism and Egyptian Reaction

The sequence of dates is worthy of note.

It was on January 27 that the founding Congress of the Egyptian Trade Union Federation was due to meet. It was in February that the North African Peace Congress was due to meet in Cairo.

It was on January 25-26 that imperialism and its agents struck, with the British military assault and massacre of Egyptian police patriots at Ismailia on January 25, and, in the high tension of public feeling and demonstrations resulting, the organisation through secret service and fascist agents of incendiarism and looting in Cairo as a pretext for the imposition of martial law and dismissal of the Wafd Government.

For imperialism the national upsurge in Egypt, which had compelled abrogation of the unequal treaties and repudiation of the proposed Middle Eastern Command and which threatened to clear all imperialist forces out of Egypt, presented not only a military strategic but equally a political problem for the future of imperialist domination throughout the Middle East.

Field-Marshal Slim had already declared the British viewpoint in the Cairo conversations in 1950:

> "Egypt is the key to the Middle East. Who holds Egypt holds the Middle East."

The significance of the tenacious and ruthless measures to maintain control of the Canal Zone is not only because the key military base and supply depot for the whole Middle East has been established there. At a pinch, with some inconvenience, this could be moved, if it became necessary. But it has also a political significance, for the domination of Egypt is "the key to the Middle East". Success of liberation in Egypt would mean the end of imperialist domination throughout the Middle East.

> "Strategically, it may not be absolutely essential that British fighting formations should be stationed in the zone. In an emergency they could be shipped and flown in from elsewhere. Recent events, however, have shown that *for tactical and political reasons it is desirable to have an adequate force within the zone so long as there is a possibility of a return to instability and terrorism in Egypt.*" (*The Times*, 3.3.52.)

Preparing the Coup

The preparation of the coup through the British and American Embassies and King Farouk and the palace machine and higher army authorities (the Egyptian Army command includes the former Nazi General Farmbacher, previously Corps Commander under Rommel) was undertaken long before the Cairo disorders of January 26 which were made the pretext. This was already shown by the King's appointment of two notorious pro-British representatives to the key positions in the palace machine. On January 8 the right-wing organ *Akher Lakhza* reported:

> "Nahas met Ali Maher at the wedding of Serag Eddin's daughter. He greeted him in these terms: 'Welcome, my successor as Prime Minister.' Ali Maher smiled and did not answer."

Ali Maher had been the notorious collaborator with the Axis from 1936 until the Allied victory. The American Ambassador was in close touch with King Farouk and Ali Maher during the days before the coup.

The machinery of the coup followed familiar lines. The British provocation at Ismailia, with armour and artillery, against virtually unarmed Egyptian patriotic auxiliary police, who refused to surrender till forty-six had been killed and seventy wounded, was the spark to kindle the flame. "Undoubtedly the rioters were set in motion by a British act." (*Economist*, February 2.) Universal indignation and orderly mass demonstrations followed on the morning of January 26; it was in the afternoon that small picked groups (not workers or students) began the arson and looting, drawing in demoralised elements, with obvious passivity of the authorities until the army was brought in towards the evening. This work bore all the hallmarks of secret service agents. The main instrument was the notorious Ahmed Hussein, leader of the Egyptian "Socialist" Party.

> "The Egyptian 'Socialists' are more like German National Socialists than Social Democrats. Ahmed Hussein began his political career as an open fascist; in the thirties he founded a party called 'Young Egypt' which was a copy of Mussolini's movement. He was known to receive Italian and German support. . . . The Socialists were the principal organisers of the great riot in Cairo." (*Manchester Guardian*, February 4.)

Ahmed Hussein has since been stated to have been financed by Ali Maher and from American sources.

Their Reichstag Fire

The Cairo outbreak was the "Reichstag fire" for the coup of reaction. On this basis the Wafd Government was used to proclaim martial law and was then dismissed. Hundreds of arrests followed (according to unofficial reports, over 1,000 in Cairo alone), including the majority of the leaders of the peace movement, trade unions and democratic organisations. Ali Maher was installed, to govern at first on the basis of a mythical "national front", with the support of the Wafd Parlia-

Egypt.
(Previous Reference: C.C. (52) 7th Conclusions, Minute 1.)

1. *The Foreign Secretary* informed the Cabinet of the latest developments in the Egyptian situation. As the Cabinet had been informed on 25th January, the two parts of Operation Rodeo had been put at forty-eight hours' notice on account of the dangers arising from the operation to disarm the Auxiliary Police in Ismailia. He had, however, been informed on 26th January that the British military authorities were of the opinion that the attitude of the Egyptian Army made it necessary to consider afresh the nature of these operations and the circumstances in which they should be launched. When plans had been made for British forces to move to Cairo for the protection of British and other residents there, it had been assumed that the Egyptian Army would not be hostile. In the last few days, however, fanaticism had grown in Egypt and it was probable that the Egyptian Army would fight if Operation Rodeo were launched. In view of the disposition of Egyptian forces, this change made our position in the Canal Zone, if we had to launch operations against Cairo, one of some anxiety. It would, moreover, take longer for British forces to reach Cairo than had been expected, and during that period British residents would be in acute danger, more particularly as the Egyptian forces now maintaining order in Cairo might move out to resist our advance, leaving disorder in the city uncontrolled. As regards the operation in Alexandria, the Commanders-in-Chief were now of the opinion that this, if carried out, should be changed in nature and should become an evacuation under military supervision of British residents there. When this had been completed we should leave Alexandria, the main forces employed being used to reinforce our position in the Canal Zone and to facilitate possible operations against Cairo.

Fortunately it had not been necessary during the past week-end to decide whether in the changed circumstances to carry out either of the two parts of Operation Rodeo. For the time being the Egyptian Army had restored order in Cairo. Steps had been taken through United States channels to make it plain to the King of Egypt that if the Egyptians severed relations with us or ordered a large-scale expulsion of British subjects—and particularly in the latter event—we should have no option but to impose severe economic sanctions. In the meantime the King had changed his Government and it was not known what the attitude of the new Government would be. They might be willing to negotiate or they might continue with the proposals to sever relations, and to expel British subjects, known to have been before the previous Cabinet. But the Foreign Secretary had sent a message to His Majesty's Ambassador in Cairo (Foreign Office telegram No. 209) which the Cabinet saw and endorsed. This telegram authorised the Ambassador to reaffirm our readiness to undertake discussions on the basis of the Four-Power proposals (if the Egyptian Government called a halt to terrorist activities and refrained from further anti-British measures) and to work towards arrangements which, within the framework of the Four-Power proposals, would lead to the gradual assumption of responsibility by the Egyptian armed forces for the defence of the Canal Zone.

The Chief of the Imperial General Staff pointed out that, if further military activities had to be undertaken in Egypt, there would almost certainly be a demand for further troops from this country. We had no further troops which could be sent, since the whole of the strategic reserve normally retained in the United Kingdom had already been despatched to Egypt. Our lack of such a reserve might encourage disturbances in other parts of the world to which we should be unable to despatch forces. The Chief of the Imperial General Staff felt that this was a position which could not be accepted; in his view, the only solution was to embody Territorial infantry divisions, possibly in rotation, in order to have some strategic reserve available in this country.

وثيقة (٦)

American (repeat American) Ambassador was summoned to an audience by King Farouk at 4.p.m.

2. King indulged in a violent tirade against the British. He said he was perfectly aware of how serious the situation was and the army was moving into Cairo to restore order. There were bad elements in the crowd and the army would shoot.

3. The King said he had summoned 800 army officers this morning to the Palace and had given them a pep-talk. He described the result as satisfactory.

4. At about 4.30 the crowd was heading for this Embassy and a new fire has started quite near. Police opened fire and all is now quiet outside.

وثيقة (٧)

Cogent reason (from point of view of British community here) against Rodeo intervention while present situation obtains is that, since army are now in charge of security here and police are le s in evidence than before, any external attack might quickly result in their standing aside, leaving no further effective obstacle between the rioters on the one hand and the British community on the other.

2. If, however, situation were suddenly to deteriorate here, making army realise task was getting beyond them, rapid intervention would suddenly become essential.

3. There is no sign of such development at present. Though some shooting continues in the town troops near Embassy have been reinforced in last few hours and now present a slightly more reassuring aspect.

وثيقة (٨)

Sir William Strang has called particular attention to Cairo telegram No. 203 (Views of French Ambassador) and B.M.E.O. telegram No. 91.

The main points to be drawn from these telegrams ~~is~~ are that

(a) Our biggest investment in Egypt is the Shell Refinery and the Anglö-Egyptian oilfields.

(b) Our main interest is cotton; and

(c) We should probably not be able to keep the Refinery going if there were interference by British troops and if products were cut off from the Delta.

Sir William Strang would like these telegrams submitted with these points brought out, in view of their bearing on the question of applying economic measures against Egypt.

L.G.B.

African Dept.
E.R. Dept.

28th January, 1952.

In consultation with E.R. Dept I have prepared the attached submission covering Cairo telegram no 203 and FAYID telegram no 91.

J. Graham
30/1

Mr Atkin
Mr. Bowker
Sir W. Strang
W.S. 4/2
L.G. Bowker
1/2

وثيقة (١٠)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 259
30th January, 1952

D. 9.04 p.m. 30th January, 1952
R. 9.25 p.m. 30th January, 1952

IMMEDIATE
SECRET

JE 1018/32

Addressed to Foreign Office telegram No. 259 of 30th January.
Repeated for information to:

H. M. B.T.G. Washington
Memin (Fayid) C-in-C Mediterranean
and Saving to:
Paris Ankara

JE 1018/32

Your telegram No. 203. Audience with King Farouk.

The King received me in audience this afternoon. He had evidently recovered to some extent at any rate from the burst of ill temper which he had shown at the audience granted to my United States colleague on 26th January. He told me that he and all Egypt shared the horror and sorrow that we were feeling as a result of the events of 26th January in Cairo. A terrible blow had been struck at Egypt. He agreed with me that the Communists were the directing minds and that they had used the Socialist Party. One significant thing in his view was that simultaneous outbreaks had not occurred elsewhere. He attributed this to the fact that the Communists were not strong enough numerically to strike with any hope of success at more than one place at a time. He showed great pride in the effectiveness and loyalty of the army.

2. He gave me to understand that he had heard of our preparations to move troops into Cairo. I told him that I was supremely

thankful that the disorders had not continued and that I did not thus have to take the terrible decision of recommending to you that action should be taken by our troops. He gave me the most solemn assurance (on which he said I could count absolutely) that in the event of disorders occurring with which he could not longer deal he would so inform me. "I shall ask for nothing" he said "but I promise to tell you when the situation has passed out of my control. I would not have hesitated to do so on the Sunday had things gone badly."

/3.

SECRET

Cairo telegram No. 259 to Foreign Office

-2-

3. I repeated to the King what I had said to the Prime Minister about the suppression of terrorism in the Canal Zone and told him that if the Egyptian Authorities showed a co-operative spirit our military authorities would reciprocate.

4. He assured me that measures would be taken to suppress the extremist newspapers. As regards Ahmed Hussein (leader of the extreme Socialist Party) he asked me not to question him too closely; it would serve no useful purpose to bring him to justice but "other measures would be taken". A considerable number of arrests had been made but the leaders as a general rule had been left at liberty. This was done on purpose as it was desired to remove their supporters in the first instance. The leaders themselves would be dealt with soon.

5. He agreed that everything should be done to lower the temperature. In his view it would not be wise to leave matters too long before opening negotiations. I said that this could not be done until terrorism in the Canal Zone had been suppressed and the situation was on the way towards normality. He agreed. I consulted him about a possible declaration by His Majesty's Government as a prelude to the opening of negotiations and he thought it would be a very suitable move at the right moment.

6. Neither the King nor I mentioned the Sudan. I suggested however that it might be a good idea if I saw him again fairly soon. He agreed.

7. Throughout the conversation the King showed more than his usual personal friendliness and cordiality to me.

Foreign Office please pass to Washington as my telegram No. 74 and Saving to Paris and Ankara as my telegrams Nos. 17 and 2 respectively.

Memin (Fayid) pass to Egypfor and Commander-in-Chief Mediterranean as my telegrams Nos. 106 and 19 respectively.

[Repeated to Washington and Saving to Paris and Ankara].

ADVANCE COPIES:
Sir W. Strang
Private Secretary
Sir P. Dixon
Mr. Bowker
Head of African Department
Head of News Department

7777777

وثيقة (١١)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on]

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 366
13th February, 1952.

D. 9.28 p.m. 13th February, 1952.
R. 10.16 p.m. 13th February, 1952.

SECRET

Addressed to Foreign Office telegram No. 366 of 13th February, Repeated for information to Memin Fayid, Egypfor, Washington, Commander-in-Chief Mediterranean, and Saving to Paris, Ankara.

My telegram No. 259: Audience with King Farouk.

King Farouk received me in audience this afternoon at my request. My main object in asking to be received was to develop the subject mentioned in paragraph 2 of my telegram under reference (assurance that he would inform me if situation passed out of his control) and endeavour to re-establish some kind of liaison between our military and air authorities and the Egyptian armed forces.

2. I said that while his assurance was most helpful it might in fact however lead to delay in the arrival of our troops. It was possible for instance that conditions might be so bad that communication between us was out of the question. In these circumstances it might be necessary for our troops to take up forward positions or establish dumps in the desert rather earlier than they would otherwise do, so as to speed up their actual arrival in case of need. It was most desirable that such action by our troops should not be regarded as hostile by the Egyptian forces and therefore it was important to establish some unostentatious liaison between our respective land forces. I referred also to a recent incident at El Arish when one of our reconnaissance planes was fired on by the Egyptian forces there. That, I said, was the kind of thing we wanted to avoid and I would feel much happier if some sort of liaison could also be established with the Royal Egyptian Air Force.

3. The King said that he fully appreciated the position and agreed on the desirability of establishing contact. I suggested

/that in

SECRET

Cairo telegram No. 366 to Foreign Office.

-2-

that in a few days time I should send my Military Attaché to discuss the matter with the Chief of Staff. The King agreed and promised to give the necessary instructions. As regards liaison with the R.E.A.F. he thought that that might be a little more difficult to arrange. He did not explain why, but ended by saying that it would be possible a little later on.

1 E

4. Referring to the situation on 26th and 27th January the King said that he had sent one of his own trusted officers to the Egyptian army's position on the Suez Road. He was there to see that the King's orders were carried out. These were that the army should resist if our troops had moved on Cairo prematurely and not (repeat not) to resist if the situation had in fact got completely out of control. The King said that he did not suppose that they would have held up our forces for long but he was sure that if they had been told to they would have put up as good a show as they could. He had at the same time considered the possibility of bringing back some troops from the Palestine border but had decided against it. He hoped that if it had proved necessary we would not have made difficulties. I said that on the contrary, I had sent my Military Attaché to the Commander-in-Chief before the disturbances to ask him whether the Egyptian General Staff wished to bring any troops back, referring to a previous offer which had been made and accepted early in November. His Majesty could be sure that we would make no difficulties about the returning of troops from Gaza in such circumstances. He thanked me and agreed that this was another argument in favour of the re-establishment of liaison.

5. In speaking about the army in general, he said that he was satisfied that the Wafd had not (repeat not) succeeded in corrupting either officers or men very far. There were about twelve unsatisfactory officers and these would be got rid of. One of them had actually taken part in the mutinous demonstration by the auxiliary police on the morning of 26th January.

gratification at the speed of our fighting equipment.

following telegrams.

to Washington as my telegram 93
as my Saving telegrams 30 and 12

Saving to Paris and Ankara.]

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 367 D. 12.06 a.m. 14th February, 1952
13th February, 1952. R. 12.06 a.m. 14th February, 1952

SECRET

JE1018/68

Addressed to Foreign Office telegram No. 367 of 13th February.

Repeated for information to:- Washington, Memin (Fayid, Egypfor, C in C Mediterranean, Khartoum,
and Saving to:- Paris and Ankara.

My immediately preceding telegram (not to Khartoum).

In speaking of the internal situation the King said that progress was being made with the enquiry into the responsibility for the events of January 26th. It was even being extended to the activities of certain Soviet satellite legations of whose connexion with those events the government had evidence. A showdown with the Wafd was inevitable and he thought there might be trouble as result of it though not more than the army could deal with. The Ikhwan el Muslimin would not (repeat not) join with the Wafd. Fuad Serag el Din had made a great mistake when he attacked the army, in trying to justify his own actions. The reorganisation of the police could not be done in a hurry but good men were working hard at it and it would be completed as soon as possible.

2. He said quite frankly that he had been having a certain amount of difficulty with Ali Maher Pasha, particularly over the question of appointments but he had made it clear that it

was he who had taken the responsibility of throwing out the Wafd Government and that therefore heed must be given to his views on what should be done by the new government. At one time Ali Maher had shown signs of being rather scared of the Wafd. This attitude had however changed in the last three or four days. As long as the Chamber supported the Government it would be left in existence. But if the Wafd tried to make trouble the Chamber would be immediately dissolved and fresh

/elections

elections would be held in due course. Ali Maher's Government was not of course eternal in its present form. It should be regarded as a government of pacification and reconstruction and, he insisted, one with which Britain could come to a speedy agreement. It would be necessary later on to form some kind of advisory council to ratify any agreement we might reach but the formation of a national front now would torpedo any hope of negotiation.

3. I told the King that I was waiting to hear from Ali Maher what his ideas were about the resumption of negotiations. I was ready to talk when he was. The King then said that the Prime Minister had much to preoccupy him at the moment. I replied that I realised this but I did not want it to be thought that we were hanging back. It seemed that reasonable progress was being made in lowering the temperature and lessening the tension in the Canal Zone itself. I then asked the King whether he had any ideas of the basis on which we should resume negotiations. He said he thought that Ali Maher Pasha had some ideas. He agreed with me that so far as defence was concerned, the Four Power proposals were sufficiently flexible. I said that the main things were a base which could be rapidly expanded in case of war and an adequate air defence. It was no use Egypt thinking she could take part in Middle Eastern

Defence unless the country was properly defended from air attack in the first few hours of a war. Egypt could not do this alone but there was no reason why such an air defence organisation should not be Egyptian in appearance. The King agreed, and in this connexion it is perhaps significant that he produced a cutting from the "Sunday Chronicle" of February 3rd which suggested that His Majesty himself might be C in C of Egyptian defence under a Middle Eastern Command organisation. The idea obviously pleased him. I asked him whether the C.I.G.S. had mentioned it to him in 1950. The King said "no, if he had done so I should certainly have remembered".

Foreign Office please pass Washington and Khartoum as my telegrams 94 and 37 and Saving to Paris and Ankara as my telegrams 31 and 13.

[Repeated to Washington, Khartoum and Saving to Paris and Ankara].

kkk

وثيقة (١٢)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

Cypher/OTP

FOREIGN OFFICE AND WHITEHALL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 266
31st January, 1952.

D. 1.45 p.m. 31st January, 1952
R. 2.42 p.m. 31st January, 1952

IMMEDIATE
SECRET

JE 1018/37

Addressed to Foreign Office telegram No. 266 of 31st January.
Repeated for information to Washington,
Memin (Fayid),
and Saving to:- Paris,
Ankara.

١٨

My telegram No. 259. King Farouk.

I discussed with my United States colleague last night the rapid change in the King's attitude from that which he had assumed on 26th January (see my telegram No. 174). We came to the conclusion that the King was probably quite sincere on both occasions. On Saturday afternoon so far as he knew disturbances in Cairo were the result of popular indignation at the events in Ismailia the day before. While my United States colleague was talking to him rifle fire in the vicinity was heavy as the mob was attacking the police station near the palace. The Queen and her newly born son were in the palace and (as the King told me himself yesterday) she was thoroughly frightened. The King's entourage, according to my United States colleague, were equally frightened and showed it. The King had given orders to the Egyptian army to intervene but was not sure how far Wafdist influence would prevent them from being effective. He had no faith in the police. His bitterness in regard to those whom he then thought were responsible for his predicament is therefore comprehensible.

2. Since then he has discovered that the disturbances on January 26th had been obviously planned for some time beforehand by the Communists and other extremists. The British action at Ismailia on Friday had merely been the excuse for putting these plans into operation. He was disgusted with the behaviour of
/the police

SECRET

Cairo telegram No. 266 to Foreign Office

-2-

the police on January 26th and particularly of the auxiliary detachments and therefore his sympathy for the latter had

declined. (This was quite clear to me when I discussed the Ismailia fighting with him yesterday). His qualified faith in the army has since been justified and he was very proud of them. He was also very pleased with himself for having got rid of the Wafd at a moment when their prestige had fallen to zero and after they had been forced to establish martial law.

3. In general he was frightened and in a bad temper on January 26th and on January 30th he had recovered his equanimity and self confidence. He is a mercurial creature and his feelings and enthusiasms are often short lived. Nevertheless on this occasion he has had a sharp lesson and it may well be that he will in future take his responsibilities more seriously.

4. I do not over estimate the value of the assurance contained in paragraph 2 of my telegram under reference, but it may prove useful in helping us to recast our ideas in regard to possible military action in the Delta in case of need.

Foreign Office pass Washington and Saving to Paris and Ankara as my telegrams 75 and Saving 18 and 5 respectively.

[Repeated to Washington and Saving to Paris and Ankara].

ADVANCE COPIES:-
Private Secretary,
Sir W. Strang,
Sir P. Dixon,
Mr. Bowker,
Head African Department,
Head News Department.

وثيقة (١٤)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

Cypher/OTP

DEPARTMENTAL DISTRIBUTION

Sir R. Stevenson
No. 87
17th January 1952

D: 9.50 a.m. 17th January 1952
R: 10.40 a.m. 17th January 1952

CONFIDENTIAL

JE 1016/32

My telegram No. 82.

Ikhwan El Hurriya.

JE 1018 / 4

Following upon the government decision announced in the press yesterday that this society had been banned, the Central Committee met in the absence of both Fay and Gathorne Hardy and decided to make a public announcement that, as loyal Egyptian patriots, they accepted the government's decision and that the society had ceased to exist, furthermore, the committee had intimated to Fay that it would make things much easier for them and that they would feel much happier if he left the country. I fear therefore that we must accept the fact that this organisation is now dead, or at any rate in abeyance, for the present. I agree that Fay should return home but I am endeavouring to retain Gathorne Hardy (see my telegram No. 84). He has been helping in the Information Department since the middle of November. The Ministry ofa Foreign Affairs may, however, decide that he is persona non grata and withdraw his visa. If he is not accepted, I suggest that he should be sent to Information Section Fayid.

DISTRIBUTED TO:-
African Department
Middle East Secretariat
Personnel Department
Information Policy Department
News Department

QQQ

هذا الكتاب يفتح الملفات السرية البريطانية ، بعد أن ظلت بعيدة عن مجال الاطلاع اكثر من ثلاثين عاما . ليستعرض من خلالها وجهة النظر البريطانية ، ومخططات الانجليز بالنسبة لمصر فى تلك الأيام ..

وبعد تحقيق أخطر حادث وقع فى تاريخ مصر ، وكان نقطة تحول فى حياة المنطقة العربية بأسرها .. بعد تحقيق حريق القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢) على ضوء الوثائق المصرية (كتاب حريق القاهرة — قرار اتهام جديد ، للمؤلف) .. يكتمل الآن هذا التحقيق بالجزء الذى طالما انتظره السياسيون والمؤرخون المصريون والعرب .. على ضوء ملفات الطرف الثانى فى هذا الحادث .. على ضوء الوثائق البريطانية .

فماذا تقول الوثائق السرية البريطانية .. وماالذى تكشفه من حقائق وأسرار .. عن حريق القاهرة ..؟

٢٥٠ قرشا

١٦ شارع أسماعيل محمد — الزمالك — القاهرة
ت : ٤٠٢٨٣٦